صور من المخطوط

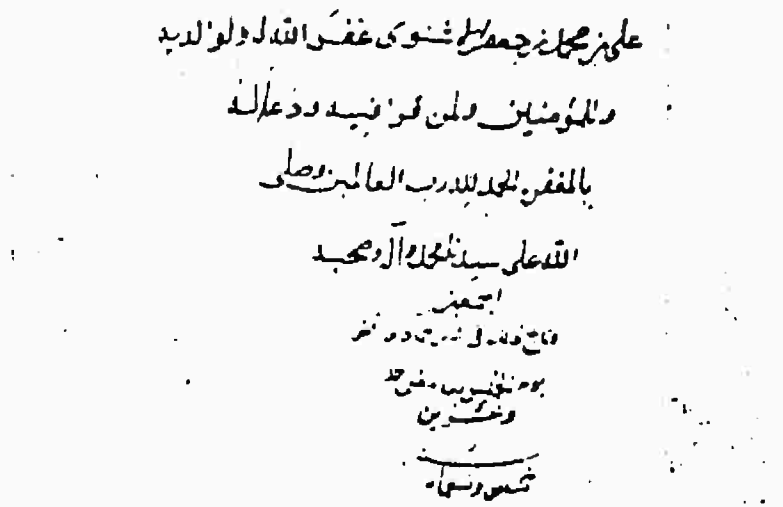

اعلم ايها الناظر في هذا الكتاب ارشدك الله تعالى الى اتباع الحق والصواب ان الله تعالى جلت قدرته وعمت رحمته قال في كتابه وهو اصدق القائلين وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون فمن اراد السلامة فليغض صفحا ويتجاوز اعلم ان ما شجر بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فان السلامة الكاملة والدين الاكمل في حب النبي صلى الله عليه وسلم وآله واولاده واصحابه وحفظ اللسان عما صدر بينهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين

الى جانبنا قوم اشراف فقراء مال لهم فاموت غلماني ان ينسطوا حصيرا في صحن الدار فقال فسمعت جيئته تقول لامهايا اماه قد اتى هذا المجوسي برائحة طعامه قالت فاستلت اليهن بطعام كثير واكسية ودنانير الجميع فلما نظروا الى ذلك قالت الصبية للجارية ما ثيابك ما كلواحتى ندعو له فرفعن ايديهن حتى رأيت الدمع

جد نار سول الله وامن بعضهن فتلك الدمعة التي احببت

حكاية اخرى

وبسنده على عبد الله بن محمد اخبرنا جدي ابو الفرج باسناده الى ابن خضيب قال كنت قائما لسيدي ام المتوكل فينا انا في الديوان اذ خادم صفعني فخرج من عندها وصفعني فيها الف دينار فقال لسيدتي يقول لك فرق هذا في اهل الاستحقاق فهو من اطيب ما لي واكتب لي باسماء الذين تفرقه فيهم حتى ذا جاء من هذه الوجهة شيء صرفته اليهم قال ففعلت وجعلت اصحابي وسائلهم من المستحقين فمضوا الى اشخاص فرقت فيهم ثلثمائة دينار وبقي الباقي في يدي الى نصف الليل واذا بطارق يطرق على باب داري فقلت من فقال فلان السلوي وكان جاري فقلت هذا جاري من مدة ولم يقصدني فاذنت له فدخل فرحبت وقلت

دعا لي

لما الذي عناك في هذه الساعة فقال طرقني الساعة طارق من ولد رسول الله
صلى الله عليه وآله ولم يكن عندي ما اطعمه فقال فاعطيته دينارا فاخذه وشكرني
وانصرف فلما وصل الباب خرجت زوجتي وهي تبكي وتقول اما تستحي تفعل مثل
هذا الرجل وتعطيه دينارا وقد مضت سنتان قد اعضه الكلب قال فوقع كلامها
في قلبي وقمت خلفه فناولته الكيس فاخذه وانصرف فلما وصلت الدار وقفت الساعة
بعمل الخبز الى المتوكل وهو للمتوكل العباسي فقالت لي زوجتي قد فتح الله
على الله وعلى جدك فبينما نحن كذلك واذا بالباب يطرق واذا اعوان المتوكل
بايدي الخدم وهم يقولون اجب السيد قال فقمت مرعوبا
وكلما مشيت قليلا والرسل تتواتر فادخلوني من دار الدار حتى اوقفوني عند
سرير السيد فحصل لي من ذلك تعب فبعد ذلك خفت عيني وحصل خير وهذا آخر
ما انتهى الينا من اخباره وحكاياته على التمام والكمال والحمد لله على كل حال
وهو ولي التوفيق وفرغ من نسخه اقل العباد الذي لم يعرف
وان غاب لم يذكر وان مات لم يبكى عليه

٢٢٥٦

دراسة
حول أهم مسألة من مسائل
كتاب تذكرة الخواص
لسبط ابن الجوزي

قبل أن نلج إلى أهم مسألة من مسائل كتاب سبط ابن الجوزي تذكرة الخواص، وهي مسألة التنصيص على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الكتاب والسُّنَّة، لا بد لنا من مدخل حول تعريف الشيعة، ومعرفة موقف الشيعة من الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسألة الإمامة عند الشيعة واعتبارها ركنًا من أركان الدين، وفكرة المهدي عندهم، وبعد ذلك نتناول أهم مسألة في كتاب تذكرة الخواص وهي كما قلنا مسألة التنصيص على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الكتاب والسُّنَّة.

أولًا: مدخل إلى تعريف الشيعة:

الشيعة في القرآن الكريم:

ذكر الفعل «شيع» في القرآن الكريم في سبع مواضع[١].

١- تشيع: في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور: ١٩] أي: انتشر وقوي، يقال: شاع الخبر، وشاع القوم.

٢- الشيعة: الفِرْقَة من الناس يتابع بعضهم بعضًا، وشيعة الرجل: أولياؤه وأنصاره، ومَنْ كان على منهجه ورأيه، والجمع: شيع وأشياع.

يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ [مريم: ٦٩] وشيعة هنا بمعنى الفرقة.

٣- شيعته: ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص: ١٥]، من شيعته: أي من أوليائه وأنصاره.

٤- شيع: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الحجر: ١٠] فرق الأولين.

٥- شيعًا: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام: ٦٥] أي: فرقًا.

٦- أشياعكم: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ٥١]، أي:

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، نشر مجمع اللغة العربية، بالقاهرة طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ٩٧٣١ (١/ ٦٦).

أولياءكم وأنصاركم، أو من كان على منهجكم ورأيكم.

٧- بأشـــياعهم: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ [سبأ: ٥٤]، أي: من كان على منهجهم ورأيهم.

الشيعة في اللغة:

يقول ابن منظور[1] في لسان العرب: «الشيعة: القوم الذي يجتمعون على الأمر».

وكل قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة، وكل قومٍ أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع.

قال الأزهري: ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضًا وليس كلهم متفقين، قال الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ كل فرقة تُكفِّر الفِرقة المخالفة لها، يعني به اليهود والنصارى؛ لأن النصارى بعضهم يُكفر بعضًا، وكذلك اليهود، والنصارى تكفر اليهود، واليهود تكفرهم، وكانوا أُمِرُوا بشيءٍ واحد.

والشيعة: أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع، وأشياع جمع الجمع، ويقال: شايعه كما يقال والاه من الوَلي.

وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليًّا وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار لهم اسمًا خاصًّا، فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف (٤/ ٢٣٧٧).

منهم.

ويذكر صاحب كتاب الفهرست وهو شيعي عن السبب في تسمية الشيعة بهذا الاسم هو علي رضي الله عنه، قال ابن النديم: «قال محمد بن إسحاق لما خالف طلحة والزبير عليًّا رضي الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان بن عفان وقصدهما علي عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله جلَّ اسمه تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة فكان يقول شيعتي»[١].

وهذا الرأي يحتاج إلى نظر خصوصًا إذا عرفنا أن معاوية رضي الله عنه كان يسمي أتباعه شيعته، فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه أن معاوية حين بعث بشر بن أرطأة إلى اليمن قال له: «أمعن حتى تأتي صنعاء فإن لنا بها شيعة»[٢].

وإن كان الإمام الأشعري يرى أيضًا إنما قيل لهم: الشيعة لأنهم شيَّعوا أي شايعوا عليًّا ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

فالشيعة كمصطلح يقصد به الذين ناصروا عليًّا وشايعوه وقدَّموه على غيره من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) ابن النديم: الفهرست دار المعرفة بيروت بدون تاريخ طبع، ص٢٤٩.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر تاريخ اليعقوبي، نسخة بمكتبة الأزهر تاريخ، رقم خاص (٤٥٦) على (٦٧٥٠) (٤/ ١٥).

(٣) أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق هلموت ريتر طبعة اسطنبول ١٩٢٩م، ص٥.

تعريف الشيعة:

يعرف الشهرستاني في كتاب الملل والنِّحَل الشيعة: «بأنهم هم الذين شايعوا عليًّا عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته نصًّا ووصية، إما جليًّا أو خفيًّا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، قالوا: وليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية، هو ركن الدين... ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عِصمة الأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر»[1].

ونفس المعنى يذكره الجرجاني عن الشيعة فيقول: «هم الذين شايعوا عليًّا رضي الله عنه، وقالوا: إنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده»[2].

متى بدأ التشيع؟

يرى الشيعة أن بداية بذرة التشيع كانت مع الإسلام، ويقول أحدهم وهو الإمام كاشف الغطاء: «إن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام، جنبًا إلى جنب، وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نَمَتْ وأزهرت في

---

(١) الشهرستاني الإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنِّحَل طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م (١/ ١٤٤، ١٤٥).

(٢) الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الحنفي التعريفات، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٨٨م، ص١١٤.

حياته ثم أثمرت بعد وفاته»[١].

ونفس الرأي يراه الدكتور كامل الشيبي وهو شيعي أيضًا، فيقول: «إن التشيع بمعناه الذي حددناه من نصرة علي والتشيع له، قد كان قديمًا قِدَم الإسلام، وظهر على شكل دعوة سياسية في أول لحظة بدا من المناسب أن يظهر للناس، وقد كان الأربعة الأوائل من شيعة علي وهم: سلمان الفارسي، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، والمقداد بن أسود يتصرفون في حياة النبي باعتبارهم شيعة، تصرفهم في نهاية الأمر حين انكشف تشيعهم واضحًا، وكان ذلك يعرف عنهم»[٢].

والخطأ الأكبر في محاولة الشيعة تأكيد قولهم بأن بذرة التشيع بدأت مع الإسلام أنه -كما يقول الدكتور النشار- «لم يكن بين يدي الرسول شيعة وسُنَّة، وقد أعلن القرآن ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، لا التشيع، ولا التسنن، وأتى الإسلام لكي يرفع الحجز بين الناس، فلا هاشمي ولا قرشي ولا تيمي ولا غيره ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى... فلم يكن هناك شيعة لا روحية ولا سياسية بين النبوة ولم تظهر كلمة الشيعة كمصطلح على الإطلاق إبان ذلك الوقت»[٣].

وعلماء الشيعة يؤكدون على مقولتهم بأن التَّشيع ابتدأ من بداية الإسلام، فها هو السيد الزنجاني يقول في كتابه عقائد الإمامية الاثنا عشرية:

---

(١) الإمام آل كاشف الغطاء، محمد الحسين، أصل الشيعة وأصولها، الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة بمصر طبعة ١٩٨٢م ص٤٣.

(٢) الشيبي، كامل مصطفى الصلة بين التصوف والتشيع، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٩م ص١٩.

(٣) النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج١ طبعة دار المعارف بالقاهرة ط٣، ١٩٦٦م ص١٤، ١٥.

(إن الدَّعوة إلى التشيع ابتدأت من اليوم الذي هَتَف فيه المنقذ -صلوات الله وسلامه عليه وآله- بكلمة «لا إله إلا الله» في شِعاب مكة وجبالها، فإنه لما نزل عليه قول الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني هاشم وأنذرهم وقال: «أيكم يؤازرني ليكون أخي، ووارثي، ووزيري، ووصيي، وخليفتي فيكم بعدي؟» فلما لم يُجبه إلى ما أراد غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قال النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم: «هذا أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي، فاسمعوا وأطيعوا»[1].

والعالم الشيعي محمد جواد مغنية يذكر هذا الرأي في كتابه الشيعة في الميزان فيقول: «إنَّ النبيَّ هو الذي بعث عقيدة التشيع وأوجدها، ودعا إلى حب علي وولائه، وأول مَنْ أطلق لفظ الشيعة على أتباعه ومُريديه، ولولاه لم يكن للشيعة والتشيع عين ولا أثر»[2].

وهذا غلو ظاهر في التشيع فلم يجد قطُّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي بعث عقيدة التشيع وأوجدها كما ادَّعى بعض علماء الشيعة، فإنه أتى بالإسلام نقيًّا ولم يأتِ بعقائده الشيعة.

ويرى النُّوبختي الشيعي أن التشيع لعَلِيٍّ «حدث بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم»[3].

---

(١) الزنجاني، السيد إبراهيم الموسوي، عقائد الإمامية الاثنى عشرية مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩٣هـ ص٢٧١.

(٢) مغنية، محمد جواد، الشيعة في الميزان، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ص١٧.

(٣) النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى، فِرَق الشيعة (١/ ٢) النجف ١٩٣٦م.

وممن يرى هذا الرأي الأستاذ أحمد أمين الذي يقول في فجر الإسلام «كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه، وأولى أهل البيت العباس عم النبي، وعلي ابن عمه، وعلي أولى من العباس»[١].

ويحاول بعض مؤرخي الشيعة أن يجدوا أي تبرير ليبرهنوا على صحة وجهة نظرهم فيقول اليعقوبي: «إنه تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين مالوا مع علي بن أبي طالب؛ منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأُبي بن كعب»[٢].

لكن التاريخ يؤكد لنا أنه لم يكن أحد من هؤلاء الصحابة أو غيرهم كان يعتقد بعقائد الشيعة، وليس معنى أنهم كانوا يميلون إلى علي رضي الله عنه، أنّهم شيعة، أو أنّهم بذروا بذرة التشيع والفكر الشيعي في الإسلام، فالغلو في هذا الرأي واضح لكل ذي لُبٍّ سليم.

وفي رأينا أن الشيعة كمصطلح لم يظهر إلا بعد استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما.

يقول المسعودي: «وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم على الحسين فلم يغيثوه ورأوا أنهم أخطئوا بدعاء الحسين إياهم ولم

---

(١) أمين أحمد، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ص٢٦٦، طبعة ١٩٦٥م.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م (٢/ ١٢٤).

يجيبوه، ولمقتله إلى جانبهم فلم ينصروه»[1].

فشعورهم بالندم والأسى لخذلانهم سِبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم يُغالون في حبهم لآل البيت، ويتعاطفون معهم ويضعون أسس تشيعهم، ويكونون أصل مبدئهم القائم على اعتبارهم أن الإمامة أصل من أصول الدين فنص الرسول صلى الله عليه وسلم -عندهم- على إمامة علي، ولا تخرج الإمامة من أولاده.

إننا نميل بقوةٍ إلى أن مَقْتَل الحسين رضي الله عنه هو الذي أذكى عاطفة الشيعة بقوة نحو أبناء فاطمة الزهراء والتشيع لهم.

(١) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر (٢/ ١١٠).

ثانيًا: موقف الشيعة من الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بداية نقول عن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في آل الرسول صلى الله عليه وسلم.

يقول الإمام ابن تيميَّة رحمه الله في العقيدة الواسطية: (يُحبُّون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم، حيث قال يوم غدير خم: «أذكركم الله في أهل بيتي»[1]. [مسلم].

ومع ذلك فإن موقف الشيعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مُختلف تمامًا، فإنهم يكفرونهم ويحكمون عليهم بالردَّة فينسب الشيعة زورًا إلى الإمام محمد الباقر والد الإمام جعفر الصادق أنَّه قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي إلا ثلاثة»[2] والثلاثة عنهم هم: المقداد بن الأسود، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وهذا افتراء على والد الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه؛ ولهذا قال الإمام جعفر: «إنَّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا –أي يكذبه– عند الناس»[3]، ووصل بهم الأمر أن يفتروا على الأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فينسبون إليه زورًا أنه قال: «إنَّ الناس كلهم ارتدُّوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أربعة»[4]، وقال التستري الشيعي عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: «إنَّهم داموا مجبولين على

(١) الكليني، روضة الكافي، ص١١٥.

(٢)الكليني، روضة الكافي، ص١١٥.

(٣)المامقاني الشيعي، تنقيح المقال (٢/ ١٨٤).

(٤)سليم بن قيس الشيعي، السقيفة، ص٩٢.

توشح النفاق وترشح الشِّقاق»[١].

وقد نسي الشيعة أن أميرَ المؤمنين علي بن أبي طالب قال مخاطبًا جنده مثنيًا ثناءً عَطِرًا على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصفًا أخلاقهم الكريمة قائلًا: «رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وآله، فما أرى أحدًا يُشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سُجَّدًا وقيامًا ويراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزي من طول سجودهم، وإذا ذكر الله همرت أعينهم حتَّى تبتل جيوبهم، مادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفًا من العقاب ورجاء الثواب[٢] وبالطبع فلا يمكن أن ينسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إن الناس كلهم ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أربعة فهذا افتراءً على علي رضي الله عنه ومما يدل على أنه لم تكن هناك وصاية بعلي رضي الله عنه قوله: «والله ما كان في الولاية رغبةً، ولا في الإمارة إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها[٣]، وقال أيضًا: دعوني والتمسوا غيري فإن أكن لكم وزيرًا، خير لكم من أكون لكم أميرًا»[٤].

لقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أشد الناس حبًّا للثلاثة بدليل أنه سمى بعض أولاده بأبي بكر وعمر وعثمان، وكان الإمام محمد الباقر من أشد الناس حبًّا للصحابة، حتى أن رجلًا من أصحاب محمد الباقر وشيعته تعجب من الباقر حين وصف أبا بكر بالصديق! فقال الرجل: أتصفه

(١)التستري الشيعي، إحقاق الحق، ص٣.

(٢)نهج البلاغة ص١٤٣.

(٣) نهج البلاغة، شرح الشريف المرتضى الشيعي (١/ ٣٢٢).

(٤)مرجع سابق (١/ ١٨١).

بالصديق؟! فقال الباقر: نِعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولًا في الآخرة»[١]. ويقول جعفر الصادق لامرأة سألته عن أبي بكر وعمر: أتولهما! فقال: توليهما فقالت: فأقول ولربي إذا لقيته إنك أمرتني بولايتهما؟ فقال لها: نعم»[٢].

طعن الشيعة في أبي بكر الصديق:

قال الطوسي الشيعي في تلخيصي الشافي: «إنَّ مِنَّ الناس من شك في إيمانه أي إيمان أبي بكر لأن في الأمة من قال: إنه لم يكن عارفًا بالله تعالى قطُّ»[٣]..

ولعلَّ هذا قمة الافتراء على مَنْ قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله لو وزن إيمان الأمة بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر» لقد بلغ الافتراء بأحد علماء الشيعة حدًّا لا مثيل له حين قال «أمضى -أي أبو بكر الصديق رضي الله عنه- أكثر عمره مقيمًا على الكفر خادمًا للأوثان»[٤].

إن أبا بكر الصديق هو المؤمن الذي لم يتردد في قبول الإسلام حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان برسالته، ويشهد لذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: «وما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة إلا أبا بكر فإنه لم يتلعثم» [مسند أحمد، وسنن ابن ماجه].

---

(١)أبو الحسن الإربلي الشيعي، كشف الغُمَّة (٢/ ١٧٤).

(٢)روضة الكافي (٨/ ١٠١).

(٣)الطوسي، تلخيص الشافي، ص٤٠٧.

(٤) الجزائري الشيعي، الأنوار النعمانية (٤/ ٦٠).

وكان الصديق أحب الرجال على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج البخاري من حديث عمرو بن العاص أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي الناس أحب إليك، قال: عائشة»، فقال من الرجال؟ قال: «أبوها» [البخاري].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كان أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم» [أخرجه الحاكم]، لكن الشيعة زعموا أن عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه كان يلعن أبا بكر رضي الله عنه وكذا عمر بن الخطاب ونسبوا لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ظلمًا وزورًا أنه لما قام إلهي رجل وطلب منه أن يبايعه على ما عمل أبو بكر وعمر، قال: فمدَّ يده، وقال له: اصفق، لعن الله الاثنين. [رواه الصفار في بصائر الدرجات الكبرى].

إن أبا بكر الصديق الذي تسبه الشيعة وتطعنه، هو صاحب المناقب الكبرى في الإسلام فهو أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم آمن به حين كذَّبه الناس، وواساه بنفسه وماله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله بعثني إليكم فقلتهم كذبت وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله» [صحيح البخاري].

وضع ماله في سبيل الدعوة الإسلامية، وأعتق بماله كثيرًا من العبيد، وحرَّرهم وأعتق رقابهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أصبح منكم اليوم صائمًا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم مريضًا؟» قال أبو بكر: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» [رواه مسلم].

لقد كان أبو بكر الصديق أول خليفة في الإسلام وأول أمير أرسل على الحج، وأول من جمع القرآن وضع كل ماله في سبيل الدعوة الإسلامية.

شهادة علي لأبي بكر الصديق:

يذكر الإمام علي بن أبي طالب بيعته لأبي بكر الصديق، فيقول: «... فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق وكانت (كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون) فتولى أبو بكر تلك الأمور، فيسر وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحًا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدًا»[١].

وشهد علي لأبي بكر بأنه أحق بالخلافة وأجدر بها، فقال: «وإنَّا لنرى أبا بكر أحق بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف سِنَّه، ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة خلفه وهو حي»[٢].

ومن العجيب إن من أساسيات المذهب الشيعي ضرورة إعلان الشيعي البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين، يقول المجلس الشيعي: «ومن ضروريات دين الإمامية البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية»[٣].

مع أننا لو نظرنا إلى ما قاله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في خُطبة تأبين أبي بكر حين مات، ذلك أنه لما سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه خبر وفاة أبي بكر جاء باكيًا مسترجعًا حتى وقف على الباب وهو يقول: «رحمك الله يا أبا بكر، كنت

(١) الثقفي، الغارات (٢/ ٣٠٥).

(٢) نهج البلاغة (١/ ١٣٢).

(٣) المجلس، الاعتقادات ق١٧.

والله ألو القوم إسلامًا، وأخلقهم إيمانًا، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدبهم على الإسلام وأحماهم عن أهله، وأنسبهم برسول الله خُلقًا، وفضلًا وهديًا، وصمتًا، فجزاك الله عن الإسلام، وعن رسول الله وعن المسلمين خيرًا، صدقت رسول الله حين كذَّبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وسمَّاك الله في كتابه صدِّيقًا، فقال: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ يريد محمدًا ويريدك، كنت والله للإسلام حِصْنًا، وللكافرين ناكبًا، لم تلن حُجَّتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله العواصف، كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفًا في بدنك، قويًّا في دينك متواضعًا في نفسك عظيمًا عند ذلك، جليلًا في الأرض، كبيرًا عند المؤمنين، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى، فالضعيف عندك قوي، والقوي عندك ضعيف، حتى تأخذ الحق من القوي، وتعطيه للضعيف، فلا حرمنا الله أجرك، ولا أضلنا بعدك».

طَعْن الشيعة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لقد بلغ الأمر بالشيعة أن يسموا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بالكفر والنِّفاق يقول المجلسي: « لا مجال لعاقل أن يشكَّ في كُفر عمر، فلعنه الله ورسوله عليه، وعلى كل من اعتبره مسلمًا، وعلى كل من يكف عن لعنه»[1].

هذا هو عمر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان يهرب من عمر إذا رآه في الطريق» [البخاري].

وهم يدعون على الشيخين بدعاء يُعرف بدعاء صنمي قريش ويقصدون بذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، والسيدة عائشة رضي الله عنها والسيدة حفصة رضي

(١) المجلس، جلاء العيون، ص٤٥.

الله عنها.

يقول ابن سعد في طبقاته كان إسلام عمر عزًّا للمسلمين فأعلنوا شعائر دينهم بعد ما كانوا يُخْفُونها، وفرَّق الله إسلامه بين الحق والباطل ولقَّبه الرسول صلى الله عليه وسلم يومئذٍ بالفاروق[١].

وقال علي عن عمر حين قُتِل: «لقد أقام السُّنَّة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال ولا يستيقن المهتدي»[٢].

طعن الشيعة في عثمان بن عفان رضي الله عنه:

زعم الشيعة أن أشدَّ الأمة حياءً، والرجل الذي تستحي منه الملائكة، عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان منافقًا، وأنه كان كل همَّته بطنه وفرجه وهذا افتراء بالغ على الخليفة الثالث رضي الله عنه يقول نعمة الله الجزائري الشيعي: «عثمان كان في زمن النبيِّ صلى الله عليه وسلم وآله ممن أظهر الإسلام وأبطن النفاق»[٣].

وقال بخاري الشيعة الكليني في كتابه الكافي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في إحدى خُطَبِه: «سبق الرجلان [يعني أبو بكر وعمر رضي الله عنهما] وقام الثالث. يقصد عثمان بن عفان رضي الله عنه كالغراب، همته بطنه وفرجه يا ويحه لو قصَّ جناحاه، وقطع رأسه لكان خيرًا له».

---

(١) طبقات ابن سعد، (٣/ ٢٧).

(٢) نهج البلاغة ص٥٠٩.

(٣) الجزائري الشيعي، الأنوار النعمانية (١/ ٨١).

ولقد اتَّهم الشيعة عثمان رضي الله عنه بأشدِّ التُّهم سوءًا وسمُّوه «نعثلًا» و«نعثل» هو ذكر الضباع، لشبه أخلاقه بأخلاق النعثل فذكر الضباع -كما زعموا- إذا صاد صيدًا قاربه -أي جامعه- ثم أكله وعثمان في زعمهم الكاذب فعل ذلك «أتىٰ بامرأة لتحد فقاربها ثم أمر برجمها»[1].

إن أي مؤمن صادق الإيمان لا يمكنه أن يصدق مثل هذه الافتراءات الكاذبة علىٰ الرجل الذي تستحي منه الملائكة وقال عنه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه أصدق الأمة حياءً، حيث قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أرحم أمتي أبو بكر وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياءً عثمانَ» [أخرجه أحمد]. وأخرج أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رقية رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من عندي آنفًا، فرجلت رأسه، فقال: «كيف تجدين أبا عبد الله يعني عثمان؟» قالت: قلت: كخير الرجال، قال: «أكرميه، فإنه من أشبه أصحابي خُلقًا».

وفي رواية أخرىٰ أن التي قالت هذه المقالة أم كلثوم أختها وليست رقية رضي الله عنهما.

مناقب عثمان وفضائله:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كُنَّا في زمن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدًا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم لا نُفاضل بينهم. [البخاري].

وعن ابن شهاب عن يحيىٰ بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن

(١) البياض، الصراط المستقيم (٣/ ٣٠).

عائشةَ زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان حدَّثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُضَّطجع على فراشه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس، وقال لعائشة اجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله، ما لي أراك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عثمانَ رجل حَيِيّ وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته» [رواه مسلم].

وعن محمد بن أبي حرملة عن عطاء، وسليمان ابني يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوَّى ثيابه قال محمد ولا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث فلما خرج، قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» [رواه مسلم].

عن أبي موسى الأشعري قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط من حائط المدينة وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين إذ استفتح رجل فقال: «افتح وبشِّره بالجنة»، قال: فإذا أبو بكر ففتحت له وبشَّرته بالجنة، قال: ثم استفتح رجل آخر فقال: «افتح وبشره بالجنة»، قال: فذهبت فإذا هو عمر ففتحت له وبشَّرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر، قال: فجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

«افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون»، قال: فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان، قال: ففتحت وبشَّرته بالجنة قال: وقلت: الذي قال فقال: اللهمَّ صبرًا والله المستعان. [رواه مسلم].

عن قتادة أن أنسًا رضي الله عنه حدَّثهم قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم أُحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف، وقال: «اسكن أُحد -أظنه ضربه برجله- فليس عليك إلا نبي وصدِّق وشهيدان» [رواه البخاري].

و عن أبي عبد الرحمن أن عثمانَ رضي الله عنه حين حُوصِرَ أشرف عليهم، وقال: (أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حفر بئر رومة فله الجنة؟» فحفرتها ألستم تعلمون أنه قال: «مَنْ جهَّز جيش العسرة فله الجنة؟» فجهزته قال: فصدَّقوه بما قال). [رواه البخاري].

عن أبي مسعود الجريري عن ثمامة بن حزن القشيري قال: شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان، فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم عليَّ قال: فجيء بهما فكأنهما جملان أو كأنهما حماران، قال: فأشرف عليهم عثمان، فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِمَ المدينةُ وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال: «مَنْ يشتري بئر رومة فيجعل دوله مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة » فاشتريتها من صُلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب حتى أشرب من ماء البحر، قالوا: اللهمَّ نعم، قال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة» فاشتريتها من صُلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين، قالوا: اللهمَّ نعم. قال: أنشدكم بالله والإسلام

هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا: اللهم نعم، ثم قال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، قال: فركضه برجله، وقال: «ساكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»، قالوا: اللهم نعم، قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد ثلاثًا. [رواه الترمذي].

وعن عثمان بن عبد الله بن موهب: إن رجلًا من أهل مصر حجَّ البيت فرأى قومًا جلوسًا فقال: من هؤلاء قالوا: قريش قال: فمن هذا الشيخ، قالوا: ابن عمر فأتاه، فقال: إني سائلك عن شيء فحدثني أنشدك الله بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان فرَّ يوم أُحد، قال: نعم، قال: أتعلم أنه تغيَّب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها، قال: نعم، قال: أتعلم أن تغيَّب يوم بدر فلم يشهدها، قال: نعم، قال: الله أكبر، فقال له ابن عمر: تعال، أبين لك ما سألت عنه أما فِراره يوم أُحد فأشهد أن الله قد عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه يوم بدر فإنه كانت عنده أو تحته ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لك أجر رجل شهد بدرًا وسهمه» وأمره أن يخلف عليها وكانت عليلة، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكان عثمان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان إلى مكة وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان وضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان، قال له: اذهب بهذا الآن معك».

ولقد كان عهد عثمان رضي الله عنه عهد فتوحات كُبرى، ففي عهده فُتِحَت أرمينية وأذربيجان وإفريقية وفُتحت جزيرة قبرص، وقد جَمَع صُحف القرآن الكريم التي كانت محفوظة عند السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما، ونسخها

في مصحف واحد بمعرفة زيد بن ثابت رضي الله عنه مع آخرين من حفظة القرآن الكريم، وكان رضي الله عنه سمحًا، دمث الخلق كريمًا، حسن العشرة، فأحبه قومه حبًّا شديدًا فكانت المرأة منهم ترقص ولدها قائلة له أحبك والرحمن... حب قريش لعثمان.

طعن الشيعة في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

لقد طَعَن الشيعة في معاوية رضي الله عنه طعنًا شديدًا بألفاظ يصعب علينا ذكرها، واتَّهموه بتهم قاسية ظالمة، وإن السُّنَّة الصحية تذكر بعض أفضال ومناقب معاوية فقد أخرج الإمام أحمد بن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهمَّ علِّم معاوية الكتاب وقِهِ العذاب» [أحمد] وروى الترمذي في فضائل معاوية أنه لما تولى أمر الناس كانت نفوسهم لا تزال مشتعلة عليه، فقالوا: كيفت يتولى معاوية وفي الناس من هو خير منه، مثل: الحسن، والحسين، قال عمر وهو أحد الصحابة: لا تذكروه إلا بخير فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهمَّ اجعله هاديًا مهديًّا واهد به» [الترمذي].

وأخرج الأجري بسنده إلى الجراح الموصلي، قال: سمعت رجلًا يسأل المعافى بن عمران، فقال: يا أبا مسعود، أين عمر بن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان؟! فرأيته غضب غضبًا شديدًا، وقال: لا يقاس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد، معاوية رضي الله عنه كاتبه وصاحبه وصهره وأمينه على وحيه عز وجل، وأيضًا أخرج الأجري بسنده إلى أبو أسامه، قيل له: أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاس بهم أحد.

يقول الشيعة: إن معاوية أجبر المسلمين بالقوة على بيعة ابنه شارب الخمر الفاسق يزيد.

والحقيقة: إن يزيد لم يكن شارب خمر ولا فاسقًا كما شهر ذلك بواسطة الدعاية الشيعية المنظمة، ومن العجيب أن الذي دافع عن هذه التهمة الملصقة بيزيد أحد أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هو محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية.

يقول الإمام ابن كثير في البداية والنهاية: «لما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد ابن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع: إن يزيدَ يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب، فقال لهم: ما رأيت منه ما تنكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظبًا على الصلاة متحريًا للخير يسأل عن الفقه ملازمًا للسُّنَّة، فقالوا: فإن ذلك كان منه تصنعًا لك، فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إلي الخشوع؟ أفاطلعكم على ما تذكرون من شُرب الخمر؟ ... فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه وإن لم يكن أطلعكم فيما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلمون قالوا: إنه عندنا لحق وإن لم يكن رأيناه فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ولست من أمركم في شيء، قالوا: فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نوليك أمرنا، قال: ما استحل القتال على ما تريدونني عليه تابعًا ولا متبرعًا، فقالوا: فقد قاتلت مع أبيك، قال: جيئوني بمثل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه، فقالوا: فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا، قال: لو أمرتهما قاتلت. قالوا: فقم معنا مقامًا نحض الناس فيه على القتال، قال: سبحان الله!! آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضها إذا ما نصحت لله في عباده، قالوا: إذا نكرهك، قال: إذا آمر الناس

بتقوى الله ولا يرضون المخلوق بسخط الخالق، وخرج إلى مكة».

إن معاويةَ لم يقاتل عليًّا إلا في أمر عثمان؛ لأنه ولي دم عثمان واستند إلى النصوص النبوية التي تظهر أن عثمانَ يقتل مظلومًا ويصف الخارجين عليه بالمنافقين إشارة إلى ما رواه الترمذي وابن ماجه عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عثمان! إن ولاك الله هذا الأمر يومًا، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمَّصك الله، فلا تخلعه». يقول ثلاث مرات: وقد شهد كعب بن مرة أمام جيش معاوية بذلك، فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قمت -أي ما قمت بالقتال بجانب معاوية للقصاص من قتلة عثمان- وذكر الفتن فقر بها فمرَّ رجل مقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذٍ على الهدى.

فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه، فقلت: هذا؟ قال: نعم.

وعن عبد الله بن شقيق بن مرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تهيج على الأرض فتن كصياصي البقر» فمر رجل متقنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا وأصحابه يومئذٍ على الحق» فقمت إليه فكشفت قناعة وأقبلت بوجهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، هو هذا؟ قال: «هو هذا». قال: فإذا بعثمان بن عفان، وقد رأى معاوية أنصاره أنهم على الحقِّ بناءً على ذلك.

أما مسألة إجبار معاوية الناس على بيعة ابنه يزيدْ فتحتاج إلى نظر كبير، خصوصًا وإن لم يكن مجبرًا للناس على البيعة وإنما عزم على الأخذ بعقد ولاية عهده ليزيد وقد تم له ذلك، فقد بايع الناس لابنه يزيد بولاية العهد عدا الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وتُوفي دون أن يرغمهما على

البيعة، ثم إنَّ الحسن بن علي شقيق الحسين صالح معاوية وبايعه على الخلافة.

المبحث الأول

في مسألة الإمامة

أولًا: الإمامة – تعريفها اللغوي والاصطلاحي:

يقول ابن منظور في لسان العرب: «الإمام كلُّ من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين... والجمع: أئمة، وإمام كل شيء قيمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية»[١].

ويقول صاحب القاموس المحيط مجد الدين الفيروز آبادي الإمامة في اللغة: مصدر من الفعل «أمَّ» تقول: أَمَّهم وأمَّ بهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام: كل ما ائتم به من رئيس أو غيره[٢].

ومن ناحية الاصطلاح فقد عرَّفها ابن خلدون في مقدمته بأنها حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فيه في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به[٣].

---

(١) ابن منظور «جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم» لسان العرب، مادة: أمم (١٢/ ٢٤) نشر دار صادر، ودار بيروت، ط، ١٣٨٨هـ.

(٢) الفيروز آبادي «مجد الدين محمد بن يعقوب» القاموس المحيط، تحقيق: محمد مصطفى أبو العلا، (٤/ ٧٨)، نشر دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص١٩٠، طبعة دار الباز بمكة المكرمة ١٣٩٨هـ.

ويقول الإمام الماوردي: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»[١].

الخلافة... والإمامة

هناك تقارب وترادف بين لفظي الخلافة والإمامة فمعناها واحد وقد سميت الخلافة خلافة: «لأن الذي يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين بخلف النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة شئون المسلمين، وتسمَّى الإمامة؛ لأن الخليفة كما يسمَّى إمامًا؛ ولأن طاعته واجبة؛ ولأن الناس يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم للصلاة»[٢].

وفي القرآن الكريم نجد لفظ إمام وأئمة... قال تعالى: ﴿ قال إني جاعلك للناس إمام قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقال عز من قائل: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقال أيضًا: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [القصص: ٤١] أي: من سار على نهجهم ودربهم فهو معهم في النار يوم الدين.

والحقيقة: إن الصحابة والتابعين لم يفرقوا أبدًا بين لفظ خليفة وإمام، وعلى ذلك فإن كثيرًا من العلماء رادفوا بين اللفظين، ويقول العلَّامة ابن خلدون: «وإذا قد بيَّنا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة

(١) الماوردي «علي بن محمد» الأحكام السلطانية ص٥، طبعة الحلبي القاهرة ١٣٩٣هـ.
(٢) أبو زهرة، الشيخ محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية (١/ ٢١)، طبعة دار الفكر العربي.

الدنيا به تسمَّىٰ خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإمام»[١].

ومنذ ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنه استخدمت الرعية لفظ أمير المؤمنين. ولهذا يقول الإمام النووي رحمه الله: «يجوز أن يُقال للإمام: الخليفة والإمام وأمير المؤمنين»[٢].

وروي أن لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم رضي الله عنهما لما قَدِما إلىٰ المدينة، قالا لعمرو بن العاص: استأذن لنا أمير المؤمنين، فقال: أنتما والله أصبتما اسمه، فهو الأمير ونحن المؤمنون، فدخل عمرو علىٰ عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ما هذا؟

فقال: أنت الأمير، ونحن المؤمنون، فجرىٰ الكتاب من يومئذٍ[٣].

وإننا نتفق مع الرأي الذي يقول بالترادف بين ألفاظ: الإمام والخليفة وأمير المؤمنين، ولا نتفق مع رأي الشيعة الذين يحاولون دائمًا التفريق بين الإمامة والخلافة؛ لأن الخلافة عندهم سُلطة زمنية والإمامة سلطة دينية، وزمنية، بل ركن من أركان الدين الإسلامي.

يقول الزنجاني في كتابه: «عقائد الإمامية الاثنىٰ عشرية»: «تعتقد الشيعة الإمامية الاثنىٰ عشرية أن الإمامة رئاسة في الدين والدنيا ومنصب إليه يختاره الله

---

(١) ابن خلدون المقدمة، ص١٩٠، طبعة دار الباز بمكة المكرمة ١٣٩٨هـ.

(٢) النووي يحيىٰ بن شرف الدين: روضة الطالبين (١٠/ ٤٩)، نشر المكتب الإسلامي بيروت.

(٣) رواه الطبراني والهيثم عنه في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٦١)، رجاله رجال الصحيح، ط٢٠، ١٤٠٢هـ دار الكتاب العربي، بيروت.

تعالى بسابق علمه، وبأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم باتباعه»[١].

فالإمامة عند الشيعة أصل من أصول الدين ومنصب إلهي يتولى فيه الإمام رئاسة الدين ورئاسة الدنيا معًا، والإمام عندهم مختار من الله ولا دخل للناس في اختياره ومن هنا وجبت عندهم طاعته.

الإمامة... والخلافة عند أهل السُّنَّة والجماعة

يخالف الشيعة الإمامية أهل السُّنَّة والجماعة في مسألة الإمامة والخلافة، ذلك أن الإمامة والخلافة عند جمهور المسلمين ليست من أركان الدين الإسلامي بل هي من الواجبات.

يقول الإمام ابن تيمية: «إنَّ الخلافةَ والإمامة» من الأمور الواجب على المسلمين إقامتها ديانة فلا تبرأ ذمتهم إلا إذا قام على مجتمعهم خليفة أو حاكم... ويجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا يقام الدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا باجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد عند رأس حتى قال صلى الله عليه وسلم: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا واحدًا»[٢] وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر: «لا يحل لثلاثة أن يكونوا بفلاة من الأرض إذا أمَّروا عليهم أحدهم».

فأوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل

---

(١) الزنجاني، السيد إبراهيم الموسوي، عقائد الإمامية الاثنى عشرية، ص٧٢.

(٢) أبو داود: سنن (٢/ ٣٦)، رواه أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة.

العارض في السفر تنبيهًا على سائر أنواع الاجتماع.. فالواجب اتخاذ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقريب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات[١]. الإمامة والخلافة عند أهل السُّنَّة والجماعة من الواجبات وليست أصلًا من أصول الدين أو ركنًا من أركانه كما يدَّعي الشيعة.

مسألة وجوب الإمامة:

هناك إجماع بين المسلمين وعلمائهم وفقهائهم على وجوب نصب الإمام عدا رأي شاذ فرق النجدات من الخوارج، وقول لهشام بن عمر الفوطي البصري من الطبقة السادسة من المعتزلة وأبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم وهو أيضًا من الطبقة السادسة من المعتزلة، قال الإمام القرطبي: «ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة، إلا ما روي عن الأصم، حيث كان عن الشريعة أصم، وكذلك كل من قال بقوله واتبع على رأيه ومذهبه»[٢].

ويقول الإمام ابن حزم الأندلسي: «اتَّفق جميع أهل السُّنَّة وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشرعية التي أتى بها -رسول الله صلى الله عليه وسلم- حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة، وأن عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم»[٣].

---

(١) ابن تيميَّة: السياسة الشرعية ص١٨٥، ١٨٦ طبعة دار الشعب بالقاهرة.

(٢) القرطبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٦٤) طبعة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، ١٣٨٧هـ.

(٣) ابن حزم الأندلسي أبي محمد علي بن أحمد، الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل (٤/ ٨٧)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٥هـ.

من ذلك نعلم أن علماء المسلمين يجمعون على وجوب الإمام ليقيم العدلَ بين الناس ويحكم بينهم بكتاب الله وسُنَّته، ولم يخالف جماعة المسلمين إلا بعض شذاذ الآراء والمواقف كالأصم والفوطي والمعتزلة والنجدات من الخوارج، وهذا رأي لا يُؤبَه به ولا يحسب على الاتجاه العام لدى المسلمين وفقهائهم وعلمائهم.

الأدلة من القرآن الكريم والسُّنَّة على وجوب الإمامة:

يقول الله تعالى: ﴿ يأأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [النساء: ٥٩]. والمقصود بأولي الأمر هم: الحُكَّام والأمراء، وأئمة المسلمين، وإن الأمر بطاعة أولي الأمر لدليل واضح على وجوب وجود الأئمة ونصبهم فالله سبحانه وتعالى لا يأمر بطاعة أُناس لا وجود لهم، وهذا يعني دليلًا على وجوب وجود الأئمة.

ثُمَّ إنَّ سائر آيات الحدود والقصاص وغيرها من آيات الأحكام تستلزم وجود إمام حاكم يستطيع تنفيذ حدود الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

يقول الأستاذ عبد الدميجي: «الواقع أن جميع الآيات القرآنية التي نزلت بتشريع حكم من الأحكام التي تتعلق بموضوع الإمامة وشئونها جاءت على أساس أن قيام الإمامة الشرعية والقيادة العامة في المجتمع الشرعي شيء مفروغ من إثباته ولا نقاش في لزومه، ذلك لأن الأحكام المشار إليها من الأمور التي يتوقف امتثالها وتنفيذها على وجود الإمام؛ لأنها من مسئولياته ووظائفه، فتشريع، مثل هذه الأحكام يلزمه مُسبقًا المفروغية من تشريع حكم لزوم الإمامة وقيام الدولة الإسلامية في المجتمع الإسلامي من بديهيات وضروريات الشريعة الإسلامية»[1].

(١) الدميجي، عبد الله بن عمر بن سليمان، الإمامة العظمى عند أهل السُّنَّة والجماعة، نشر دار

ومن أدلة السُّنَّة على وجوب نصب الإمام الحديث الذي رواه مسلم في كتاب الإمارة: «مَنْ مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[١]، ومن المعلوم أن البيعة لا تكون إلا لإمام، ولذا فإن نصب الإمام واجب، والله سبحانه وتعالى يأمرنا بقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧]. وبعد فقد أجمع الصحابة والتابعون من بعدهم على وجوب الإمامة.

يقول العلَّامة ابن خلدون: «نصب الإمام واجب، وقد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من الأعصار، واستقر ذلك إجماعًا دالًا على وجوب نصب الإمام»[٢].

وقال الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية: «وعقدها يقصد الإمامة لمن يقوم بها واجب بالإجماع، وإن شذَّ عنهم الأصم»[٣].

هذا ولقد دَلَّتْ الظروف وتجارب الأمم والشعوب والناس أنه لا بد من إمام يقود الناس ويحميهم ويدفع عنهم غائلة الأيام فكانت الإمامة واجبة لدفع الأضرار عن الناس يقول أبو حامد الغزالي: «إنَّ الدنيا والأمن على الأنفس والأموال لا

طيبة للنشر الرياض، ط، ثانية ١٤٠٩هـ.

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة باب «وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء» حديث رقم ١٨٥١، ٣/ ١٤٧٨ ترقيم وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٤هـ.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، دار الباز للنشر والتوزيع بمكة المكرمة ١٣٩٨هـ.

(٣) الماوردي، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي: الأحكام السلطانية ص٥، تحقيق محمد حامد الفقي نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة، ١٣٨٦هـ.

ينتظم إلا بسلطان مُطاع، فتشهد له مشاهدة أوقات الفتن بموت السلاطين والأئمة، وإن ذلك لو دام ولم يتدارك بنصب سلطان آخر مُطاع دام الهرج وعمَّ السيف وشمل القحط وهلكت المواشي وتعطَّلت الصناعات وكان كل من غلب سلب، ولم يتفرغ أحد للعبادة والعلم إن بقي حيًّا، والأكثرون يهلكون تحت ظلال السيوف... فبان أن السلطان ضروري في نظام الدين ونظام الدنيا، ونظام الدنيا ضروري في نظام الدين، ونظام الدين ضروري في الفوز بسعادة الآخرة، وهو مقصود الأنبياء قطعًا فكان وجوب الإمام من ضروريات الشرع الذي لا سبيل إلى تركه»[1].

ولهذا فإن الإمامة واجبة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع ولم يشذ عن ذلك الرأي إلا كل صاحب رأي شاذ ومعتقد غريب عن الفكر الإسلامي الصحيح.

ثانيًا: الإمامة أصل من أصول الدين وركن من أركانه عند الشيعة

الإمامة عند الشيعة أصل من أصول الدين فلا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بالإمامة، بل إن إنكار الإمامة عندهم شر من إنكار النبوة.

يقول عالمهم الحلي: «الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حيي بخلاف الإمام... وإن إنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص»[2].

---

(١) الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، طبعة مصر ١٣٩٣هـ.

(٢) الحلي: الحسن بن يوسف بن المطهر: الألفين في إمامة أمير المؤمنين (١/ ٣)، تعليق محمد حسين المظفر، المطبعة الحيدرية في النجف، سنة ١٣٧٢هـ.

والأئمة عند الشيعة هم أبواب الله والإدلاء عليه والشهداء على الناس، فطاعتهم طاعة لله، وأمرهم أمره، ونهيهم نهيه، وعصيانهم عصيان له تعالى، فيجب الائتمار بأمرهم والتسليم لقولهم وفعلهم فهم الطريق إلى الله ولهذا يجب ألا يخلو عصر من الأعصر من إمام يهدي الناس ويحل محل النبي صلى الله عليه وسلم في سائر وظائفه، فالإمامة استمرار للنبوة عندهم، وقد ذكر المجلسي أن علامتهم المفيد قال: «اتَّفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار»[1].

ويعتبر الشيعة كما قلنا: إن الإمامة منصب إلهي فإن الله يأمر نبيه ليدل على الإمام ويأمرهم باتباعه على ما يقولون، يقول الزنجاني أحد كبار علمائهم: «تعتقد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن الإمامة رئاسة في الدين والدنيا، ومنصب إلهي يختارة الله تعالى بسابق علمه ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يدل الأمة عليه، ويأمرهم باتباعه.

والإمام حافظ الدين وتعاليهم من التغيير والتحريف، وحيث إن الإسلام دين عام خالد كلف به جميع عناصر البشر وتعاليهم فطرية أبدية أراد الله بقاءه إلى آخر الدنيا فلا بد أن ينصب الله إمامًا لحفظه في كل عصر وزمان، لكي لا يتوجَّه نقض المستحيل على الحكيم -تعالى- ومن أجله أمر الله نبيه بأن ينص على عليّ رضي الله عنه بقوله: ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ ثم أحد عشر إمامًا من ولد علي، ظاهرًا مشهورًا، أو غائبًا مستورًا، وهذه سُنَّة الله في جميع الأزمان، وفي جميع الأنبياء من لدن آدم -إلى الخاتم- صلى الله عليهم

(١) المجلسي، المولى محمد باقر: بحار الأنوار (٢٣/ ٢٧٠)، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، سنة ١٣٨٥هـ.

أجمعين»[١].

ويجمع الشيعة على هذا المبدأ، وهو أن الإمامة ركن من أركان الدين، وهذا بخاريهم الكليني في «الكافي» يروي بسنده عن أبي جعفر قال: «بُني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نُودي بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه – يعني الولاية»[٢].

وهذا الحديث عندهم موثق صحيح، وذلك كذب واضح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يعتبرون الولاية أي إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبقية الأئمة الاثنى عشر ركن الإسلام الخامس، وأكثر من ذلك.

قول أبي جعفر: «ولم يناد بشيء كما نُودي بالولاية» مع أن أحدًا من الصحابة أو التابعين لم يَرِد عنه مثل هذا الإفك والافتراء على أبي جعفر وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بل إن الشيعة تعتبر أن الولاية أفضل أركان الإسلام الخمسة فيروي الكليني في «كافيهم»[٣]، أو «كافيه» عن زرارة عن أبي جعفر قال: «بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة، والحج والصوم والولاية، قال زرارة وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل»[٤]. وهذا الحديث عندهم درجته الصحيح، ومعنى ذلك الحديث أن ولاية الاثنى عشر أفضل عند الله من الصلاة والزكاة

(١) الزنجاني: السيد إبراهيم الموسوي، عقائد الإمامية الاثنى عشرية ص٧٢.

(٢) الكليني «الكافي» كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، (٢/ ١٨)، رقم ٣.

(٣) أي «الكافي»، وأقصد كافي الشيعة.

(٤) الكليني: «الكافي»، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام (٢/ ١٨).

والصوم والحج، وهذا ما لم يقل به مسلم خالص الإسلام لله تعالى.

وقال المجلسي في كتابه (بحار الأنوار): «وقد وردت أخبار متواترة أنه لا يُقبل عمل من الأعمال إلا بالولاية»[1].

وهذا كلام عجيب فهل مسألة ولاية علي وباقي الأئمة الاثنى عشر أهم من الإيمان بالله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف لا يُقبل عمل من أعمال المؤمنين إلا بولاية أئمة الشيعة لو كان هذا صحيحًا لعلمه الصحابة والتابعون ولأثر عنهم ذلك، لكن لم يُعرف عن الثقات العدول مثل هذا القول على الإطلاق، وكيف يقول مؤمن عاقل بأن الإيمان بولاية علي وأئمة الشيعة الاثنا عشرية أهم من الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث الذي أشرت إليه: «... قال زرارة: فقلت: وأي شيء أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال: الصلاة عمود دينكم»[2].

هكذا... فإن الشيعة يؤكدون على أن الولاية أي الإمامة أفضل من أركان الإسلام الأخرى... مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر الإمامة لا في أركان الإسلام أو الإيمان أو الإحسان طبقًا لحديث جبريل حينما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وهو حديث متفق عليه.

---

(١) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار (٨/ ٣٦٩)، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٧هـ.

(٢) الكليني، الكافي الإيمان والكفر، حديث رقم (٥/ ١٨).

فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشترط في الإيمان معرفة الإمام.

ومع ذلك فإن صاحب الكافي وهو بخاري الشيعة يذكر حديثًا بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام.. قال: «من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليًّا عليه السلام»(١).

وهذا كذب آخر على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه يخالف هذا المعنى تمامًا فقد روي عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر بن مطيع حين كان من أمر «الحرة» ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثًا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله، سمعته يقول: «من خلع يدًا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حُجَّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»(٢).

وهذا الحديث في صحيح مسلم تحت باب وجوب جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وأنه لا يجوز مخالفة الأمراء والخروج عليهم بالسيف فإن يزيد بن معاوية مع شدته وقسوته مع أهل الحرة، لكن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، نصح عبد الله بن مطيع بن الأسود بألا يخلع يده من طاعته وبيعته لأن «من خلع يدًا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، وما مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية». فرق شاسع بين حديث مسلم، وحديث الكليني: «من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عليًّا عليه السلام»،

(١) الكليني، الكافي (٢/ ١٧)، حديث رقم ٢ بإسناده عن أبي جعفر.
(٢) صحيح مسلم: (٣/ حديث رقم ١٤٧٨).

ويقصد أن من مات مُنكرًا لإمامة علي رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ميتة جاهلية، أي: كافرًا.

يقول الإمام الشيعي الطوسي في تلخيص الشافي: «دفع الإمامة كفر كما أن دفع النبوة كفر؛ لأن الجهل بهما على حدٍّ واحد»[1].

ويرد الإمام ابن تيمية على زعم الشيعة بأن الإمامة ركن الدين بقوله: «إن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فالكافر لا يصير مؤمنًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وهذا هو الذي قات عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الكفار أولًا، كما استفاض عنه في الصحاح وغيرها أنه قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»، وفي وراية: «ويقيموا الصلاة ويأتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»[2].

ومن المتواتر أن الكفار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا أسلموا أجرى عليهم أحكام الإسلام ولم يذكر لهم الإمامة بحال، ولا نقل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد من أهل العلم: لا نقلًا خاصًّا ولا عامًّا، بل نحن نعلم بالاضطرار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يذكر للناس إذا أرادوا الدخول في دينه الإمامة لا مطلقًا، ولا معينًا، فكيف تكون أهم المطالب

---

(١) الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن: تلخيص الشافي، تعليق حسين بحر العلوم، دار الكتب الإسلامية رقم ط٣٠ ١٣٩٤هـ (٤/ ١٣١).

(٢) الحديث رواه البخاري (١/ ١٠)، كتاب الإيمان: باب «فإن تابوا وأقاموا الصلاة».

في أحكام الدين»[١].

الإمامة والنوبة عند الشيعة الاثنا عشرية:

نذكر دائمًا أن الشيعة يؤكدون على أن الإمامة ركن من أركان الدين الإسلامي، وأنها منصب إلهي من اختيار الله سبحانه وتعالى، فكما يختار سبحانه وتعالى رسله فإنه يختار للإمامة من يشاء وينصبه إمامًا للناس[٢].

يقول أحد علماء الشيعة محمد الحسين كاشف الغطاء في كتابه أصل الشيعة وأصولها: «إن الإمامة منصب إليه كالنبوة فكما أن الله يختار للنبوة من يشاء فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه»[٣].

فالإمامة عندهم استمرار للنبوة، ولهذا فإن للإمام الشيعي حق التشريع؛ لأنه معين ومنصوص عليه من قِبَل الله تعالى، فالإمامة امتداد للنبوة ومن هنا وجبت طاعة أئمة الشيعة فيما يأمرون به والانتهاء عن كل ما ينهون عنه، ومنزلة الإمام عندهم كمنزلة النبي.

يقول عالمهم محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامة: «نعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه من الصلاح والسعادة في النشأتين وله ما لي من الولاية

---

(١) ابن تيمية: منهاج السُّنَّة، (١/ ٧٥، ٧٧) باختصار.

(٢) سنبين إن الله قولهم بعصمة أئمتهم عن المعاصي وعن الخطأ والنسيان واعتقادهم بإحاطة الإمام بعلم كل شيء.

(٣) كاشف العطاء، «أصل الشيعة وأصولها»، ص٩٨، ٩٩.

العامة على الناس لتدبير شئونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم... ولا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى سواء أبى البشر أم لم يأبوا وسواء ناصروه أم لم يناصروه، وأطاعوه أم لم يطيعوه، سواء كان حاضرًا أم غائبًا عن أعين الناس»[١].

فالإمامة ليست باختيار الناس وإنما باختيار الله تعالى فكما يختار رسله يختار أئمته والدليل الذي يوجب إرسال رسله هو نفسه ويوجب كذلك اختيار ونصب الأئمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم.

وإذا كانت الإمامة عند الشيعة منصب إلهي كالنبوة فما هو الفرق عندهم بين الرسول والنبي والإمام؟ يجيب الكليني فيذكر عن إمامهم الإمام الرضا: «الفرق بين الرسول والنبي والإمام: أن الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأي الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص»[٢]، وفي الشافي شرح أصول الكافي «الحدث صحيح إسناده»[٣].

ومعنى ذلك أن الوحي يصل إلى الإمام كالرسول والنبي مع اختلاف في الوسيلة، وإن كان هناك بعض علماء الشيع لا يجدون فرقًا في الوسيلة فإن في قدرة الإمام رؤية الملك كالرسول والنبي.

---

(١) محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية ص٤٩، ٥٠، دار الغدير للطباعة ١٣٩٣هـ.

(٢) الكليني، الكافي (١/ ١٧٦).

(٣) الشافي شرح أصول الكافي (٣/ ٢٩).

فينقل عالمهم المجلسي عن الصادق أنه قال: «إن الملائكة لتنزل علينا في رحالنا وتتقلب على فرشنا، وتحضر موائدنا وتأتينا في وقت كل صلاة لتصليها معنا»[1].

ومعنى ذلك أنه ليس هناك فرق بين الإمامة والنبوة، بل إن المجلسي يشير إلى ذلك حين يقول: «ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة -أي الأئمة- إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامية»[2]، بل إن درجة الأئمة أحيانًا تفوق درجة الأنبياء حتى إن الأنبياء استشفعوا بهم فشفعوا فيروى المجلسي عن فضال عن أبيه عن الرضا (ع) قال: «لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق، ولما رمى إبراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه بردًا وسلامًا، وإن موسى عليه السلام لما ضرب طريقًا في البحر دعا الله بحقنا فجعله يبسًا، وإن عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا بحقنا فنجي من القتل فرفعه إليه»[3].

ويصف الدكتور السالوس أئمة الشيعة الاثنى عشرية بأنهم «هم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، وهم الشدهاء على الناس، وأبواب الله، والسبل إليه والأدلاء عليه. فأمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على الرسول، والرد على الرسول الرد على الله تعالى، فيجب التسليم لهم، والانقياد لأمرهم، والأخذ بقولهم، ولذا فإن الجعفرية (الشيعة الاثنى عشرية) يعتقدون أن الأحكام الشرعية الإلهية لا تستقي إلا من نمير أئمتهم، ولا يصح أخذها إلا منهم،

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٦/ ٣٥٦).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار (٢٦/ ٢٨).

(٣) المجلسي، بحار الأنوار (٢٦/ ٣٢٥).

ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم، ولا يطمئن بينه وبين الله تعالى إلى أنه قد أدى ما عليه من التكاليف المفروضة إلا من طريقهم... وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعنيه الله هاديًا ومرشدًا لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه»[1].

الإمامة لطف في الدين عند الشيعة الاثنى عشرية:

يقول الشريف المرتضى على الموسوي الشيعي في كتابه الشافي في الإمامة: «الإمامة عندنا لطف في الدين، والذي يدل على ذلك أنا وجدنا أن الناس متى خلوا من الرؤساء ومن يفزعون إليه في تدبيرهم وسياستهم اضطربت أحوالهم، وتكدرت عيشتهم وفشا فيهم فعل القبيح، وظهر منهم الظلم والبغي، وأنهم متى كان لهم رئيس أو رؤساء يرجعون إليه في أمورهم كانوا إلى الصلاح أقرب، ومن الفساد أبعد، وهذا أمر يعم كل قبيل وبلدة وكل زمان وحال، فقد ثبت أن وجود الرؤساء لطف بحسب ما نذهب إليه»[2].

وبالطبع فإنه يقصد بقوله بأن الإمامة لطف في الدين أي أنها لطف من الله تعالى واجب عليه.

والحقيقة أن دليل الشيعة وقولهم بأن اللطف على الله تعالى واجب، ووجود

---

(١) د/ السالوس، علي: «أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله» دار وهدان للطباعة والنشر القاهرة ص٣٢، ط ثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٢) الموسوي الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي، الشافعي في الإمامة ج١ تحقيق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، راجعه السيد فاضل الميلاني، نشر مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران إيران ١٣١٠هـ.

الإمام في كل زمان لطف من الله تعالى بعبادة إنما هو دليل فاسد لا أساس له من الصحة؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يجب شيء عليه تعالى الله عز وجل عن وجوب شيء عليه علوًّا كبيرًا.

كذلك قوله بأن العقل دلَّ على أنه يجب على الله تعالى أن يفعل بعباده ما هو الأصلح له ولا يتم ذلك إلا بنصب الإمام فهذا دليل باطل أساسًا لأنه كما أشرنا من قبل فإنه لا يجب على الله شيء، مثل فعل اللطف والأصلح، للناس، تعالى الله سبحانه وتعالى عما يصفون.

فإن من سوء الأدب مع الله تعالى أن يقول الإنسان يجب على الله فعل الأصلح أو أن اللطف واجب عليه، فالله سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] لأن الله سبحانه وتعالى: ﴿ فعل ما يشاء ﴾[إبراهيم: ٢٧].

الحقيقة أن هذا الأسلوب فيه جفاء مع الله ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٤].

وقول أحد أئمة الشيعة وهو الطوسي: «وإنما يجب على الله خلق الإمام، وإيجابه علينا طاعته ليتمكن من التصرف»[1] قول فيه سوء أدب واضح من الله سبحانه وتعالى الذي لا يجب عليه شيء أبدًا كما أشرنا من قبل.

ويردد الشيعة دائمًا قولًا معروفًا هو أنه يجب على الله أن يجعل للناس إمامًا معصومًا ليكون لطفًا ومصلحة في التكليف –ومن المعروف أنه لم يوجد من بينهم

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، منشورات جمعية منتدى النشر، النجب الأشرف، طبعة ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

حتى الآن وإلى أن يرث الأرض ومن عليها- إمام معصوم جاء معه لطف أو مصلحة في التكليف، وها هم الشيعة الاثنى عشرية ينتظرون منذ أكثر من ألف عام إمامهم المنتظر، الذي لم ينتفع به القوم ولا حصل باعتقادهم به لطف لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ولقد أكد القرآن الكريم على أنه لا معصوم سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إل الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾[النساء: ٥٩].

فعند التنازع أمرنا سبحانه وتعالى بالرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يحصل باتباعه كل مصلحة ولطف، أما هذا المنتظر المفقود الغائب أو أجداده الذين سبقوه في الإمامة فلم يحصل بهم مصلحة أو لطف.

ثالثًا: فكرة المهدي المنتظر بين أهل السُّنَّة والشيعة

إنَّ أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بظهور المهدي فقد وردت أحاديث صحيحة بشأن ظهوره أما مهدي الشيعة الذي ينتظرونه فهو المهدي الغائب في سرداب سامراء كما يزعمون وهو الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري مع أن الإمام الحادي عشر الحسن العسكري لم يترك عقبًا، وقد صفى أخوه جعفر تركته على أنه لم يعقب ولم يترك ولدًا ولا بنتًا وقد نسبوا إلى المهدي معجزات ما أنزل الله بها من سلطان، فتكلم وهو طفل رضيع بأعظم الحكم، وكانت الملائكة تهبط وتصعد وتسلم عليه وتتبرك به، وأنه حين ولد كان مكتوبًا على ذراعه الأيمن: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا» وأن روح القدس طار به ليعلمهم العلم

أربعين يومًا[١] ويعتقد الشيعة في وجود المهدي المنتظر محمد بن الحسن العسكري اعتقادًا جازمًا وأنه يغيث الملهوف إذا دعاه ويجيب المضطر إذا سأله، وأنه صاحب معجزات باهرات، إنه عندهم «وإن كان مخفيًّا عن الأنام ومحجوبًا عنهم، ولا يصل إليه أحد، ولا يعرف مكانه، إلا أن ذلك لا ينافي ظهوره عند المضطر المستغيث به الملتجئ إليه، الذي انقطعت عنه الأسباب وأغلقت دونه الأبواب، فإنه إغاثة الملهوف، وإجابة المضطر في تلك الأحوال، وإصدار الكرامات الباهرة، والمعجزات الظاهرة، فعند الشدة، وانقطاع الأسباب من المخلوقين، وعدم إمكان الصبر على البلايا دنيوية أو أخروية، أو الخلاص من شرِّ أعداء الإنس والجن يستغيثون به، ويلتجئون إليه»[٢].

وبلغت افتراءات الشيعة حول المهدي المنتظر أن زعموا أنه كان ينمو في اليوم الواحد، مثل: نموا غيره فيس سنة كاملة.

قال الطوسي في كتاب الغيبة فيما رواه عن حكيمة عمة الحسن العسكري «بعد أربعين يومًا -أي من مولد المهدي المزعوم- دخلت على أبي محمد (الحسن العسكري) فإذا مولانا الصاحب يمشي في الدار فلم أرَ وجهًا أحسن من وجهه ولا لغة أوضح من لغته، فقال أبو محمد (عليه السلام) هذا المولود الكريم على الله عز وجل. فقلت: سيدي أرى من أمره ما أرى وله أربعون يومًا! فتبسم وقال يا عمتي: أما علمت أن معاشر الأئمة ننشأ في اليوم ما ينشأ غيرنا في السنة، فقمت فقبَّلت رأسه، وانصرفت، ثم عدت وتفقدته، فلم أره فقلت لأبي محمد (عليه السلام) ما

(١) الطوسي: كتاب الغيبة، ص ٢٤٠.

(٢) الشهرودي الشيعي، الإمام المهدي وظهوره ص ٣٢٥.

فعل مولانا؟ فقال يا عمه: استودعناه الذي استودعت أم موسى»[١].

الحقيقة إن الحسن العسكري لم يترك عقبًا كما هو معروف؛ ولأنه لم يعقب «قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر[٢] وهذه رواية محمد بن يعقوب الكليني في أصحّ كتب الشيعة عندهم «الكافي» ومع ذلك فإن الشيعة الاثنى عشرية يزعمون أن الحسن العسكري أنجب محمدًا في «سر من رأى عام ٢٥٥هـ وأن محمدًا هذا غاب بأمر الله عام وفاة والده الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ فهو المهدي الغائب عندهم، ويقولون: إن الله سيظهره ليملأ الدنيا عدلًا بعد أن ملئت جُورًا وظلمًا.

إن مهدي الشيعة الاثنى عشرية عشرية مهدي أهل السُّنَّة والجماعة المشار إليه في الأحاديث الصحيحة الذي هو أهل البيت الكرام ويملك سبع سنين أو ثمانية ويحكم بالعدل والقسطاس المستقيم بين القاهر وهو يخرج في آخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله، وهو من ذرية فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن نسل الحسن بن علي رضي الله عنهما وفي عهده يخرج المسيخ الدَّجال اليهودي ويجوب سائر الأرض كلها إلا مكة والمدينة ويحاول غزو دمشق فينزل المسيح عليه السلام، فيتبع المسيح الدَّجال ويقتله في فلسطين، ويكسر المسيح عيسى الصليب ويقتل الخنزير، ثم يموت المهدي فيحكم بعده عيسى باسم الإسلام أما أهم الأحاديث التي تثبت وجود المهدي عند أهل السُّنَّة والجماعة فهي: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المهدي مني [أي من نسلي]، أجلى الجبة -أي واسع الجبهة- أقنى الأنف، يملأ الأرض قِسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجُورًا، ويملك سبع سنين» [رواه أبو وإسناده صحيح].

---

(١) الطوسي: الغيبة ص٢٤٠.

(٢) الكليني: الكافي (١/ ٥٠٣).

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، تخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعًا أو ثمانيًا- يعني سبع حجج أو ثمانية» [مستدرك الحاكم وقال هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي].

- وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «المهدي من عترتي، من ولد فاطمة» [سنن أبي داود بسند صحيح].

- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المهدي منَّا أهل البيت يصلحه الله في ليلة» [مسند أحمد سند صحيح].

- وروى الإمام أحمد عن زر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي» [مسند أحمد بسند صحيح].

المبحث الثاني

غلو الشيعة في الإمام علي وأئمتهم

يروي الشيعة في كتبهم مئات الأحاديث الموضُوعة في أفضلية علىٍ فيروىٰ شيخهم «المفيد» في «الأمالي» عن أبي إسحاق عن أبيه قال: بينما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جالس في جماعة من أصحابه، إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام نحوه، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في خلقه، وإلىٰ نوح في حكمته وإلىٰ إبراهيم في حلمه فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب[1].

وروىٰ الكليني في كافيهم وصحيحهم تحت باب «أن الأرض كلها للإمام» عن أبي عبد الله أنه قال: «إنَّ الدنيا كلها للإمام» عن أبي عبد الله أنه قال: «إنَّ الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلىٰ من يشاء»[2].

وروىٰ الكليني أيضًا في صحيحه عن عبد الرحمن بن كثير عن جعفر بن الباقر أنه قال: «نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله»[3].

وذكر الكليني أيضًا في «كافيه» قال: كان المفضل عند أبي عبد الله فقال له: جعلت فداك، أيفرض الله طاعة عبد علىٰ العباد، ويحجب عنه خبر السماء؟ فقال له أبو عبد الله: لا، الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده، من أن يفرض طاعة عبد علىٰ العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحًا ومساءً[4].

---

(١) الشيخ المفيد «الأمالي» المجلس الثاني ص١٥، ١٦ طبعة النجف.

(٢) الكليني «الكافي في الأصول» (١/ ٤٠٩)، ط، إيران.

(٣) مرجع سابق ص١٩٣.

(٤) الكليني «الكافي» في الأصول، كتاب الحجة ص٢٢٨.

وهذا يعني أن أئمة الشيعة فرض الله على المسلمين طاعتهم، وأنهم يتساوون مع الأنبياء المرسلين سواء بسواء فهم على ما يقول إمامهم أبو عبد الله يوحى إليهم ويتلقون خبر السماء صباحًا ومساءً دون أي حجاب، وهذا غلو كبير في أئمتهم.

ويروى الكليني في أصول الكافي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث قطُّ إلا بها»، وعن الإمام موسى بن جعفر الصادق أنه قال: «ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يبعث الله رسولًا إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووصية علي رضي الله عنه»[1].

غلو الشيعة في مسألة تكفير من جحد إمامة أمير المؤمنين

وبقية الأئمة الاثنى عشر من بعده

يقول ابن بابويه القمي في الاعتقادات:

«اعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام أنه بمنزلة من جحد بنوة الأنبياء.

واعتقادنا فيمن أقرَّ بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء ثم أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم وآله: «الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي فمن أنكر واحدًا منهم فقد أنكرني»[2].

---

(١) الكليني: أصول الكافي ص٢٧٦.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار (٢٧/ ٦٢)... ويرى الرافضة أن رسول الله صلى الله عليه

وهذا حديث موضُوع لا أساس له من الصحة وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم كعهدنا دائمًا بوضَّاعي الحديث من أئمة الشيعة ومراجعهم وعلمائهم.

ويقول شيخهم المفيد: «اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار»[1].

والشيعة يعتبرون الأئمة الثلاثة خُلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين بشَّرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة يعتبرونهم كفارًا،

وسلم بين الأئمة من بعده اثنا عشر نص عليهم بأسمائهم ثم نص المتقدم منهم على من يخلفه من بعده، وهم:

١- علي بن أبي طالب (المرتضى) ١٠ قبل الهجرة: ٤٠هـ.

٢- الحسن بن علي (الزكي) ٣: ٥٠هـ.

٣- الحسين بن علي (سيد الشهداء) ٤: ٦١هـ.

٤- علي بن الحسين (زين العابدين) ٣٨: ٩٥هـ.

٥- محمد بن علي بن الحسين (الباقر) ٥٧- ١١٤هـ.

٦- جعفر بن محمد بن علي (الصادق) ٨٣-١٤٨هـ.

٧- موسى بن جعفر بن محمد (الكاظم) ١٢٨-١٨٣هـ.

٨- علي بن موسى (الرضا) ١٤٨-٢٠٣هـ.

٩- محمد بن علي بن موسى (الجواد) ١٩٥-٢٢٠هـ.

١٠- علي بن محمد بن علي (الهادي) ٢١٢-٢٥٤هـ.

١١- الحسن بنن علي بن محمد (العسكري) ٢٣٢- ٢٦٠هـ.

١٢- محمد بن الحسن بن علي (المهدي الغائب) ٢٥٦- قيل غاب سنة ٢٦٠هـ: ويقولون إنه سيظل حيًّا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها حتى لا تخلو الأرض من حُجَّة.

(١) المجلسي: بحار الأنوار: (٨/ ٣٦٦).

وذلك في رأيهم لأنهم اغتصبوا الخلافة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضيَ الله عنه.

يقول الإمام الشيعي المجلسي: «إنهم -أي الثلاثة- لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين عن الدين لعنة الله عليهم وعلى من اتبعهم في ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين»[١].

إن كتاب المجلسي «بحار الأنوار» يعتبر عمدة من عُمد الشيعة في الحديث النبوي الشريف، ومَرْجِعًا يستقي منه الشيعة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا ليس عجبًا أن يعتبر الشيعة سائر الأئمة والحُكَّام غير الأئمة الاثنى عشر حكَّامًا جائرين مغتصبين الولاية التي نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابها الأئمة الاثنى عشر.

ولذلك فإن مصير كل الحُكَّام والخلفاء والأئمة غير الاثنى عشر النار، يقول الكليني في الكافي «عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: لأعذبنَّ كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله[٢]، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفونَّ عن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله وإن كانت الرعية في نفسها ظالمة مسيئة»[٣]. وهكذا نص الشيعة في كتبهم المعتمدة والمعتبرة عندهم على كفر الخلفاء الثلاثة وغيرهم من الحُكَّام غير الشيعة.

والشيعة يؤكدون دائمًا على أن من رأى للشيخين العظيمين أبي بكر وعمر رضي

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار: (٢٥/ ١١٠).

(٢) الشيعة يقولون بالنص الإلهي على أئمتهم الاثنى عشر.

(٣) الكليني: الكافي، (١/ ٣٧٦).

الله عنهما في الإسلام نصيبًا فسيعذب عذابًا شديدًا يوم القيامة.

فقد روى الكليني عن أبي عبد الله قال: (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم من ادَّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إمامًا ومن زعم إن لهما -أي الشيخين العظيمين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما- في الإسلام نصيبًا)[١].

إن أهل الإمامة عند الشيعة هم: أئمتهم الاثنا عشر فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من ادَّعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر»[٢].

إنَّ الطعن في الخليفتين العظيمين طعن في الإسلام ذاته، فقد نشرا الدين الحنيف في الشرق والغرب، وأعز الله تعالى الإسلام بهما إعزازًا كبيرًا، فعلى كتفيهما وأكتاف الصحابة الأجلاء قامت دولة الإسلام الكبرى، ومع ذلك فإن الشيعة يكفرون الصحابة إلا قلة قليلة منهم لا تتجاوز سبعة نفر.

يقول الشيخ محمد عرفه في تصديره لكتاب الوشيعة لموسى جار الله[٣]: «إننا إذا رجعنا إلى كتب العقائد عندهم وجدناهم توافق الروايات التي قيلت [أي في مسألة تكفير غير الشيعة]، وها نحن أولاء -نهرع إليها فننقل منها مذاهبهم في أشد ما ذكرناه خطورة، وهي الإمامة وما يتعلق بها من تكفير الصحابة والخلفاء الراشدين الثلاثة، ومن تكفير المسلمين من يوم تُوفي النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا؛

---

(١) الكليني (١/ ٣٧٣).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٧٢).

(٣) موسى جار الله: الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، التصدير للشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار علماء الأزهر، طبع مطبعة الكيلاني بالقاهرة، ١٩٨٢م، ص١٠، ١١.

لأنهم لم يقولوا بإمامة علي وإمامة الاثني عشر، ننقله عن رئيس المحدثين عندهم أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١هـ صاحب كتاب «من لا يحضره الفقيه» أحد الكتب الأربعة التي يعتبرها الشيعة أصول مذهبهم في رسالة الاعتقادات، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ جحد عليًّا إمامته بعدي فقد جحد نبوتي، ومن جحد نبوتي فقد جحد الله ربوبيته.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا علي أنت المظلوم بعدي، ومن ظلمك فقد ظلمني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن جحدك فقد جحدني».

وقال الصادق -عليه السلام-: المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الأئمة من بعدي اثنا عشر: أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وآخرهم المهدي القائم، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، من أنكر واحدًا منهم فقد أنكرني».

وقال الصادق: من شكَّ في كفر أعدائنا والظالمين لنا فهو كافر.

وقال في «رسالة الاعتقاد» أيضًا: في باب الاعتقادات في الظالمين ص١١١: اعتقادنا فيهم أنهم ملعونون، والبراءة منهم واجبة.

قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾. قال: ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون ﴾ [هود: ١٨، ١٩].

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية: إن سبيل الله في هذه المواضع: علي بن أبي

طالب والأئمة عليهم السلام.

وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ إمامان -إمام الهدى وإمام الضلالة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾، وقال: ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ [القصص: ٤١، ٤٢].

فلما نزلت هذه الآية: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من ظلم عليًّا مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنما جحد نبوتي ونبوة الأنبياء من قبلي، ومن تلوى ظالمًا فهو ظالم» قال الله تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾.

وقال عز وجل: ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾، وقال عز وجل: ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ﴾. وقال: ﴿ يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾.

والظلم وضع الشيء في غير موضعه، فمن ادَّعى الإمامة وهو غير إمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون.

والكلام في الظلم وذم الظالمين سائغ مقبول، ولكن الذي لا يسوغ ولا يقبل إدخال الصحابة والتابعين والخلفاء الراشدين في الظالمين، بل إدخال الأمة كلها إلى

يومنا هذا فيهم؛ لأنها تدين بإمامة غير أهل البيت الذين فيهم الإمامة.

إن ما يردده علماء الشيعة في مسألة تكفير من جحد إمامة علي رضي الله عنه وبقية الأئمة الاثنى عشر من بعده، وتكفير الصحابة رضوان الله عليهم رأي ظالم لا أساس له من الصحة كما سنبين إن شاء الله.

الدليل على عدم النص على إمامة علي رضي الله عنه:

يذكر صاحب نهج البلاغة وهو من أهم كتب الشيعة أنه لما أراد الناس بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد استشهاد ذي النورين رضي الله عنه، وقال الناس لعلي: «مُد يدك نبايعك على خلافتك، فقال: دعوني والتمسوا غيري، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا»[1].

وهذا يعني أنه لو كانت إمامة علي رضي الله عنه منصوص عليها من عند الله تعالى ما اعتذر أولًا هذا الاعتذار عن الإمامة، وكذا تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الإمارة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بل بايعه وفوَّض الأمر إليه.

وهذا يبين خطأ ما ذكره الكليني في باب فرض طاعة الأئمة من أصول الكافي حيث ذكر عن أبي الصباح قال: شهد أني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أشهد أن عليًّا إمام فرض الله طاعته وأن الحسن إمام فرض الله طاعته، وأن الحسين إمام فرض الله طاعته، وأن علي بن الحسين إمام فرض الله طاعته، وأن محمد بن علي

(١) نهج البلاغة (١/ ١٨٣).

إمام فرض الله طاعته[١].

غُلو الشيعة في أئمتهم:

لقد غَالتْ بعض فِرَق الشيعة في أئمتهم غلوًّا زائدًا وابتدعوا في الدين ما لا أصل له، فاعتبر الشيعة أن أئمتهم أفضل من الصحابة والتابعين بل غالي الإسماعيلية من الرافضة في أئمتهم واعتقدوا فيهم الألوهية وتشبَّهوا بالنصارىٰ بغلوهم في عيسىٰ عليه السلام.

يقول الإمام ابن تيمية: «إن النصارىٰ يزعمون أن الحواريين الذين اتَّبعوا المسيح أفضل من إبراهيم وموسىٰ وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، ويزعمون أن الحواريين رسل شافههم الله بخطاب؛ لأنهم يقولون: إن الله هو المسيح، ويقولون أيضًا: إن المسيح ابن الله.

والرافضة تجعل الأئمة الاثنىٰ عشر أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وغاليتهم يقولون: إنهم أفضل من الأنبياء لأنهم يعتقدون فيهم الإلهية كما اعتقدته النصارىٰ في المسيح.

والنصارىٰ يقولون: إن الدين مسلم للأحبار والرُّهبان، فالحلال ما حلَّلوه، والحرام ما حرَّموه، والدين ما شرعوه.

والرافضة تزعم أن الدين مُسلَّم إلى الأئمة، فالحلال ما حللَّوه والحرام ما حرَّموه، والدين ما شرعوه»[٢].

---

(١) الكليني: أصول الكافي، ص١٠٩.

(٢) ابن تيمية، منهاج السُّنَّة (١/ ٤٨١، ٤٨٢).

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عن غالية الشيعة ما رواه ابن باويه القمي عن محمد الباقر أنه قال: «نحن جنب الله، ونحن صفوته ونحن حوزته، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أمناء الله عز وجل، ونحن حجج الله، ونحن أركان الإيمان، ونحن دعائم الإسلام، ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن من بنا يفتح وبنا يختم، ونحن أئمة الهدى، ونحن مصابيح الدُّجى، ونحن منار الهدى، ونحن السابقون، ونحن الآخرون، ونحن القلم المرفوع للخلق، من تمسك بنا لحق، ومن تأخر عنَّا غرق، ونحن مصدق النبوة، ونحن موضع الرسالة، ونحن الذين بنا ينزل الله عز وجل الرحمة، وبنا يسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا وأبصرنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا فهو منها وإلينا»[1].

ويقول شيخ الإسلام العلَّامة ابن تيمية رحمه الله عن غالية الشيعة: «وأما من دخل في غلو الشيعة كالإسماعيلية الذين يقولون بإلهية الحاكم ونحوه من أئمتهم، ويقولون: إن محمد بن إسماعيل نسخ شرعية محمد بن عبد الله وغير ذلك من المقالات التي هي من مقالات الغالية من الرافضة، فهؤلاء شر أكثر الكفار من اليهود والنصارى والمشركين، وهم ينتسبون إلى الشيعة يتظاهرون بمذاهبهم»[2].

لقد ابتدع الشيعة في الدين بدعًا خطيرة، وأحدثوا في الإسلام رتقًا كبيرًا، وأخذوا عن مذاهب الكفر غلوهم في رجالهم، ومعالمهم وآثارهم.

وصدق شيخ الإسلام حين قال في الشيعة: «وفيهم من الشرك والغلو ما ليس في سائر طوائف الأمة، ولهذا أظهر ما يوجد الغلو في طائفتين: في النصارى

(١) ابن بابويه القمي، كتاب كمال الدين وتمام النعمة (١/ ٢٠٦)، ط، طهران ثانية ١٣٩٥هـ.
(٢) ابن تيمية: منهاج السُّنَّة (١/ ٤٨٢).

والرافضة، ويوجد أيضًا في طائفة ثالثة من أهل النسك والزهد والعبادة الذين يغلون في شيوخهم ويشركون بهم»[١].

لقد بلغ بهم الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يصفوه بأنه عين الإله – تعالى الله عمَّا يصفون – وأنه محيط بعلم الغيب ولا تخفى عنه خافية وأنه علة إيجاد الكائنات، وأنه بيده النجاة، ورمى أعدائه في النار، يقول حجتهم آية الله عبد الحسين ابن الشيخ إبراهيم العاملي مشطرًا أبيات السيد حسين القزويني في مدح الأمير (عليه السلام):

أبا حسين أنت عين الإله ... وعنوان قدرته السامية

وأنت المحيط بعلم الغيوب ... فهل عندك تعذب من خافية

وأنت مدبر رحى الكائنات ... وعِلة إيجادها الباقية

لك الأمر إن شئت تنجي غدًا ... وإن شئت تسفع بالناصية[٢]

ومن العجيب أن تقول الاثنا عشرية بعد ذلك: إننا نبرأ من ابن سبأ والسبئية وهي تحمل عين غلوها في علي رضي الله عنه، بل إن أحد مراجعهم الكبرى وأحد أعلامهم البارزة محمد حسين آل كاشف الغطاء، يشك عن حقيقة مذهبه دون أن يدري حين قال في أئمة الشيعة:

يا كعبة الله إن حجت له لـ ... أملاك منه فعرشه ميقاتها

أنتم مشيته التي خلقت بها الـ ... أشياء بل ذرئت بها ذراتها

أنا في الورى قال لكم إن لم أقل ... ما لم تقله في المسيح غُلاتها[١]

---

(١) المرجع السابق ص٤٨٦.

(٢) محمد باقر النجفي: ديوان شعراء الحسين ص٤٨، طبعة طهران ١٣٧٤هـ.

وهكذا قال آل كاشف الغطاء ما قاله النصارى في عيسى ابن مريم، وزاد على ذلك بأن جعلهم المركز والكعبة التي يحج إليها الأملاك، وأنتم مشيئة الله التي خلقت بها الأشياء فتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقد أدَّى غلو الشيعة في أئمتهم إلى إقامة المشاهد لهم، ويعظم الشيعة مشاهد وقبور أئمتهم تعظيمًا شديدًا ويقدِّسونها أكثر من قداستهم لبيت الله الحرام، وهم في ذلك يتشبَّهون باليهود والنصارى كما أشار إلى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتَّخذني خليلًا كما اتَّخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتَّخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتَّخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[٢].

لقد نَهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور، ولكن لم تكتب الشيعة بذلك، بل أقاموا على هذه الأضرحة والمقابر المساجد الفاخرة والمشاهد المتلألئة، ويعظِّمون هذه المشاهد المبنية على القبور، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن ذلك.

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن

---

(١) مرجع سابق ص١٢.

(٢) رواه مسلم: (١/ ٣٧٧-٣٧٨)، كتاب المساجد، باب: «النهي عن بناء المساجد على القبور».

الله اليهود والنصارىٰ اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١].

والشيعة كانوا أكثر من اليهود والنصارىٰ غلوًّا، فإنهم يعتبرون «كربلاء» و«الكوفة» و«قم» أماكن مقدَّسة لا تقل قداسة عن بيت الله الحرام فيذكرون أن الصادق قال: «إن لله حرمًا هو مكة، ولرسوله حرمًا وهو المدينة، ولأمير المؤمنين حرمًا وهو الكوفة، ولنا حرمًا وهو (قم) ستدفن فيه امرأة من ولدي تسمَّىٰ فاطمة من زارها وجبت له الجنة»[٢].

وقم تلك المدينة الإيرانية الشهيرة يوجد بها قبر فاطمة بنت موسىٰ بن جعفر إمام الشيعة الاثنىٰ عشرية السابع ويقدسون قبرها تقديسًا شديدًا.

وكربلاء لها قداسة خاصة عند الشيعة فيروي أبي عبد الله حديثًا: «إن الله أوحىٰ إلىٰ الكعبة لولا تربة كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت فقري واستقرىٰ ذنبًا متواضعًا ذليلًا مهينًا غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم»[٣].

ويقول صحاب كتاب تاريخ كربلاء: «أعطيت كربلاء حسب النصوص الواردة بأكثر مما أعطي لأي أرض أو بقعة أخرىٰ من المزية والشرف في الإسلام فكانت أرض الله المختارة، وأرض الله المقدسة المباركة، وحرمًا آمنًا مباركًا، وحرمًا من حرم الله وحرم رسوله، وقبة الإسلام، ومن المواضع التي يحب الله أن يُعبد ويدعىٰ فيها.. فإن هذه المزايا وأمثالها التي اجتمعت لكربلاء لم تجتمع لأي بقعة من

(١) البخاري (٢/ ٨٨)، كتاب الجنائز، باب: «ما يكره من اتخاذ المساجد علىٰ القبور».

(٢) المجلسي محمد باقر، بحار الأنوار ص٢٦٧.

(٣) مرجع سابق ص١٠١.

بِقَاع الأرض حتىٰ الكعبة»[١].

فكربلاء عند الشيعة أفضل من الكعبة المشرفة وبيت الله الحرام.

وللكوفة كذلك قداسة كبرىٰ عندهم فيقول عنها الفيض الكاشاني «إن الكوفة حرم الله وحرم رسوله صلىٰ الله عليه وسلم وحرم أمير المؤمنين وأن الصلاة فيها بألف صلاة والدرهم بألف درهم»[٢].

ويحج الشيعة أفواجًا وجماعات إلىٰ هذه البِقَاع المقدسة عندهم بل إنهم يعتبرون الحج إليها أفضل من الحج إلىٰ بيت الله الحرام.

فعن ابن أبي يعفور قال سمعت أبا عبد الله يقول: «والله لو أني حدَّثتكم بفضل زيارته -أي قبر الحسين- وبفضل قبره، لتركتم الحج رأسًا وما حج منكم أحد، أما علمت أن الله اتَّخذ كربلاء حرمًا آمنًا مباركًا قبل أن يتَّخذ مكة حرمًا قال ابن أبي يعفور فقلت له: قد فرض الله علىٰ الناس حج البيت، ولم يذكر زيارة قبر الحسين (عليه السلام)، فقال: إن كان كذلك فإن هذا شيء جعله الله هكذا»[٣].

إن قبرَ الحسين عند الشيعة له محله في عقائد الشيعة الإمامية، فعن الصادق «من زار قبر الحسين يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة من القائم (عليه السلام) وألف ألف عمرة مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وآله وعتق ألف ألف نسمة وحمل ألف ألف فرس في سبيل الله، وسمَّاه الله عز وجل عبدي الصديق آمنوا

---

(١) آل طعمة، د/ عبد الجواد، تاريخ كربلاء، ص١١٥، النجف ١٣٨٧هـ.

(٢) الكاشاني الفيض الوافي، (٢/ ٢١٥) المكتبة الإسلامية، طهران.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار (٣٣/ ١٠١).

بوعدي وقالت الملائكة: فلان الصديق وزكّاه الله من فوق عرشه»[١].

بل إن الله تعالى عندهم ينظر إلى زوار قبر الحسين بن علي قبل نظره إلى أهل الموقف بعرفه فعن أبي عبد الله: «إن الله يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علي (عليه السلام) عشية عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف، قال «الراوي»: وكيف ذلك قال أبو عبد الله: لأن في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا»[٢].

وأولاد الزنا عند الشيعة هم كل من ليس بشيعي من أهل الإسلام فعن أبي جعفر قال: «والله إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا»[٣].

وثواب الصلاة عند قبر الحسين وفي حرمه جزاؤه أوفى وأعظم يذكر الفيض الكاشاني في «وافيهم»: «الصلاة في حرم الحسين لك بكل ركعة تركعها عنده كثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة، كأنما وقف في سبيل الله ألف ألف مرة مع نبي مرسل»[٤].

أما قبر علي بن طالب رضي الله عنه فقد غالى الشيعة فيه غلوًّا عميقًا، يرقى على مرقى الكفر بالله تعالى فقالوا: «إن الله سبحانه وتعالى عما يشركون يزور قبره هو الملائكة والأنبياء.

فيقول المجلسي في «بحارهم»: «إن قبر أمير المؤمنين يزوره الله مع الملائكة

---

(١) الفيض الكاشاني الوافي (٢/ ٢٢٣).

(٢) المرجع السابق ص٢٢٢.

(٣) الكليني: الفروع من الكافي كتاب الروضة ص١٣٥، طبعة لكنو، ١٨٨٦.

(٤) الفيض الكاشاني الوافي، ص٢٣٤.

ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون»[١].

والشيعة ينتظرون نزع الحجر الأسود من مكانه في الحرم المكي الشريف ليوضع في رحاب الكوفة المقدسة عندهم فقد ذكروا أن عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه قال لأهل الكوفة: «يا أهل الكوفة، لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحب أحدًا من فضل، مصلاكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس، ومصلى إبراهيم... ولا تذهب الأيام الليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه»[٢].

لقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٣]، وعن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»[٤].

بل إن عليًّا نفسه يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النهي عن تشييد القبور حتى لا تُعبد فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن لا أدع قبرًا مشرفًا إلا سوَّيته، ولا تمثالًا إلا طمسته[٥].

وهنا نلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ربط ربطًا قويًّا بين طمس

---

(١) المجلسي بحار الأنوار ص٢٥٨.

(٢) الكاشاني: الفيض الوافي (٢/ ٢١٥).

(٣) أحمد بن حنبل، المسند (١٣/ ٨٧)، طبعة دار المعارف تحقيق العلَّامة أحمد شاكر رحمه الله.

(٤) مسلم (٢/ ٦٦٨)، كتاب الجنائز، باب: «النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه».

(٥) مسلم (٢/ ٦٦٦- ٦٦٧)، كتاب الجنائز، باب: «الأمر بتسوية القبر».

التماثيل وتسوية القبور البارزة المشرفة لأنها وسيلة إلى الإشراك بالله تعالى.

والله سبحانه وتعالى أمرنا بعمارة المساجد، لا عمارة المشاهد والقبور والأضرحة، وقال عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «ولقد علم بالنقل المتواتر، بل علم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع لأمته عمارة المساجد بالصلوات، والاجتماع للصلوات الخمس ولصلاة الجمعة والعيدين وغير ذلك وأنه لم يشرع لأمته أن يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من أهل البيت ولا غيرهم، لا مسجدًا ولا مشهدًا، ولم يكن على عهده صلى الله عليه وسلم مشهد مبني على قبر، وكذلك على عهد خلفائه الراشدين وأصحابه الثلاثة وعلي بن أبي طالب، ومعاوية، لم يكن على عهدهم مشهد مبين لا على قبر نبي ولا غيره، لا على قبر إبراهيم الخليل ولا على غيره... فهذا وأمثاله مما كانوا يحققون به التوحيد الذي أرسل الله به الرسول إليهم، ويتَّبعون في ذلك سُنَّته صلى الله عليه وسلم... والإسلام مبني على أصلين: أن لا نعبد إلا الله، وأن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع، فالنصارى خرجوا عن الأصلين، وكذلك المبتدعون من هذه الأمة من الرافضة وغيرهم»[1].

لقد ابتعد الشيعة أمورًا لا أصل لها في الدين، واعتبروها من أصوله ليشوشوا على المسلمين عقيدتهم النقية الصافية ويطفئوا أنوار الحق وأشعة التوحيد بما ابتدعوه من مزارات ومشاهد ومقابر مشرفة بارزة نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إقامتها وتشييدها لتظل عقيدة التوحيد بعيدة عن أدران الشرك، لكنهم

(١) ابن تيمية، منهاج السُّنَّة، (١/ ٤٧٩- ٤٨١).

ابتعدوا كثيرًا عن عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى.

غلو الشيعة في علم الأئمة:

يجب أن يكون الإمام عند الشيعة «عالمًا بتدبير ما هو إمام فيه من سياسة رعيته، والنظر في مصالحهم، وغير ذلك بحكم العقل، ويجب أيضًا أن يكون بعد الشرع عالمًا بجميع الشريعة لكونه حاكمًا من جميعها»[١].

وتحت باب «أن الأئمة أعلم من الأنبياء عليهم السلام» يذكر المجلسي الشيعي ثلاثة عشر حديثًا نذكر منها هذا الحديث، عن عبد الله التمار قال: كُنَّا مع أبي عبد الله عليه السلام في الحجر، فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة وقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة -ثلاث مرات- أو لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما[٢].

ومعنى ذلك أن أبا عبد الله أعلم من موسى والخضر عليهما السلام.

بل إن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا فعن أبي عبد الله قال: «إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم»[٣].

وتحت باب: «أنهم لا يحجب عنهم علم» يذكر المجلسي حديثًا عن أبي عبد الله قال: «إني لأعلم ما في السموات وأعلم ما في الأرضين وأعلم ما في الجنة وأعلم ما

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد ص ٣١٠.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار (٢٦/ ٢٩٤).

(٣) الكليني الكافي: (١/ ٢٥٨).

في النار، وأعلم ما كان وما يكون»[١].

وهذه مزاعم خطيرة، وتجرؤ كبير على الله وعلى علمه الذي يعدُّ من خصائص الألوهية فهو وحده تعالى الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهذا باب عظيم للكفر والزندقة.

أئمة الشيعة يعملون علم الغيب:

أثبت الشيعة إلى أئمتهم -بالإضافة إلى القول بعصمتهم- علم الغيب، ولهذا ليس غريبًا أن يقول العلَّامة محب الدين الخطيب رحمه الله: «إنهم -أي الشيعة- يزعمون لأئمتهم ما يتبرأ منه أولئك الأئمة وقد سجل الكليني في كتابه «الكافي» الذي هو عندهم بمنزلة (صحيح البخاري) عند المسلمين نُعوتًا وأوصافًا للأئمة الاثنا عشر، ترفعهم من منزلة البشر إلى منازل معبودات اليونان في العصور الوثنية، ولو شئنا أن ننقل ذلك عن (الكافي) وكتبهم الأخرى المعتبرة عندهم في الدرجة الأولى لملأ ذلك مجلدًا ضخمًا، لذلك نكتفي بنقل عناوين الأبواب فقط بنصها وبالحرف عن كتاب الكافي.

منها: باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، وباب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم، وباب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء، باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب يعرفونها على اختلاف ألسنتها، باب أنه لن يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنهم يعلمون علمه كله، باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء، باب أن الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود؟! وآل داود؟! ولا يسألون البيِّنة،

(١) المجلسي: بحار الأنوار (٢٦/ ١١١).

باب أنه ليس شيء من الحقِّ في أيدي الناس إلا ما خرج من عند الأئمة وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل، باب أن الأرض كلها للإمام»[١].

فمثلًا: يروي الكليني تحت باب «أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا». عن جعفر أنه قال: «إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم».. وفي رواية عن جعفر قال: «إن الإمام الذي لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير إليه فليس ذلك بحجة الله على خلقه»[٢].

وفي رواية قال: إن الله عزَّ وجل علمين: علم لا يعلمه إلا هو وهو علم ملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله عليهم السلام فنحن نعلمه.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعظم خلق الله تعالى يعلنها صريحة مدويَّة أنه لا يعلم الغيب ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعمل الغيب ولا أقول لكم إني ملك ﴾ [الأنعام: ٥٠].

ومعنى ذلك أنهم أضفوا على أئمتهم صفات أعلى من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا غلو كبير؛ لأن علم الغيب من صفات الله تعالى وحده ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾[النمل: ٦٥].

ويقول تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[الأنعام: ٥٩].

وقد وصل بهم الأمر أن جعلوا علم أئمتهم أعظم وأفضل من علم الأنبياء،

---

(١) الخطيب، محب الدين، الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ص٢٨، ٢٩ الناشر دار طيبة الرياض.

(٢) الكليني، الكافي مع الشافي (٢/ ٢٣١، ٢٣٣).

فيروي الكليني عن يوسف الثمار قال: «كُنَّا مع أبي عبد الله عليه السلام في جماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدًا، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة ورب البيت ثلاث مرات لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثةً»[1].

وهذا من أشد الغلو في مذهب الشيعة ودينهم.

غلو الشيعة في صلة الأئمة بالله تعالى:

يرى الكليني أن الأئمة، هم نور الله عز وجل، وخلفاء الله تعالى في أرضه وأن الله تعالى فرض طاعة الأئمة؛ لأنهم ولاة أمر الله وخزنة علمه وهم أركان الأرض، وأن من اصطفاه الله من عباده، وأورثهم كتابه هم الأئمة.

وقد عرض الدكتور أحمد السالوس في كتابه القيم «أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله»[2] بعض هذه الأحاديث التي رواها الكليني في الجزء الأول من أصول الكافي منها ما ذكره في باب فرض طاعة الأئمة يذكر الكليني سبع عشرة رواية، منها ما نسبه للإمام الصادق: «نحن الذين فرض الله طاعتنا، لا يسع الناس إلا معرفتنا، ولا يعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمنًا، ومن أنكرنا كان كافرًا، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالًّا»، وفي باب «في أن الأئمة شهداء الله عز وجل

---

(١) عبد المحسن عبد الله: الشافي في شرح أصول الكافي، (٢/ ٢٤٠)، مطبعة النعمان، النجف، وقد سبق لنا الإشارة إلى أن المجلسي في بحار الأنوار (٢٦/ ٢٩٤)، ذكر هذا القول.

(٢) السالوس: أثر الإمامة ص٢٩٨ إلى ٣٠١.

على خلقه» (ص١٩٠ - ١٩١) يذكر خمس روايات، ويحرِّف معاني بعض آيات القرآن الكريم، ليجعل أئمة الجعفرية هم الشهداء على الناس.

وفي باب «أن الأئمة هم الهُداة» (١٩١ - ١٩٢) يذكر أربع روايات ويحرف معنى الآية السابعة من سورة الرعد: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ فيؤول كلمة هاد بأنها الإمام علي، ثم أئمة الجعفرية من بعده.

وفي باب «أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه» (١٩٢-١٩٣) يذكر ست روايات، منها:

«عن أبي جعفر عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال تبارك وتعالى: «استكمال حجَّتي على الأشقياء من أمتك من ترك ولاية على والأوصياء من بعدك، فإن فيهم سُنَّتك وسُنَّة الأنبياء من قبلك، وهم خزاني على علمي من بعدك، ثم قال الرسول: لقد أنبأني جبريل عليه السلام بأسمائهم، وأسماء آبائهم».

وفيها: «عن أبي عبد الله أن الله عزَّ وجل خلقنا فأحسن خُلقنا، وصورنا فأحسن صورنا، وجعلنا خزانة في سمائه وأرضه ولنا نطقت الشجرة، وبعبادتنا عبد الله عز وجل، ولولانا ما عبد الله».

وفي باب: «أن الأئمة خلفاء الله عز وجل في أرضه، وأبوابه التي منها يؤتى (ص١٩٣-١٩٤)، يذكر الكليني ثلاث روايات ويذكر أن الأئمة هم المراد من قول الله تعالى: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعلموا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ [النور: ٥٥]».

وفي باب «أن الأئمة نور الله عز وجل» (ص١٩٤-١٩٦) يذكر هذه الروايات:

عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعلموا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ [النور: ٥٥].

وفي باب: «أن الأئمة نور الله عز وجل» (ص١٩٤-١٩٦)، يذكر هذه الروايات: عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا ﴾ [التغابن: ٨].

قال: يا أبا خالد، النور والله نور الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أنزل، وهم نور الله في السموات والأرض، والله يا أبا خالد، لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله عز وجل نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد، لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبدٍ حتى يسلم لنا ويكون سلمًا لنا، فإذا كان سلمًا لنا سلَّمه الله من شديد الحساب، وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر.

وعن أبي عبد الله في تفسير النور في (الآية ١٥٧) من الأعراف: «النور في هذا الموضع عَلِيٌّ أمير المؤمنين والأئمة».

وعن أبي جعفر في ﴿ تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ ﴾ [الحديد: ٢٨] يعني إمامًا يأتمون به.

وعن صالح بن سهل الهمداني قال: قال أبو عبد الله في قول الله تعالى: ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة ﴾ فاطمة عليها السلام ﴿ فِيهَا مِصۡبَاحٌ ﴾ الحسن ﴿ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ الحسين ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ ﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ ﴾ يكاد العلم ينفجر

بها ﴿ لو لم تمسسه نار نور على نور ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ [النور: ٣٥] قلت: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ ﴾ قال: الأول وصاحبه أي عشاه موج الثالث ﴿من فوقه موج ظلمات ﴾ الثاني ﴿ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ معاوية لعنه الله وفتن بني أمية ﴿ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ ﴾ المؤمن في ظلمه فتنتهم ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا ﴾ إمامًا من ولد فاطمة عليها السلام ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ إمام يوم القيامة[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ [الحديد: ١٢] أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة.

وعن علي بن جعفر عن أخيه مثله.

وعن أبي الحسن: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [الصف:٨].

قال: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين بأفواههم... ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾ قال: والله متم الإمامة، والإمامة هي النور وذلك في قوله عز وجل: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ [التغابن: ٨] قال: النور هو الإمام.

وفي باب: «أن الأئمة هم أركان الأرض» (ص١٩٦ - ١٩٨) يروى الكليني:

---

(١) يقصد بالأول والثاني والثالث الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم، الآية التي ذكرها من [سورة النور: ٤٠]، ولكنه ذكر أجزاء منها ونصها: {أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور} الدكتور السالوس هامش ص ٣٠٠.

عن أبي عبد الله، ما جاء به علىٰ آخذ به، وما نهىٰ عنه انتهىٰ عنه جرىٰ له من الفضل مثل ما جرىٰ لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم، ولمحمد صلىٰ الله عليه وسلم الفضل علىٰ جميع من خلق الله عز وجل، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب علىٰ الله وعلىٰ رسوله، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة علىٰ حدِّ الشرك بالله كان أمير المؤمنين باب الله الذي لا يؤتىٰ إلا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمة الهدىٰ واحدًا بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجَّته البالغة علىٰ من فوق الأرض ومن تحت الثرىٰ، وكان أمير المؤمنين كثيرًا ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفارق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد عليه السلام، ولقد حملت علىٰ مثل حمولته وهي حمولة الرب، وإن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يدعي فيكسىٰ، وأدعىٰ فأكسىٰ، ويستنطق فأنطق علىٰ حد منطقة، ولقد أعطيت خِصَالًا ما سبقني إليها أحد قبلي: علمت المنايا والبلايا والأنساب، وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني، وأبشر بإذن الله وأؤدي عنه، كل ذلك من الله مكَّنني فيه بعلمه[1].

عِصمة الإمام عند الشيعة:

يرىٰ الشيعة وجوب عِصمة الإمام فيقول عالمهم الطوسي المتوفىٰ سنة

---

(١) مما جاء في الحاشية:

صاحب العصا: أي عاص موسىٰ التي صارت إليه من شعيب، وإلىٰ شعيب من آدم يعني هي عندي أقدر بها علىٰ ما قدر عليه موسىٰ.

الميسم: المكواة، لما كان بحبه وبغضه يتميز المؤمن من المنافق، فكأنه كان يسم علىٰ جبين المنافقين بكىٰ النفاق، د/ السالوس ص٣٠١.

(٤٦٠هـ) في صفات الإمام «يجب أن يكون معصومًا من القبائح والإخلال بالواجبات؛ لأنه لو لم يكن كذلك كانت علة الحاجة قائمة فيه إلى الآخر؛ لأن الناس إنما احتاجوا إلى الإمام لكونهم غير معصومين، ومحال أن تكون العلة حاصلة والحاجة مرتفعة لأن ذلك نقض للعلة، ومتى احتاج إلى إمام لكان الكلام فيه كالكلام في الإمام الأول، وذلك يؤدي إلى وجود أئمة لا نهاية لهم، أو الانتهاء إلى إمام معصوم ليس من ورائه إمام وهو المطلوب»[١].

ونقل محمد بن يعقوب الكليني في أصول الكافي قال: «قال الإمام جعفر الصادق: نحن -أي الشيعة- خزان علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون -أمر الله تعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن حُجَّة الله البالغة على من دون السماء وفوق الأرض»[٢].

ونقل أيضًا الكيني، قال الإمام محمد الباقر: «إنما يأتي بالأمر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبي وإلى الأوصياء: افعل كذا وكذا الأمر قد كانوا علموه أمره كيف يعملون فيه»[٣].

وذكر الكليني كذلك قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: الأئمة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤].

---

(١) الطوسي: محمد بن الحسن: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص٣٠٥، منشورات جمعية منتدى النشر، النجف الأشرف ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: أصول الكافي ص١٦٥.

(٣) مرجع سابق ص١٥٤.

(٤) مرجع سابق.

عصمة الأئمة عن السهو والنِّسيان:

يؤكد عالم الشيعة المعاصر رضا المظفر أن «الإمام يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان»[١] مع أن إمام الشيعة الثامن علي الرضا قال يقولون بنفي السهو والنسيان عن الأئمة «كذَّبوا لعنهم الله إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو»[٢].

لقد وصف بعض علماء الشيعة أئمتهم بعدم جواز السهو والنِّسيان مع أن هذه صفة من صفات الله تعالى، فأضافوا إلى أئمتهم صفة من الصفات الإلهية، وهذا لون من ألوان الشرك الأكبر على أن بعض علماء الشيعة القدامى جوزوا السهو والنِّسيان على الأئمة فيقول الطبرسي في مجمع البيان: «أن الأئمة يجوز عليهم السهو والنِّسيان في غير ما يؤدونه عن الله». وهذا قول فيه شيء من الاعتدال.

ما يترتب على القول بالعصمة:

في اعتقاد الشيعة أن أقوال الأئمة الاثنا عشر هي كأقوال الله ورسوله، يقول عالمهم عبد الله فياض في كتابه: «تاريخ الإمامية وأسلافهم»: «إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الحال عند أهل السُّنَّة»[٣].

---

(١) المظفر، محمد رضا: عقائد الإمامية ص٩٥، دار الغدير للطباعة ١٣٩٣هـ.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار (٢٥/ ٣٥٠)، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٧هـ.

(٣) عبد الله فياض: «تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة» ص١٤٠، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٣٩٥هـ.

ومن قبل قال المازندراني: «إن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله عز وجل ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى»[١].

وقد بنى المازندراني هذا الرأي من خلال شرحه للكافي حيث نقل الكليني في «كافيهم» عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيره قالوا: سمعنا أبا عبد الله يقول حديثي حديث أبي وحديث أبي جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل[٢].

الرد على قولهم بعصمة الأئمة:

يقول الشيعة أنه لو لم يكن الإمام معصومًا لزم التسلسل، بمعنى أنه إذا جاز الخطأ على الأمة، فلا يجوز على الإمام كذلك؛ لأنه لو جاز الخطأ عليه لافتقر إلى آخر وهكذا فيتسلسل وهذا هو المحوج على ما ذكروا.

ويُجاب «بمنع أن والمحوج ما ذكر، بل المحوج تنفيذ الأحكام ودرء المفاسد وحفظ بيضة الإسلام مثلًا، ولا حاجة في ذلك إلى العصمة، بل الاجتهاد والعدالة كافيان»[٣] وهذا يعني أنه لا حاجة إلى عصمة الإمام.

ومما يفند قولهم بعصمة الأئمة ما روي في الكافي للكليني مما قاله علي بن أبي

---

(١) المازندراني، محمد صالح: «شرح جامع على الكافي الأصول والروضة» (٢/ ٢٧١)، المكتبة الإسلامية طهران.

(٢) مرجع سابق (٢/ ٢٧١- ٢٧٢).

(٣) الدهلوي، شاه عبد العزيز حكيم: مختصر التحفة الاثنى عشرية، الناشر إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية بنارس الهند ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

طالب لأصحابه ونقله عن الكافي صاحب مختصر «التحفة الاثنى عشرية» «لا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست آمن أن أخطي» والحمل على المشورة الدنيوية يأباه الصدر كما لا يخفى، وأيضًا روى صاحب الفصول عن أبي مخنف أنه قال: كان الحسين يبدي الكراهة من صلح أخيه الحسن معاوية ويقول: لو جزء أنفي كان من أحب إلي مما فعله أخي، وإذا خطأ أحد المعصومين الآخر ثبت خطأ أحدهما بالضرورة، لامتناع اجتماع النقيضين[1].

إن قول الشيعة بأن الإمام ينبغي أن يكون معصومًا حتى يمكنه حفظ شرع الله، فإن لم يكن معصومًا احتجنا إلى حافظ آخر، ويتسلسل، قول باطل فالإمام ليس حافظًا للشريعة، وإنما هو منفذ لها، وحفظه الشرع هم علماء الدين، الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهم الذين يرشدون الحكّام والأمراء إلى شرع الله تعالى.

ولهذا أثر عن علي بن أبي طالب قوله عقب توليه الخلافة «لا تكفوا عني مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست آمن أن أخطئ»[2]، وهذا أكبر دليل على عدم عصمته ولا عصمة بقية أئمة الشيعة الاثنى عشرية.

ويرد الإمام ابن تيمية على قول الشيعة بأنه لو لم يكن الإمام معصومًا لافتقر إلى إمام آخر؛ لأن العلة المحوجة إلى الإمام هي جواز الخطأ على الأمة، فلو جاز الخطأ عليه لاحتاج إلى إمام آخر... فيرد شيخ الإسلام قائلًا: «لم لا يجوز أن يكون إذا أخطأ الإمام كان في الأمة من ينبهه على الخطأ، بحيث لا يحصل اتفاق المجموع على

(١) الدهلوي: مختصر التحفة الاثنى عشرية ص١٣٥.

(٢) [illegible] هذا القول في نفس الصفحة لتأكيد المعنى.

الخطأ، لكن إذا أخطأ بعض الأمة، ينبهه الإمام أو نائبة أو غيره، وإن أخطأ الإمام أو نائبه ينبهه آخر كذلك، وتكون العصمة ثابتة للمجموع، لا لكل واحد من الأفراد، كما يقوله أهل الجماعة؟

وهذا كما أن كل واحد من أهل خبر التواتر يجوز عليه الخطأ، وربما جاز عليه تعمد الكذب، لكن المجموع لا يجوز عليهم ذلك في العادة... ومن المعلوم أن ثبوت العصمة لا تمكن للعدد الكثير، في حال اجتماعهم على الشيء المعين، فالأولى أن لا تمكن للواحد، وإن أمكنت للواحد مفردًا، فلأن تمكن له ولأمثاله مجتمعين بطريق الأولى والأحرى، فعلم أن إثبات العصمة للمجموع أولى من إثباتها للواحد، وبهذه العصمة يحصل المقصود المطلوب من عصمة الإمام، فلا تتعين عصمة الإمام[1].

ثم يتابع شيخ الإسلام رده قائلًا بشدة: «ومن جهل الرافضة إنهم يوجبون عصمة واحد من المسلمين، ويجوزون على مجموع المسلمين الخطأ إذا لم يكن فيهم واحد معصوم... والمعقول الصريح يشهد أن العلماء الكثيرين مع اختلاف اجتهاداتهم، إذا اتفقوا على قول كان أولى بالصواب من واحد، وأنه إذا أمكن حصول العلم بخبر واحد، فحصوله بالأخبار المتواترة أولى، ومما يبين ذلك أن الإمام شريك الناس في المصالح العامة، إذ كان هو وحده لا يقدر أن يعينوه، بل لا يمكنه أن يصلي بهم جمعه ولا جماعة إن لم يصلوا معه، ولا يمكن أن يفعلوا ما يأمرهم به إلا بقواهم وإرادتهم، فإذا كانوا مشاركين له في الفعل والقدرة، لا ينفرد عنهم بذلك، فكذلك، العلم والرأي لا يجب أن ينفرد به، بل يشاركم فهي، فيعاونهم ويعاونونه، وكما أن قدرته تعجز إلا بمعاونتهم، فكذلك علمه يعجز إلا

(١) ابن تيمية منهاج السُّنَّة (٦/ ٤٠٨، ٤٠٩).

بمعاونتهم»[١].

ويسأل شيخ الإسلام ابن تيمية الرافضة في قولهم بالعصمة الثابتة للإمام عندهم: «أهي فعله للطاعات باختياره، وتركه للمعاصي باختياره، مع أن الله تعالى عندكم [أي عند الشيعة] لا يخلق اختياره أم هي خلق الإرادة له؟ أم سلبه القدرة على المعصية؟

فإن قلتم [أي الشيعة] بالأول، وعندكم أن الله لا يخلق اختيار الفاعلين لزمكم أن الله لا يقدر على خلق معصوم.

وإن قلت: بالثاني بطل أصلكم الذي ذهبتم إليه في القدرة.

وإن قلتم: سلب القدرة على المعصية، كان المعصوم عندكم هو العاجز عن الذنب، كما يعجز الأعمى عن نقط المصاحف، والمقعد عن المشي، والعاجز عن الشيء لا ينهى عنه ولا يؤمر به، وإذا لم يؤمر وينه لم يستحق ثوابًا على الطاعة، فيكون المعصوم عندكم لا ثواب له على ترك معصية، بل ولا على فعل طاعة، وهذا غاية النقص.

وحينئذٍ فأي مسلم فرض كان خيرًا من هذا المعصوم، إذا أذنب ثم تاب؛ لأنه بالتوبة محيت سيئاته، بل بدل بكل سيئة حسنة مع حسناته المتقدمة، فكان ثواب المكلفين خيرًا من المعصوم عند هؤلاء، وهذا يناقض قولهم غاية المناقضة»[٢].

وبالنسبة لقول الشيعة بعصمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه لم ينقل على

(١) مرجع سباق ص٤٠٩، ٤١٠.

(٢) ابن تيمية: منهاج السُّنَّة (٦/ ٤٢٦).

قطُّ أنه قال: إني معصوم «فلا يمكن أحد أن ينقل عنه بإسناد ثابت أنه قال ذلك، بل النقول المتواترة عنه تنفي اعتقاده في نفسه العصمة، فإن إقراره لقضاته على أن يحكموا بخلاف رأيه، دليل على أنه لم يعد نفسه معصومًا.

وقد ثبت الإسناد الصحيح أن عليًّا قال: «اجتمع رأيي ورأي عمر في أمهات الأولاد لا يبعن، وقد رأيت الآن أن يبعن». فقال له عبيدة السلماني قاضيه: «رأيك مع عمر في الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك في الفرقة»، وكان شريح يحكم باجتهاده ولا يراجعه ولا يشاوره، وعلي يقره على ذلك، وكان يقول: «اقضوا كما كنتم تقضون». وكان يفتي ويحكم باجتهاده، ثم يرجع عن ذلك باجتهاده كأمثاله من الصحابة وهذه أقواله المنقولة عنه بالأسانيد الصحاح موجودة[1].

من هذا كله يتضح لنا أنه لم يرد عن علي رضي الله عنه نص صريح أو غير صريح يقول فيه بعصمته، وإنما القول بعصمته وعصمة أئمة الشيعة الاثنا عشرية من عمل الرافضة وقولهم.

أما علي نفسه فهو برئ تمامًا من هذا القول، لكن الرافضة، وهم من أكذب خلق الله تعالى وضعوا على لسانه ولسان أئمتهم القول بالعصمة والله يشهد أن الرافضة لكاذبون في هذا القول وذاك الفعل.

إن العصمة للأنبياء فقط ولا عصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا نبي بعده فهو خاتم الأنبياء والمرسلين.

وقد انقطع الوحي بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اكتمل دين الله

---

(١) ابن تيمية: منهاج السُّنَّة (٦/ ٤٤٠).

تعالى ودعا الله اتباعه إلى اتباع تعاليم رسوله صلى الله عليه وسلم فقال على لسان نبيِّه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾، وقال عزَّ من قائل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ فليس هناك حجة بعد الرسل ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، فلا يمكن مُضَاهاة الإمامة بالنبوة على ما يدَّعي الشيعة، فلا عصمة إلا لنبي من أنبياء الله تعالى.

المبحث الثالث

أدلة الشيعة من الحديث في مسألة التنصيص على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أولًا: تمهيد:

يرى الشيعة أن عليًّا أحق الناس بالإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقولون: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي بن أبي طالب لكن الصحابة اغتصبوا حقه ولم يعملوا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تركوها وانقلبوا على أعقابهم.

يقول بخاريهم الكليني في كتابه الكافي[1] وهو مرجع الشيعة الأكبر:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: بُني الإسلام على خمس على الصلاة والزكاة والصوم، والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نُودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه يعني الولاية.

فالإسلام عند الشيعة «بُني على خمس: الصلاة، والزكاة، والحج، والولاية، ولم يناد بشيء ما نُودي بالولاية يوم الغدير»[2].

وعندهم كما يزعم البحراني الشيعي: «إن تمام الإسلام باعتقاد ولاية علي عليه السلام، ولا ينفع الإقرار بالنبوة على جُحد إمامة علي لما لا ينفع الإقرار بالتوحيد

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، كتاب الإيمان والكفر باب: «دعائم الإسلام» (٢/ ١٥) حديث ٣.

(٢) المرجع السابق ص١٨.

من جُحد بالنبوة»[١].

وكذب على علي أنه قال: «من لم يقر بولايتي لم ينفعه الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم»[٢].

ونقل عن محمد بن الحسن الصفار في بصائره عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما بعث الله نبيًّا إلا وقد دعاه إلى ولايتك -أي علي- طائعًا أو كارهًا»[٣].

وروى الصدوق[٤] في الأمالي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: «لو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتك لحبط عملي»[٥].

معنى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر وبعث لتبليغ أمر واحد وهو الإبلاغ عن ولاية علي رضي الله عنه... وهذا أمر لا يمكن تصديقه أبدًا فدلائل الكذب فيه واضحة، وبراهين الافتراء فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم جليّة واضحة.

ورووا عن ابن بابويه القمي عن جعفر أنه قال: عُرِج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء مائة وعشرين مرة، ما من مرة إلا وقد أوحى الله فيها إلى النبي صلى

---

(١) البحراني، البرهان في تفسير القرآن، طبعة طهران، ١٣٧٥هـ مقدمة ص٢٤ هامش، ظهير إحسان إلهي، الشيعة والقرآن ص٥١.

(٢) المرجع السابق ص٥١، ٥٢ نقلًا عن البرهان مقدمة ص٢٥.

(٣) المرجع السابق ص٥١، ٥٢ نقلًا عن البرهان مقدمة ص٢٥.

(٤) الصدوق هو ابن بابويه القمي أحد كُتَّاب الصحاح الأربعة الشيعية.

(٥) الحويزي، تفسير «نور الثقلين» (١/ ٦٥٤).

الله عليه وسلم بالولاية لعلي أكثر ما أوصاه في سائر الفروض[١].

وكل هذه الأحاديث موضُوعة ومكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالشيعة معروفون بأنهم أكثر الفِرَق وضْعًا للأحاديث النبوية خصوصًا في ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه والغلو في مناقبه لدرجة تفضيله أحيانًا على الأنبياء والرسل، بل يصل التطاول لدى بعضهم إلى رفع مقامه عن مقام نبي الهدى صلى الله عليه وسلم الذي فضَّله الله تعالى على سائر الأنبياء والرسل والخلق أجمعين.

جاء في الأصول من الكافي[٢]: «إنَّ عليًّا وازن بينه وبين نفسه فقال: «أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد أقرت لي جميع الملائكة والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد صلى الله عليه وسلم وآله، ولقد حملت على مثل حمولة الرب، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يدعى فيكسى، وأدعي فأكسى، ويستنطق واستنطق إلى هذا نحن سواء، وأما أنا- ولقد أُوتيت خصالًا ما سبقني إليها أحد قبلي، علمتُ المنايا والبلايا والأنساب[٣] وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني»[٤].

وهذا النص ينطق بالغلو والتطرف في مقام علي رضي الله عنه وهو موجود في

---

(١) البحراني، البرهان في تفسير القرآن، المقدمة ص٢٢.

(٢) الكليني: الأصول من الكافي، كتاب الحجة (١٩/ ١٩٦، ١٩٧).

(٣) يقول الله تعالى: {وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت} [لقمان: ٣٤].

(٤) يقول تعالى عن نفسه: {لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض}[سبأ: ٣].

بخاريهم الأصول من «الكافي» الذي يعتقدون فيه اعتقادًا كبيرًا، وفي هذا تجرؤ كبير على مقام النبوة وتطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول تعالى: ﴿ لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾[النمل: ٦٥].

وزاد الطين بلة افتراؤهم على الله تعالى أنه قال: «علي بن أبي طالب حجَّتي على خلقي، ونوري على بلادي، وأميني على علمي، لا أدخل النار من عرفه وإن عصاني، ولا أدخل الجنة من أنكره ولو أطاعني»[١].

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هو عند الشيعة خليفة الله في أرضه ها هو صاحب كتاب كشف الغمة يقول: ينادي مناد يوم القيامة:

«أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم داود النبي عليه الصلاة والسلام، فيأتي النداء من عند الله عز وجل: لسنا إياك أردنا، وإن كنت لله خليفة، ثم ينادي مناد أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، فيأتي النداء من قِبَل الله عز وجل: يا معشر الخلائق! هذا علي بن أبي طالب خليفة الله في أرضه، حجَّته على عباده»[٢].

ووصل الأمر بمفسرهم الحويزي أن يقول في تفسيره المعروف بـ «نور الثقلين»، «دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين»[٣] فقال:

---

(١) البرهان في تفسير القرآن للبحراني المقدمة ص٢٣.

(٢) كشف الغُمَّة للأربلي الشيعي (١/ ٢٣).

(٣) زين العابدين (٣٨-٩٤هـ) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف

يا ابن الحسين! أنت الذي تقول: إن يونس بن متى إنما لقي من الحوت ما لقي؛ لأنه عرضت عليه ولاية جدي، فتوقف عندها؟ قال: بلى! ثكلتك أمك، قال: فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين؟ .

فأمر بشد عينيه بعصابة، وعيني بعصابة، ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا، فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه، فقال ابن عمر: يا سيدي! دمي في رقبتك، الله الله في نفسي، فقال: هنيئة، واريه إن كنت من الصادقين؟ ثم قال: يا أيها الحوت! قال: فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبيك لبيك يا ولي الله! فقال: من أنت؟ قال: حوت يونس يا سيدي! قال: ايتنا بالخبر، قال: يا سيدي! إن الله تعالى لم يبعث نبيًّا من آدم إلى أن صار جدك محمد إلا وقد عرض عليه ولا يتكلم أهل البيت، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص، ومن توقف عنها وتتعتع في حملها لقي ما لقي آدم من المصيبة، وما لقي نوح من الغرق، وما لقي إبراهيم من النار، وما لقي يوسف من الجُبِّ، وما لقي أيوب من البلاء، وما لقي داود من الخطيئة، إلى أن بعث الله يونس فأوحى الله إليه أن يا يونس! تول أمير المؤمنين»[1] وهذه الأسطورة لا تحتاج إلى تعليق فهي مذكورة في واحد من أهم كتب التفسير لدى الشيعة «نور الثقلين».

ولا شك أن الشيعة أرادوا أن يعمِّقوا مسألة الوصاية بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه خصوصًا في عقول العامة والدَّهْماء وغيرهما فاخترعوا مثل هذه الأساطير والخرافات التي يسهل على مثل هؤلاء الناس اعتقادها طالما أن الذي يذكرها مفسر

بزين العابدين، وليس للحسين بن علي عقب إلا من ولد زين العابدين، وهو أحد أئمة الشيعة الاثنا عشر.

(١) الحويزي، تفسير نور الثقلين (٣/ ٤٣٥).

من مفسريهم البارزين.

والحقيقة أن هذه عقيدة الشيعة المعقودة في أفئدتهم وقلوبهم، وهي النص على ولاية علي وفي سبيل ذلك يخترعون الأقاويل، وينحتون الأساطير ويكذبون ويخدعون الناس، فإذا ما ووجهوا بالحقائق الناصعة الباهرة النيرة تلووا وقالوا هذه القصص مكذوبة علينا ودست إلى كتبنا دسًّا مع أنها منصوص عليها في أشهر كتبهم المعتمدة.

ولقد وجدوا في عقيدة التقية عندهم ملجأ وحصنًا يتحصنون به كلما افتضح أمرهم، وكشف زيف دعاويهم وأغاليطهم.

فعلي عند الشيعة جميعًا ليس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل منه»[1].

ولقد وضع الشيعة العديد من أحاديث الوصاية بعلي ومدحه وتفضيله عن كل الصحابة وقد عُرِف عن الشيعة ضعفهم في الحديث وعلومه ومعظم رجالهم غير ثقات ومراتب الحديث عندهم قليلة[2].

---

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، عني بتصحيحه هلموت ريتر الطبعة الثالثة نشر فراز شتايز بفيسبادن ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص٧٥.

(٢) يقول الأستاذ عبد الله الأمين في كتابه دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ص٣٣، ٣٤، نشر دار الحقيقة ببيروت ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١- مراتب الحديث عندهم: الإخباريون منهم قلة قليلة لا علم لهم بمصطلح الحديث فهم يتلقون بالقبول كل ما ينقل إليهم عن أئمتهم، وبقوا كذلك طيلة ثلاثة قرون، وفي القرنين الرابع والخامس دونت أربعة كتب في علم الحديث، يعتقد أصحابها صحة ما أثبتوا في كتبهم من أحاديث وإن أول من كتب علم مصطلح الحديث عندهم: الحسن بن المطهر الحلي الملقب بالعلّامة، والحديث عند جمهورهم ينقسم إلى متواتر وأخبار آحاد.

وفي المتواتر يظهر أثر عقيدة الإمامة حين يشترطون أن لا يكون ذهن السامع مشوبًا بشبهة أو تقليد يوجب نفي خبر الإمامة ومدلوله مع أنهم يرفضون الأخذ بالحديث المتواتر والمرفوع إلى مرتبته إذا كان الخبر متعلقًا بعقيدة الإمامة وعدم إثبات صحتها، وعلى عكس ذلك نراهم يذهبون إلى تواتر حديث الغدير وحديث الثقلين.

أما أخبار الآحاد عندهم: ما اتصل بسنده إلى المعصوم بنقل العدل الإمامي عن مثله في جميع الطبقات حيث تكون متعددة «نقلًا عن كتاب: مقياس الهداية» فشروط الصحة هي:

١- اتصال السند إلى المعصوم.

٢- أن يكون الرواة إماميين في جميع الطقات.

٣- أن يكونوا عدولًا ضابطين، ويبدو أثر الإمامة جليًا باشتراطهم العصمة، وإمامية الراوي، فالحديث لا يصح عندهم ما لم يكن رواته جميعًا من الجعفرية (الاثنا عشرية الإمامية) يقول الماقاني الشيعي: (الموافق للتحقيق هو أن العدالة لا تجامع فساد العقيدة، وإن الإيمان شرط في الراوي لأنهم يشكون في غير الجعفري).

(أ) والحسن عندهم: هو ما تصل سنده إلى المعصوم بإمامي ممدوح مدحًا مقبولًا معتقدًا به غير معارض بذم من غير نص على عدالته مع تحقيق ذلك في جميع مراتب رواة طريقة أو في بضعها وفيه لا تشترط عدالة الراوي.

(ب) وأما الموثق عندهم: هو ما اتصل سنده إلى المعصوم بمن نص الأصحاب على توثيقه مع فساده عقيدته، إن كان من أحد الفرق المخالفة للإمامية وإن كان من الشيعة مع تحقيق ذلك في جميع رواة طريقة بعضهم مع كون الباقين من رجال الصحيح، «نقلًا عن مقياس الهداية» فتأخر مرتبة الحديث يرجع لوجود غير جعفريين في سنده يقول صاحب الدراية: «توثيق المخالف لا يكفينا بل الموثق عندهم ضعيف عندنا أو المدار في التوثيق إنما توثيق أصحابنا من الجعفريين».

(ج) والضعيف: هو ما لم يجتمع فيه شرط أحد الأقسام السابقة، بأن اشتمل طريقة على مجروح ونحوه أو على مجهول الحال أو دون ذلك الوضاع.

٢- مقولة ابن حنظلة عند الجعفرية هي العمدة في الترجيح؛ لأن راويها صفوان بن يحيى الذي يعتبر من أصحاب الإجماع الذين يصححون ما يصح عنهم وهي تقوم على الأسس

وبسبب اعتقادهم في عصمة أئمتهم وجعل ذلك يؤمنون إيمانًا راسخًا في صدق ما روي عنهم من أحاديث مهما كان ظاهرها باطلًا فأحاديث الأئمة عندهم مقدسة يقول صاحب (تاريخ الإمامية): «إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الحال عند أهل السُّنَّة»[1].

التالية:

(أ) أنها اعتبرت كل حاكم أو قاض غير جعفري طاغوتًا أمروا أن يكفروا به بنص القرآن.

(ب) من أخذ حقه عن طريق حاكم غير جعفري كان كمن أخذ سُحْتًا (مالًا حرامًا).

(ج) يعتبر حاكم الجعفري كحكم الله تعالى ومن رفضه فقد أشرك بالله تعالى.

(د) أنها تدعو إلى مخالفة جمهور المسلمين حتى حين موافقتهم للكتاب والسُّنَّة مؤيدين رأيهم بما نسبوه للإمام الصادق زورًا قوله: (ما خالف العامة فيه الرشاد؛ لأن المشهور عنهم مقدمًا على غيره حتى ولو كان راويه أصدق وأعدل وكان موافقًا للكتاب والسُّنَّة: وفي ذلك تعميق للهوة بين أهل السُّنَّة والجماعة وبين الجعفريين، وهذا ما يسعى إليه علماء الشيعة، يروي الكليني في كتابه الكافي (١/ ٦٥) «أن زرارة بن أعين سأل أبا جعفر في مسألة وسأله آخران من شيعتهم نفس السؤال، فأجاب كل واحد بخلاف جواب الأول، ولما سئل عن سبب تعدد الإجابة على السؤال الواحد قال: يا زرارة، إن هذا خير لنا، وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا، ولكان أقل لبقائنا وبقائكم».

وأشهر كتب السُّنَّة عند الجعفرية:

١- الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني.

٢- فقيه من لا يحضر الفقيه لمحمد بن بابويه القمي الملقب بالصدوق.

٣- التهذيب لمحمد بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة.

٤- الاستبصار للطوسي أيضًا.

(١) عبد الله فياض «تاريخ الإمامية» ص١٤٠.

وإن أقوال أئمتهم الاثنا عشرية هي كأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل يقرر أكبر أئمتهم الكليني بأنها كقول الله عز وجل... يقول في بخاريهم «الكافي» «عن حماد بن عثمان وغيره قالوا سمعنا أبا عبد الله أي جعفر الصادق يقول حديثي حديث أبي وحديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث رسول الله قول الله عز وجل»[1].

ويعلق مرجعهم وإمامهم المازندراني على كلام الكليني فيقول في كتابه شرح جامع على الكافي «إن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله عز وجل ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى»[2].

يقول شاه عبد العزيز الدهلوي: «من مكايد الشيعة أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السُّنَّة، فمن وجدوه موافقًا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السُّنَّة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته، كالسدي، فإنهما رجلان، أحدهما السدي الكبير، والثاني السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السُّنَّة، والصغير من الوضَّاعين الكذَّابين وهو رافضي غال، وعبد الله بن قتيبة رافضي غال، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السُّنَّة وقد صُنِّف كتابا سماه بالمعارف، فصنف ذلك الرافضي كتابًا وسمَّاه بالمعارف أيضًا قصدًا للإضلال.

ومن مكايدهم أنهم ينسبون بعض الكتب لكبار علماء السُّنَّة مشتملة على

(١) الكليني: مع شرح جامع للمازندراني (٢/ ٢٧١، ٢٧٢) وقد سبق ذكر هذا النص.

(٢) المازندراني نفس المرجع، ونفس الصفحتين.

مطاعن في الصحابة، وبطلان مذهب أهل السُّنَّة، وذلك مثل كتاب «سر العالمين» فقد نَسَبوه إلى الإمام محمد الغزالي عليه الرحمة وشحنوه بالهذيان، وذكروا في خطبته عن لسان ذلك الإمام وصيته بكتمان هذا السر، وحفظ هذه الأمانة، وما ذكر في هذا الكتاب.

فهو عقيدتي، وما ذكر في غيره فهو المداهنة، فقد يلتبس ذلك على بعض القاصرين»[1].

إن الشيعة أكذب الفرق وأقل العلماء معرفة بالنصوص والآثار والأحاديث النبوية الشريفة وأسانيدهم ضعيفة أو منقطعة الإسناد أو ينقلون عمن عرف عنه الحرج والكذب والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضع الأحاديث عندهم أمر سهل للغاية، والكذب علي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخشون عاقبته فلفقوا أخبارًا عجيبة ورووا ورايات موضوعة وإن أحوال معظم رجال مسانيدهم لا تخفى على علماء الجرح والتعديل[2].

---

(١) شاهد الدهلوي: مختصر التحفة الاثنا عشرية ص٣٥، ٣٦، اختصره علَّامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي نشر إدارة البحوث الإسلامية والدعوة بالجامعة السلفية بنارس الهند ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٢) يقول الإمام ابن تيمية في منهاج السُّنَّة (١/ ٦٦، ٦٧)، «إن العلماء كلهم متفقون على أن الكذب في الرافضة أظهر منه في سائر طوائف أهل القبلة، ومن تأمل كتب الجرح والتعديل المصنفة في أسماء الرواة والنقلة وأحوالهم، مثل كتب يحيى بن سعيد القطان، وعلي بن المديني، ويحى بن معين، والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم الرازعي والنسائي وأبي حاتم بن حبان... وأمثال هؤلاء الذين هم جهابذة ونُقاد وأهل معرفة بأحوال الإسناد، رأي المعروف عندهم بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف».

ولم يسلم من شرهم أعظم رجالات الحديث في الإسلام صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل، الإمام البخاري رضي الله عنه حيث يقول: فيه ميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري صاحب روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ص٤٣٣: «ونقل عن الذهبي الناصبي أنه قال في كتاب ميزانه، عند ذكره وبيانه، لمرتبة إمام الأنام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أحد الأئمة الأعلام بر صادق كبير الشأن، لم يحتج به البخاري، بمعنى أنه لم يستند في كتابه الجامع من كل غث غير ثمين، وغثاء مهني... بما أخبره به الصادق المصدق الأمين وفيه ما لا يخفى من الدلالة على غاية جهل الرجل وغوايته، وعماه الشديد في طريق غوايته، بل الإشارة إلى خُبث أصله وسوء ولادته... مثل سائر أعداء الله وأعداء أهل بيته رسالته... وقال بعض علمائنا: وإنما شاع[1] كتابه لتظاهره بعداوة أهل البيت عليهم السلام فلم يرو حديث الغدير، وكتم حديث الطائر[2] وجحد آية التطهير[3]، مع إجماع المفسرين على نزولها فيهم من غير نكير، إلا ما كان من عكرمة الخارجي، والكذاب الكلبي، وثالثهما البخاري».

وهذه قمة الإساءة إلى صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل إمام

---

(١) موسى جار الله: الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، مطبعة الكيلاني بمصر ١٩٨٢م.

(٢) سيأتي الإشارة إلى حديث الغدير وحديث الطائر في هذا الكتاب إن شاء الله، وسنبين خطأ استدلال الشيعة بهذين الخبرين على أحقية علي رضي الله عنه في خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته.

(٣) سنبين بإذن الله تعالى خطأ الشيعة في استدلالهم بآية التطهير: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}[الأحزاب: ٣٣] على أحقية علي رضي الله عنه في الخلافة عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحديث والسُّنَّة والإمام محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه[١] كذبوا على جعفر الصادق وعلى والده محمد الباقر رضي الله عنهما، ونسبوا إليهما بل إلى جعفر الصادق بالذات ما لم يقله.

يقول صاحب كتاب الشيعة وأهل البيت «وأما محمد الباقر وابنه جعفر فهما المظلومان الحقيقيان لأنه لا يوجد فضيحة ولا قبيحة إلا وقد نسبوها إليهما من الجبن والنفاق والغدر والخيانة والكذب، وباسمهما اخترعوا مذهبًا، واختلقوا مسلكًا وهما لا يدريان عنه وعنهم شيئًا[٢]، فلقد قالوا: إن الباقر كان يحل ما حرَّمه الله خوفًا وجُبْنًا... وقالوا عن جعفر أيضًا إنه مدح أبا حنيفة إمامه، وذمَّه بعد ما خرج من عنده[٣].

---

(١) البخاري: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (٨٦٩هـ- ٨٠٩م) صاحب أصح كتب الحديث «الجامع الصحيح» الذي قضى ست عشرة عامًا، في جمع أحاديثه، ورحل إلى البلدان والأقطار طالبًا رواة الحديث وحُفَّاظه، وبفضل حافظته النادرة العجيبة ومعرفته الدقيقة بتاريخ الرجال واتجاهاتهم المذهبية والعقدية والفكرية والسياسية استطاع أن يميز بين صحيح الحدي من ضعيفه وموضوعه، وجمع في «الجامع الصحيح» الأحاديث الصحيحة التي يتصل سندها من الراوي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل راوٍ عدل ضابط.

(٢) إحسان إلهي ظهير: الشيعة وأهل البيت ص٢٨٦، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م نشر إدارة ترجمان السُّنَّة بلاهور، باكستان.

(٣) روى الكليني في كتاب الروضة من «الكافي» (٨/ ٢٩٢)، تعبير منامات عن محمد بن مسلم أنه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة فقلت له: جُعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة فقال لي: يا ابن مسلم! هاتها فإن العالم بها جالس وأومأ بيده إلى أبي حنيفة قال: فقلت: رأيت كأني دخلت داري وإذا أهلي قد خرجت على فكسرت جوازًا كثيرًا ونثرته على، فتعجبت من هذه الرؤيا، فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتجادل لثامًا في مواريث، أهلك فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أصبت والله

ونسبوا إليه أنه قال: «إني لأتكلم على سبعين وجهًا ليس في كلها المخرج»[١].

وكان أبو عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنه يعلم جيدًا أن الشيعة نسبت إليه ما هو منه براء. واختلقت حوله الأساطير والافتراءات... وكثيرًا ما اشتكى من هذه الافتراءات والأكاذيب، وها هي كتب الشيعة تنضح بشكوى إمامهم الصادق فيقول الكشي في كتابه الرجال المعروف بـ«رجال الكشي»[٢] ص٢٥٧، ٢٥٨ تحت ترجمة أبي الخطاب «عن ابن سنان أنه قال أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: إنا أهل البيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه عند الناس -ثم عد واحدًا بعد واحد من الكذابين- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق البرية لهجة، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه من الكذب عبد الله بن سبأ لعنه الله، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام قد ابتلي بالمختار[٣]،

يا أبا حنيفة، قال: ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقتل: جعلت فداك إني كرهت تعبير هذا الناصب، فقال: يا ابن مسلم لا يسوءك الله، فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا، ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير لما عبَّره، قال: فقلت له: جعلت فداك فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ؟ قال: نعم حلفت عليه أنه أصاب الخطأ ؟! (ظهير: الشيعة وآل البيت ص٢٨٧).

(١) المرجع السابق ص٢٨٧.

(٢) الكشي: أبي عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي «الرجال» تعليق أحمد الحسين ط، مؤسسة الأعلمي، مطبعة الآداب، النجب بدون تاريخ.

(٣) المختار بن أبي عبدي الثقفي، كان أبوه من جملة الصحابة، وولد المختار عام الهجرة، وليست له صحبة، وهو ضال مضل كذاب كان يزعم أن جبريل ينزل عليه، كان خارجيًا، ثم صار زبيريًا ثم صار شيعيًا وكيسانيًا، وكان ممن خرج على الحسين بن علي رضي الله عنهما في المدائن، ثم صار مع ابن الزبير بمكة فولاه الكوفة فغلب عليها، ثم أخذ يطلب بدم الحسين وثأره واجتمع عليه كثير من الشيعة، وقتل قتلة الحسين، وقد سار إليه مصعب بن الزبير من

ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامي والبنان، فقال: كانا يكذبان على علي بن الحسين عليه السلام، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعًا والسري وأبا الخطاب ومعمرًا وبشار الأشعري وحمزة اليزيدي وصائب النهدي -أي أصحابه - فقال: لعنهم الله، إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا -كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد»[1].

الحقيقة أن الشيعة غالوا في الكذب على جعفر الصادق رضي الله عنه ونسبوا إليه كتبًا لم يكتبها قطُّ مثل كتاب «الجفر» وفيه التنبؤ بالغيث حتى قيام الساعة، عن طريق النجوم والآثار ويزعمون أن هارون بن سعيد العجلي رواه عن جعفر الصادق والكتاب موضوع وضعًا، وكتب بعد وفاة جعفر الصادق بأكثر من قرنين من الزمان، ويقول الكليني في «كافي» الشيعة، و «بخاريهم» «إن الجفر فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وعلوم الأنبياء والأوصياء، ومن مضى من علماء بني إسرائيل، وعلم الحلال والحرام، وعلم ما كان وما يكون»[2].

إن جعفرَ الصادق برئ تمامًا من غالب ما نسبه إليه الشيعة لكن الكذب دينهم، وعقيدتهم، وتقيتهم.

ولا يستطيع الشيعي إلا أن يتنفس الكذب ويعيش على الافتراء حتى على أئمتهم الصادقين[3].

البصرة في جمع كثير من أهل الكوفة وأهل البصرة فقتل المختار باكوفة سنة سبع وستين، أُسد الغابة (٤/ ٣٣٦)، الملل والنِّحَل للهشرستاني (١/ ١٤٦).

(١) إحسان ظهير: الشيعة وأهل البيت ص٢٥٥.

(٢) الكليني: الكافي (١/ ٢٣٨).

(٣) كان الإمام أبي عبد الله جعفر يتبرأ مما كان ينسبه إليه شيعته «ولعنهم ، وبرئ من خصائص

ولم يكتف الشيعة بالكذب على الباقر وابنه الصادق بل من قبلهم وضعوا الأحاديث في وجوب ولاية جدهما علي رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه من والى عليًا فقد سبقت له الرحمة وإن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم سِمة مميزة في معظم كتابات الشيعة... وها هو الصدوق عندهم ابن بابويه القمي يقول في كتابه الخصال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: يا علي! من أحبَّك ووالاك سبقت له الرحمة، ومن أبغضك وعاداك سبقت له اللعنة، فقالت عائشة: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم! ادع الله لي ولأبي لا نكون ممن يبغضه ويعاديه، فقال صلى الله عليه وسلم وآله: «اسكتي، إن كنت أنت وأبوك ممن يتولاه ويحبه فقد سبقت لكما الرحمة، وإن كنتما ممن يبغضه ويعاديه فقد سبقت لكما اللعنة»[1].

لقد أصبح حب علي عندهم فرضًا ينفك منكره عن ربقة الإسلام ويستندون في ذلك إلى بعض الأحاديث الضعيفة التي تضمنتها بعض كتب أهل السُّنَّة فابن مطهر الحِلِّيّ يذكر أن الإمام أحمد بن حنبل روى في مسنده أن رسول الله صلى الله

مذاهب الرافضة، ومن حماقاتهم، ومن القول بالغيبة والرجعة، والبداء، والتناسخ والحلول والتشبيه، لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهبًا، وأراد أن يروجه على أصحابه ونسبه إليه، وربطه به، والسيد بريء من ذلك، ومن الاعتزال، والقدر أيضًا، هذا قوله في الإرادة، إن الله تعالى أراد بنا شيئًا، وأراد منا شيئًا، فما أراده منا، وهذا قوله في القدر هو أمر بين أمرين، لا جبر ولا تفويض وكان يقول في الدعاء «اللهم لك الحمد إن أطعتك، ولك الحجة إن عصيتك لا صنع لي ولا لغيري في إحسان، ولا حجة لي ولا لغيري في إساءة» الشهرستاني، الملل والنِّحل، تصحيح أحمد فهمي محمد دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٠هـ (١/ ١٦٧).

(١) كتاب الخصال للصدوق (٢/ ٥٥٦)، مطبعة الحيدري طهران.

عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين، فقال: من أحبَّني أحب هذين وأباهما وأمهما فهو معي في درجتي[١].

وهذا كذب آخر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقل غير أمين من «المسند».

وقد ردَّ ابن تيمية[٢] رحمه الله تعالى على زعم ابن مطهر الحلي في منهاج الكرامة فقال: «أما قوله: «رواه أحمد» فيقال: أولًا: أحمد له المسند المشهور، وله كتاب مشهور في «فضائل الصحابة» ورى فيه أحاديث لا يرويها في المسند لما فيها من

---

(١) علَّق الأستاذ الدكتور محمود رشاد سالم رحمه الله تعالى على هذا الحديث في هامش منهاج السُّنَّة لابن تيمية (٧/ ٣٩٧، ٣٩٨)، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

فقال: «الحديث عن علي بن حسين عن أبيه عن جده في كتاب «فضائل الصحابة» (٢/ ٣٩٣) رقم ١١٨٥، بألفاظ مقاربة وقال المحقق في تعليقه: «في إسناده علي بن جعفر بن محمد الصادق، لم يذكر بجرح ولا تعديل، والباقون ثقات، قال الذهبي في الميزان (٣/ ١١٧) في ترجمة علي ما هو شرط كتابي لأني ما رأيت أحدًا لينة، نعم ولا من وثقه، ولكن حديث منكر جدًّا، ما صححه الترمذي ولا حَسَّنه، ثم ذكر هذا الحديث». وقال في سير النبلاء (٤/ ١٠٨) إسناده ضعيف والمتن منكر، وأخرجه الترمذي (٥/ ٦٤١)، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه، وقد رأينا أن الذهبي أنكر أن يكون الترمذي حسنه، قال أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢/ ٢٥)، والتحسين ثابت في بعض نسخ الترمذي دون بعض، وذكر في التهذيب (١٠/ ٤٣)، أنه لما حدث نصر بن علي هذا الحديث أمر المتوكل بضربه ألف سوط».

(٢) ابن تيمية، منهاج السُّنَّة النبوية (٧/ ٣٩٩، ٤٠٠) طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

الضعف، لكونها لا تصلح أن تُروىٰ في المسند، لكونها مراسيل أو ضعافًا بغير الإرسال، ثم إن هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبد الله زيادات، ثم إن القطيعي -الذي رواه عن ابنه عبد الله- زاد عن شيوخه زيادات، وفيها أحاديث موضوعة- باتفاق أهل المعرفة وهذا الرافضي وأمثاله من شيوخ الرافضة جُهَّال، فهم ينقلون من هذا المصنف، فيظنون أن كل ما وراه القطيعي أو عبد الله قد رواه أحمد نفسه، ولا يميزون بين شيوخ أحمد وشيوخ القطيعي، ثم يظنون أن أحمد إذا رواه فقد رواه في المسند، فقد رأيتهم في كتبهم يعزون إلىٰ مسند أحمد أحاديث ما سمعها أحد قطُّ، كما فعل ابن البطريق، وصاحب «الطرائف» منهم، وغيرهما بسبب هذا الجهل منهم، وهذا غير ما يفترونه من الكذب، فإن الكذب كثير منهم.

وبتقدير أن يكون أحمد روىٰ الحديث، فمجرد رواية أحمد لا تُوجب أن يكون صحيحًا يبح العمل به، بل الإمام أحمد روىٰ أحاديث كثيرة ليعرف ويبين للناس ضعفها.

وهذا في كلامه وأجوبته أظهر وأكبر من أن يحتاج إلىٰ بسط، لاسيما في مثل هذا الأصل العظيم».

والحقيقة أن الشيعة تخصصوا تخصصًا واضحًا في التقاط النصوص التي تؤيد نزعاتهم، مع أن بعضهم يعرف درجة الحديث من الضعف في متنه والجرح والقدح في رجاله، إلا أنه يُصر دائمًا علىٰ نقل الضعيف والموضُوع والمكذوب علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بدعوىٰ حب علي وحب آل البيت وآل البيت كم قاسوا من هذا الحب الخبيث -ولا زالت صرخة علي بن الحسين رضي الله عنهما ترن في أذهاننا. «يا أيها الناس، أحبونا حبَّ الإسلام فما برح بنا حبكم حتىٰ صار عارًا علينا».

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: «إنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يُبغضك إلا منافق» حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه[١].

وأهل السُّنَّة أكثر الناس حبًّا لعلي ولآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولصحابته أكثر من الشيعة لكن حب أهل السُّنَّة ليس فيه غلو كما غالى فيه الغُلاة منهم فجعلوا مرتبته أعلى من مقام النبوة.

وهذا الحديث لا يوجب لعلي بن أبي طالب الخلافة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا لأوجب من باب أولى الخلافة للأنصار فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا الحديث فيهم فقد ذكر البخاري في مناقب الأنصار عن زيد بن حارثة الأنصاري قال: كنا جلوسًا حول سرير معاوية فخرج علينا فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أحب الأنصار أحبه الله، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله»[٢].

وقال عدي بن ثابت سمعت البراء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للأنصار: «لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[٣].

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان باب ٣٣، الدليل على أنه حب الأنصار، وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق (١/ ٨٦) حديث رقم ١٣١ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

(٢) البخاري مناقب الأنصار، باب ٢ حب الأنصار من الإيمان فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٧/ ١١٣)، حديث ٣٧٨٣.

(٣) البخاري كتاب مناقب الأنصار ٤، حب الأنصار من الإيمان فتح الباري (٧/ ١٣) حديث رقم ٣٧٨٣.

فهذا الحديث لا يخص عليًا فقط وإنما يشترك معه فيه خلق كثير، هم الأنصار فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بُغض الأنصار»[1].

ثانيًا: علي ينفي أحاديث الوصاية وتخصيصه بشيء

من العجيب أنه مع أن الشيعة وضعوا كمًّا رهيبًا من الأحاديث تفيد النص على علي فإن عليًا ذاته ينفي وجود مثل هذه الأحاديث.

فقد روى مسلم بسنده إلى أبي الطفيل قال: سئل علي: أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال: ما خصَّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا، فأخرج صحيفة مكتوبًا فيها: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثًا»[2].

وهنا نلاحظ أن عليًا نفسه يعترف بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخصه بشيء، ولم يوص له بالخلاف أو الإمامة، على عكس ما ادعى الشيعة وأذاعوه بين الناس.

وذكر ابن سعد في طبقاته: أخبرنا وكيع بن الجراح عن أبي بكر الهذلي عن

---

(١) البخاري: (كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار) (٥/ ٣٢)، ومسلم (كتاب الإيمان باب، الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان) جزء صفحة ٨٥ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري كتاب الأضاحي باب «تحريم الذبح لغير الله» حديث رقم ١٩٧٨م، ترقيم وتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط، أولى ١٣٧٤ هـ دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

الحسن، قال: قال علي لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، فقدمنا أبا بكر[١].

وروى أحمد في مسنده عن قيس بن عباد قال: كُنَّا مع علي فكان إذا شهد مشهدًا أو أشرف على أكمة أو هبط واديًا، قال: سبحان الله، وصدق الله ورسوله... إلى أن قال: فسألناه فقلنا: فهل عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك شيئًا من ذلك؟ قال: فأعرض عنا، وألححنا عليه، فلما رأى ذلك قال: والله ما عهد إلي رسول الله عهدًا إلا شيئًا عهده إلى الناس، ولكن الناس وقفوا على عثمان رضي الله عنه فقتلوه، فكان غيري فيه أسوأ حالًا وفعلًا مني، ثم إني رأيت أني أحقهم بهذا الأمر فوثبت عليه، فالله أعلم أصبنا أم أخطأنا[٢].

والشاهد في هذا الحديث قول علي وهو يقسم بالله تعالى قسمًا شديدًا «والله ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدًا إلا شيئًا عهده إلى الناس» وفي هذا القول دلالة قوية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إليه بشيء، ولم يخصه بشيء، ولم يوص له بشيء، فما بال القوم يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن صاحبهم في أصحِّ كتب الحديث المعتمدة عند المسلمين ينفي ذلك تمامًا.

---

(١) الطبقات الكبرى لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري، نشرد دار بيروت للطباعة والنشر ط١٣٩٨، ج١٨٣، وإسناد هذا الحديث لا يصح لأن فيه أبو بكر الهذلي، متروك الحديث.

(٢) رواه أحمد في مسنده، وصححه المحقق أحمد شاكر، المسند حديث رقم ١٢٠٦، الجزء الثاني ص ٢٨٧.

والحقيقة أن دعوى النصيحة على علي والوصاية به، مقالة ابتدعها عبد الله بن سبأ اليهودي وأذاعها بين القوم ووجدها مناسبة تمامًا لهواهم، وموافقة لآرائهم فأخذوها عنه دون سند صحيح، وجعلوها أصلًا من أصول الإيمان عندهم، وركنًا من أركان الإسلام مع أنه أصل لا أساس له، وركن لا وجود له لأن صاحبهم رضي الله عنه يكشف عن افترائهم وكذبهم فقد سُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما رواه عنه أبو جحيفة: هل خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال: ما هو إلا كتاب الله وفهم يؤتيه الله من شاء في الكتاب[1].

فلم يدع النص عليه، ولم يفتر كذبًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ادَّى هؤلاء القوم عليه.

يؤكد ذلك الرأي الذي نقول به، ويدعمه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، وهو صحيح البخاري، فمن طريق الزهري، قال: أخبرني عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري أن عبد الله بن عباس أخبره أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فقال: أصبح بحمد الله بارئًا، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت واليه بعد ثلاث وإلا ستكون عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت.

اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان

---

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: «كتابة العلم» حديث رقم ١١١، (١/ ٢٠٤)، طبعة السلفية القاهرة.

فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه، فأوصى بنا فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

وهذا الحديث دليل واضح وبرهان ساطع على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف عليًّا من بعده ولم يوص به.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم درهمًا ولا دينارًا ولا شاة ولا بعيرًا ولا أوصى بشيء»[٢].

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يستخلف أحدًا ولو استخلف أحدًا لاستخلف أبا بكر ففي حديث صحيح أخرجه مسلم وفيه: وسئلت – عائشة- من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفًا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت عمر، ثم قيل لها: مع بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا[٣].

ولم يكتف الشيعة بذلك بل قالوا كما ذكر بن المطهر الحلي الشيعي في منهاج الكرامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة بأن يسلموا على علي بإمرة المؤمنين، وقال: إنه سدي المرسلين وإمام المتقين وقائد الغُرِّ المحجلين.

وإن أي دارس لعلوم الحديث ومصطلحه يتبين له ببساطة مدى افتراء الشيعة

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني المغازي، باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم (٨/ ١٤٢)، حديث ٤٤٤٧.

(٢) صحيح مسلم كتاب الوصية، باب «ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه» ج٣.

(٣) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب: «من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه».

تجرئهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالحديث غير موجود لا في الكتب الستة، ولا الكتب التسعة المتداولة عند أهل السُّنَّة والجماعة، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجماع العلماء والفقهاء وجمهور المسلمين هو سيد المسلمين، وإماما المتقين، وقائد الغر المحجلين وليس علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ويستند الشيعة في دعم موقفهم من مسألة وصاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي إلى بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة في بعض كتب السنة.

ومنا ما وراه الإمام الجليل أحمد بن حنبل في مسنده عن أنس بن مالك قال: قلنا لسلمان سل النبي صلى الله عليه وسلم من وصيه، فقال سلمان: يا رسول الله، من وصيك؟ فقال: «يا سلمان، من كان وصي موسى» فقال: يوشع بن نون، فقال: «فإن وصيي ووارثي يقضي ديني، وينجز موعدي علي بن أبي طالب».

وهذا الحديث موضُوع بإجماع الثقات من رجال الحديث الشريف، لكن الكذب الذي هو دينهم وديدنهم جعلهم يفترون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون: إنه حكم بكفر من ناصب عليًّا الخلافة.

فقد ذكر ابن مطهر الحلي الشيعي في «منهاج الكرامة».

«روى أخطب خوارزم بإسناده عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ناصب عليًّا الخلافة فهو كافر، وقد حارب الله ورسوله، ومن شك في علي فهو كافر».

سبحانك هذا بهتان عظيم وإفك مبين فالصناعة والوضع بادية واضحة في التأليف، ونجد في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي

حديثًا موضوعًا قريبًا من بهتانهم الكبير، وفيه عن جابر رضي الله عنه «علي خير البر فمن أبىٰ فقد كفر»[١].

وذكر ابن الجوزي في الموضوعات عن علي بن قرين «من مات وفي قلبه بُغض لعلي بن أبي طالب فليمت يهوديًا أو نصرانيًا»[٢].

وعلي بن قرين هذا لا يؤخذ منه الحديث؛ لأنه عُرِف بالكذب فهو من المجروحين الذين لا يُؤبه لقولهم.

ثالثًا: أدلة الشيعة من الحديث في مسألة التنصيص على علي رضي الله عنه ومناقشتها

الدليل الأول:

من أبرز الأدلة التي يعتمد عليها الشيعة في أحقية علي في الخلافة بعد وفاة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الحديث الصحيح الذي ورد ذكره في البخاري وهو قول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ»، وفي رواية: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي»[٣].

وهذا الحديث لا يدل علىٰ أفضلية علي، ولا يُعطىٰ لعلي فضلًا علىٰ غيره من

---

(١) السيوطي: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٣٢٨)، طبعة المكتبة الحسينية بالأزهر ١٣٥٢هـ.

(٢) ابن الجوزي: الموضوعات (١/ ٣٨٥)، ط، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٦هـ.

(٣) البخاري: مناقب علي (٨/ ٧١)، ومسلم فضائل علي (١٥/ ١٧٥).

الصحابة.\

فإن لهذا الحديث مناسبة قيل فيها، فقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبب وهو أنه لما استخلف النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا على المدينة في غزوة «تبوك» في سنة تسع من الهجرة، شعر علي بشيء في نفسه لأنه لم يشارك في الغزوة محاربًا، وإنما استخلفه الرسول على النساء والصبيان والأرامل في المدينة المنورة، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطيب نفسه وخاطره فقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى». ومن المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف غيره قبله، فاستخلافه لعلي رضي الله عنه على المدينة لا يعدُّ من خصائصه، ففي كل غزوة من غزواته كان يستخلف على المدينة أحد الصحابة، فاستخلف ابن أم مكتوم، وزيد بن حارثة، والوعيد بن رواحة، وعثمان بن عفان، وأبا لبابة وسعد بن معاذ، وسعد بن عبادة.

ثم إن هناك أمر آخر أشار إليه ابن حزم في الفِصَال وهو أن استخلافه: «لا يوجب فضلًا على من سواه، واستحقاق الإمامية بعده عليه السلام؛ لأن هارون لم يَلِ أمر بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي فسافر معه في طلب الخضر»[1].

فالرسول صلى الله عليه وسلم شبَّه عليًّا بهارون في مسألة الاستخلاف كما استخلف غيره من قبل «يبين ذلك أن موسى لما ذهب إلى ميقات ربه لم يكن معه أحد يشاركه في ذلك، فاستخلف هارون على جميع قومه، والنبي صلى الله عليه وسلم لما ذهب إلى غزوة تبوك أخذ معه جميع المسلمين إلا المعذور ولم يستخلف عليًّا

(١) ابن حزم: الفِصَل (٤/ ٩٤)، طبعة المثنى بغداد.

إلا علي العيال وقليل من الرجال، فلم يكن استخلافه كاستخلاف موسى لهارون، بل ائتمنه في حال مغيبة، كما ائتمن موسى هارون في حال مغيبة، فبين له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الاستخلاف ليس لنقص مرتبة المستخلف، بل قد يكون لأمانته كما استخلف موسى هارون على قومه، وكان علي خرج إليه يبكي،وقال: أتذرني مع الناس والصبيان؟ كأنه كَرِه أن يتخلف عنه، فبين له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه المنزلة ليست لنقص المستخلف، إذ لو كان كذلك ما استخلف موسى هارون»[1].

والحقيقة أن هارون كما ذكرنا لم يكن خليفة بعد أخيه موسى؛ لأن هارون تُوفي قبل موسى.

من ذلك كله يتضح لنا أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» لا يعد ذلك من خصائص علي بل منقبة من مناقبه، والتشبيه أمر معروف في اللغة العربية، وقد سبق لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن شبَّه أبا بكر رضي الله عنه بإبراهيم عليه السلام وعيسى عليه السلام، وشبَّه عمر رضي الله عنه بنوح عليه السلام وموسى عليه السلام، حين أشارا عليه في أسارى بدر، فرأى أبو بكر الفدية ورأى عمر القتل وجاء القرآن الكريم موافقًا لرأي عمر رضي الله عنه، فمن حديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه وتكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام، قال: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

(١) ابن تيمية: منهاج السُّنَّة (٤/ ٢٧٤).

ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[المائدة: ١١٨]. وإن مثلك يا عمر، كمثل نوح قال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس ٨٨].

فلا ينفلتن أحد إلا بفداء أو ضربة عنق»[1]. والتشبيه كثير في اللغة العربية.

ومن زاوية أخرى فإن مكانة الصديق والفاروق لا يدانيهما مكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر»[2].

وكان أبو بكر الصديق أقرب الصحابة إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال في حديث البخاري: «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر لكن أخوة في الإسلام»[3].

---

(١) ابن حنبل: المسند، (١/ ٣٨٣)، أبو داود: السنن كتاب الجهاد (٤/ ٦١).

(٢) المباركفوري: تحفة الأحوذي (١٠/ ١٦٦)، نشر المكتبة السلفية بالقاهرة.
وقال الترمذي عنه حديث غريب، وأخرجه الحاكم بمعناه من حديث سعيد بن المسيب وصححه الحاكم في مستدركه (٣/ ٦٣)، الحاكم النيسابوري «المستدرك» طبعة دائرة المعارف بحيدر آباد بالهند.

(٣) ابن حجر: فتح الباري (٧/ ١٧).

ولا يتصور أبدًا أن من استخلف إنسانًا لعمل ما ولمدة معينة انقضت أن يكون هذا الإنسان بعد موته خليفة له.. وقولهم إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استخلفه على المدينة، فيجب أن يكون خليفة له بعد موته، قول ترفضه كل العقول السليمة إذ لا أساس له من نقل أو عقل.

وأخيرًا فإننا نقول للشيعة إن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» هل شارك علي الرسول في النبوة مثل مشاركة هارون عليه السلام شقيقة موسى عليه السلام.

وإذا كانت الإجابة بالنفي وهي الإجابة الحق لأنه من يقول بالإيجاب شاركه مشاركة هارون موسى عليه السلام، فقد كفر، إذن فقد صحَّ استخلاف علي كما استخلف من قِبل غيره من الصحابة رضوان الله عليهم.

الدليل الثاني

يحتج الشيعة في أحقية علي بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ختن[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحقيقة أنه ليس في ذلك الأمر أي خصوصية لعلي فقد شاركه في ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه تزوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقية وأم كلثوم، واحدة بعد أخرى ولهذا سمي ذو النورين؛ لأنه تزوج بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم: «لو كان عندنا ثالثة لزوجناها عثمان».

---

(١) «علي ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم» أي زوج ابنته لزواجه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم.

وشاركه في هذا الأمر أيضًا أبو العاص بن الربيع[1] زوج زينب كبرى بناتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد اخترع الشيعة عدة أحاديث في زواج فاطمة رضي الله عنها بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ونقل ابن المطهر الحلي في منهاج الكرامة حديثًا موضوعًا ذكره أخطب خوارزم من كتاب السُّنَّة بإسناده عن جابر قال: لما تزوج علي فاطمة زوجها الله إياه من فوق سبع سموات، وكان الخاطب جبريل وإسرافيل في سبعين ألفًا من الملائكة شهودًا، فأوحى الله إلى شجرة طوبى: انثري ما فيك من الدر والجوهر، ففعلت فأوحى الله إلى الحور العين أن القطن، فلقطن منهم إلى يوم القيامة.

وهذا الحديث ظاهر الوضع والتأليف، فإن أشرف الخلق أجمعين وأعلاهم

---

(١) هو ابن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، وقد أسر في غزوة بدر مع المشركين وفدته زين رضي الله عنها، وشرط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثها إليه فوفى له ذلك الشرط.

ولهذا أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «ووعدني فوفى لي»، ولما أسر ثانية وأجازته زينب أسلم، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب إليه وأنجبت له أمامة التي كان يحبها الرسول صلى الله عليه وسلم ويحملها على ظهره وهو يصلي.

ولقد كرم الرسول صلى الله عليه وسلم مصاهرة أبي العاص بن الربيع محتجًا به على علي رضي الله عنه، لما أراد علي أن يتزوج بنت أبي جهل، فإنه قال: «إن بني المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا فتاتهم علي بن أبي طالب، وإني لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم، والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنت عدو الله عند رجل أبدًا، إنما فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها» ثم ذكر صهرًا له من بني عبد شمس فأثنى عليه وقال: «حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي» أحمد بن حنبل المسند (٦/ ٢٧٦).

قدرًا عند الله تعالى تزوج أكثر من مرة ولم يوح الله إلى شجرة طوبى أن تنثر ما فيها من در وجوهر في أي مرة تزوج فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، فالحديث موضوع وكذب واضح على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما مسألة قرابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فليست دليلًا على أفضليته، فإن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أقرب من علي نسبًا.

وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم[١] «أذكركم الله في أهل بيتي، وأذكركم الله في أهل بيتي»[٢].

فالحقيقة إن الشيعة يعتقدون اعتقادًا جازمًا بأن هذا الحديث من خصائص علي.. وهو ليس من خصائصه على الإطلاق، بل هو مشترك فالمراد من أهل البيت بنو هاشم كلهم، آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، فلا خصوصية لعلي رضي الله عنه بهذا الحديث الذي يعتبره الشيعة من خصائصه.

الدليل الثالث:

من أدلة الشيعة حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»[٣].

---

(١) خم: واد بين مكة والمدينة قريب من الجحفة به غدير ماء، وعنده خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبته المعروفة بخطبة غدير خم.

(٢) مسلم بشرح النووي: (١٥/ ١٧٩).

(٣) ابن حنبل: المسند (٤/ ٣٦٨، ٣٧٠)، من حديث البراء (٥/ ٣٦١)، من حديث بريدة «من كنت وليه فعلي وليه»

وأخرجه الترمذي في مناقب علي، تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، نشر محمد عبد الحسن الكتبي (١/ ٢١٤)، حديث رقم ٣٧٩٧.

والحديث صحيح، لكن تلك من مناقب علي وليست من خصائصه وللحديث مناسبة وسبب فقد حكي عن ابن عيينة أن عليًا رضي الله عنه وأسامة تخاصما فقال علي لأسامة: أنت مولاي، فقال: لست لك مولى إنما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[1].

وهذا شبيه بقولنا فلان مولى بني عامر أو بني هاشم.

ويؤكد هذا المعنى حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأنصار وقريش، ومزينة، وجهينة، وغفار، وأسلم، وأشجع بعضهم موالي بعض، ليس لهم مولى دون الله ورسوله» [2].

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرنا أن هذه القبائل المختلفة ليس لها مولى دون الله ورسوله، والله تعالى يقول: ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى ﴾[محمد: ١١]، ويقول عز من قائل: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[التوبة: ٧١].

فهذه فضيلة لعلي لا يحتج بها على أحقيته في الولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحديث من كنت مولاه فعلي مولاه... وإن صح إسناده إلا أنه لا يشم منه رائحة الولاية وإنما يراد به ولاء الإسلام.

---

(١)ابن الأثير النهاية (٥/ ٢٢٨).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٥٤٢) حديث رقم ٣٥١٢.

يقول الإمام البيهقي[١] «ذكرنا من طرق في كتاب الفضائل ما دل على مقصود النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وهو أنه لما بعثه إلى اليمن كثرت الشكاة عنه وأكثروا بغضه فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه ويحثهم بذلك على مودته وموالاته ترك معاداته فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه». وفي رواية: «من كنت وليه فعلي وليه». والمراد به ولاء الإسلام ومودته وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضًا، ولا يعادي بعضهم بعضًا وهو في معنى ما ثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ نسمته أنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[٢].

وكذا قال الإمام الشافعي أن المراد به في الحديث ولاء الإسلام وذلك كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[محمد: ١١].

وذكر البيهقي أيضًا أنه لما سأل عنه الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم رجل رافضي فقال له: «لو يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أنصح للمسلمين وقل: يا أيها الناس، هذا ولي أمركم والقائم عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا. والله لئن كان الله عز وجل ورسوله اختار عليًا لهذا الأمر وجعله القائم به للمسلمين من بعده ثم ترك على أمر الله ورسوله لكان علي أول من ترك أمر الله ورسوله وأعظم الناس خطيئة وجرمًا في ذلك»[٣].

---

(١) البيهقي، الاعتقاد ص١٦٧، ١٦٨، نشر أحمد المرسي ١٣٨٠هـ.

(٢) مسلم، مسلم بشرح النووي، (٢/ ١٤)، وقال عنه الترمذي حديث حسن صحيح ترمذي مع تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٤٥).

(٣) البيهقي الاعتقاد ص١٨١.

وذكر الشيعة الحديث مطولًا واستدلوا على ذلك بأنه موجود في بعض كتب أهل السُّنَّة بهذا النص: «من كنت مولاه فعلي مولاهم اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر مَنْ نَصَرَه، واخذل من خذله وأدر الحق حيث ما دار»[١].

يقول الشيخ أبو حامد المقدسي[٢]: «إنَّ الحقَّ لا يدور مع أحد شخص معين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ما دار، لا مع أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضي الله عنهم، لأنه لو كان كذلك لكان بمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم يجب اتباعه في كل ما يقول، ومعلوم أن عليًّا رضي الله عنه كما ينازعه أصحابه وأتباعه في مسائل كثيرة ولا يرجعون فيها إلى قوله، بل فيها مسائل كثيرة وجد فيها نصوص النبي صلى الله عليه وسلم توافق من ونازعه لا قوله، منها المرأة المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملًا فإن عليًّا أفتى بأنها تعتد أبعد الأجلين، وعمر وابن مسعود وغيرها أفتوا بأنها تعتد بوضع الحمل، وبهذا جاءت سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أبو السنابل بن بعكك[٣]، أفتى بمثل قول علي رضي الله عنه، وقال النبي صلى

---

(١) الإمام أحمد: المسند (١/ ١١٨) من حديث علي، وكذا الترمذي من حديث علي، وقال عنه الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وهذا الحديث من رجال سنده المختار بن نافع وهو ضعيف جدًّا قال عنه الإمام البخاري منكر الحديث، وقال ابن حبَّان منكر الحديث جدًّا، فهو من المجروحين غير الثقات على الإطلاق، وقد أخرجه الحاكم في مستدركه، إلى قوله: وعاد من عاداه، والزيادة ليست إلا كذبًا ومحض اختلاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) المقدسي: رسالة في الردِّ على الرافضة تحقيق الشيخ عبد الوهاب خليل الرحمن، الناشر الدار السلفية بومباي ١٤٠٣هـ ص٢١٥.

(٣) أبو السنابل هو «ابن بعكك بن الحارث بن عميلة بن السابق بن عبد الله الفقي بن العبدري القرشي قيل: اسمه عمر، وقيل: عبيد ربه، وقيل: حبة، أسلم يوم الفتح وروى عن النبي

الله عليه وسلم كذب أبو السنابل قد حللت فأنكحي، يقول لسبيعة الأسليمة لما سألته عن ذلك[١]، فقولهم فلو دار الحق مع علي دائمًا، وحيثما دار معنى ذلك أنه أصبح نبيًّا معصومًا، فلا عصمة إلا لهم ولا دار الحق دائمًا إلا معهم وهم بذلك يغالون في علي غلوًّا شديدًا.

يقول الإمام ابن تيمية: «إن هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالموضوعات، وهذا يعرفه أهل العلم بالحديث، والمرجع إليهم في ذلك»[٢].

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما ينطق عن الهوى»، ولهذا فإن دعاءه مجاب وقوله صلى الله عليه وسلم فيما زعموا: «انصر من نصهر واخذل من خذله» «فإن الواقع ليس كذلك فقد قاتل معه أقوام يوم صفين[٣] فما انتصروا، وأقوام لم

صلى الله عليه وسلم قصة سبيعة الأسلمية» الإصابة (٤/ ٩٥).

(١) عدة الحامل: تجب بسبب الموت أو الطلاق، وتنتهي بوضع الحلم اتفاقًا، لقوله تعالى: {وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن} أي: انقضاء أجلهن أن يضعن حملهن، ولأن براءة الرحم لا تحصل في الحامل كما هو واضح، إلا بوضع الحمل فإذا كانت المرأة حاملًا، ثم طلقت أو مات عنها زوجها انتهت عدتها بوضع الحمل، ولو بعد الوفاة بزمن قليل بدليل أن «سبيعة بنت الحارث توفي عنها زوجها وهي حبلى، فوضعت بعد نحو عشر ليال من وفاة زوجها، ثم جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أنكحي، وفي رواية: «فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزويج إن بدا لي» رواه الجماعة إلا أبا داود وابن ماجه عن أم مسلمة (الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي (٧/ ٦٣٤)، دار الفكر بدمشق ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م».

(٢) ابن تيمية، منهاج السُّنَّة النبوية (٧/ ٥٣).

(٣) صفين: مكان بالقرب من شاطئ الفرات الأيمن، دارت فيه معركة كبرى بين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه، وانتصر فيها معاوية، وكانا قد اتفقا على تحكيم القرآن الكريم.

يقاتلوا معه فما خذلوا كسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وبنو أمية الذين قاتلوه فتحوا كثيرًا من بلاد الكفار ونصرهم الله تعالى.

وقوله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه مخالفًا لأصول الإسلام فإن القرآن الكريم قد بيَّن أن المؤمنين مع اقتتالهم وبغي بعضهم على البعض هم إخوة مؤمنون»[1].

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]

الدليل الرابع:

احتجَّ الشيعة على دلالة أحقية علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث: «علي مِنِّيْ وأنا منه»[2] والحديث صحيح.

ورد في البخاري[3] والترمذي[4] وغيرهما، ولكن ليس في هذا الحديث أي خصوصية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد ذكر مثله العباس وقال: «العباس مني وأنا منه».

وذكر الحديث أحمد في مسنده[5] والترمذي[1].

---

(١) أبو حامد المقدسي: رسالة في الردِّ على الرافضة ص٢١٨.

(٢) البخاري فتح الباري لابن حجر (٥/ ٣٠٣)، حديث رقم (٢٦٩٩).

(٣)البخاري فتح الباري لابن حجر (٥/ ٣٠٣)، حديث رقم (٢٦٩٩).

(٤)تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، باب: «فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه» (١٠/ ٢٢١) حديث رقم (١٧٧).

(٥)أحمد المسند (٢/ ٩٢٥).

فعن ابن عباس أن رجلًا وقع في أب للعباس كان في الجاهلية، فلطمه العباس، فجاء قومه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فصعد المنبر وقال: «أي أهل الأرض تعلمون أكرم على الله؟» قالوا: أنت قال: «فإن العباس وأنا منه». قال عنه الشيخ أحمد شاكر[٢] رحمه الله رحمة واسعة إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى بن عامر الثعلبي أحد رجال سند هذا الحديث إلا أن الحاكم في مستدركه[٣] قال: حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وإنني أميل إلى هذا الرأي خصوصًا وإن بعض العلماء كابن حجر في التقريب لم يجرح عبد الأعلى بن عامر الثعلبي بل قال: فيه صدوق[٤].

وعلى فرض ضعف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه «العباس مني وأنا منه».

ففي الحديث الصحيح أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان في مغزى له، فلما فرغ من القتل فقال: «وهل تفقدون من أحد، لكنني أفقد جليبيبًا فوجدوه عند سبعة قد قتلهم وقتلوه» فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه قالها مرتين أو ثلاثًا، ثم مال بذراعيه هكذا فبسطها فوضع على ذراعي النبي صلى الله عليه وسلم حتى حفر له فما كان له سرير إلا ذراعي النبي صلى الله عليه وسلم حتى دُفن[٥].

---

(١) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٦٤)، حديث رقم ٣٨٤٨ في مناقب العباس.

(٢) محقق من الجزاء (١/ ١٦) من المسند.

(٣) الحاكم: المستدرك (٣/ ٣٢٩).

(٤) ابن حجر تقريب طبعة النمكاني (١/ ٤٦٤).

(٥) لفظ مسلم في صحيحه عن أبي برزة الأسلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في مغزى له،

وحين مدح الأشعريين قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم مني وأنا منهم»[١].

فالحديث ليس من خصائص علي بل شاركه في هذه المنقبة «الأشعريين» و «جليبيب».

ثم إن لهذا الحديث مناسبة فمن حديث طويل عن البراء بن عازب رضي الله عنه[٢]، وفي آخره: «... فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعهم ابنة حمزة: يا عم، يا عم، فتناولها علي فأخذها بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام: دونك، ابنة عمك احمليها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا حق بها، وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم»، وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك»، وقال لجعفر: «أشبهت خَلْقي وخُلقي»، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا».

فأفاء الله عليهن فقال لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: نعم، فلانًا، وفلانًا، وفلانًا، وفلانًا، ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا، قال: «ولكني أفقد جليبيبًا فاطلبوه»، فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فوقف عليه فقال: «قتل سبعة، ثم قتلوه هذا مني وأنا منه» قال: فوضعه على ذراعه، ليس له إلا ساعد النبي صلى الله عليه وسلم،قال: فحر له ووضع في قبره، ولم يذكر غسلًا مسلم باب «فضائل جليبيب» صفحة ١٩١٨ حديث رقم ١٣١.

(١) البخاري : باب «الشركة في الطعام والنهد» (٣/ ١٣٨)، ونص الحديث الذي وري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو (أي فني طعامهم)، أو نفدت نفقة عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان معهم في ثوب واحد، ثم قسموه بينهم بالسوية، هم مني وأنا منهم».

(٢) البخاري (٣/ ١٨٤ - ١٨٥).

من هذا كله يعلم أن الحديث لا يدل على أفضلية علي أو خصوصية فقد شاركه في هذه المنقبة أكثر من واحد».

الدليل الخامس

ذكرهم حديث المؤاخاة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والحقيقة إن هذا الحديث من أكذب الموضوعات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن المعلوم للناس جميعًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري، ولا بين أنصاري و أنصاري، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار أول الهجرة إلى المدينة المنورة، وآخى بين علي بن أبي طالب وبين سهل بن حنيف، وكانوا يتوارثون في مبدأ الأمر بهذه المؤاخاة إلى أن نزل قول الله تعالى: ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾[الأنفال: ٧٥].

وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي «أنت أخي في الدنيا والآخرة» ذكره الترمذي[1].

وقد ذكر ابن مطهر الحلي الشيعي صاحب منهاج الكرامة أن الجمهور رووا عن

---

(١) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٢٢)، حديث ٣٨٠٤، قال عنه الترمذي حديث حسن غريب، وقال عنه صاحب تحفة الأحوذي شرح أحاديث الترمذي في سنده حكيم بن جبير وهو ضعيف رمي بالتشيع، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده في مناقب الصحابة عن عمر بن عبد الله عن أبيه عند جده في فضائل الصحابة: (٢/ ٦٦٦)، ح ١١٣٧، قال الشيخ شاكر: محقق المسند، إسناده ضعيف ففيه عبد المؤمن بن عباد العبدي، ضعفه أبو حاتم، وقال البخاري لا يتابع على حديث ذكره الساجي وابن الجارود في الضعفاء، وذكره ابن حبّان في الثقات.

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني، وهذا الحديث لا أساس له من الصحة[١].

يقول الإمام ابن تيمية: «إن هذا الحديث ليس في شيء من الكتب التي تقوم الحجة بمجرد إسناده إليها ولا صححه إمام من أئمة الحديث.

وقوله رواه الجمهور: إن أراد بذلك أن علماء الحديث رووه في الكتب التي يحتج بما فيها مثل كتاب البخاري ومسلم ونحوهما وقالوا: إنه صحيح، فهذا كذب عليهم، وإن أراد بذلك أن هذا يرويه مثل أبي نعيم في «الفضائل والمغازلي وخطيب خوارزم ونحوهم أن يروى في كتب الفضائل، فمجرد هذا ليس بحجة باتفاق أهل العلم في مسألة الفروع، فكيف في مسألة الإمامة، التي أقمتم عليها القيامة؟! وإن دين النبي صلى الله عليه وسلم لم يقضه علي بل في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقًا من شعير ابتاعها لأهله، فهذا الدين الذي كان عليه يقضى من الرهن الذي رهنه ولم يعرف عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم دين آخر»[٢].

---

(١) قال أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات، لما روى هذا الحديث من طريق أبي حاتم البستي حدثنا محمد بن سهل بن أيوب، حدثنا عمار بن رجاء، حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا مطر بن ميمون الإسكاف، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أخي وزيري وخليفتي من أهلي، وخير من أترك بعدي، يقضي ديني، وينجز موعدي، علي بن أبي طالب» قال: هذا حديث موضوع، قال ابن حبَّان: مطر بن ميمون يروي الموضوعات عن الأثبات لا تحل الرواية عنه، ابن تيمية: المنهاج (٨/ ٣٥٥).

(٢) ابن تيمية: المنهاج (٨/ ٣٥٤، ٣٥٧).

إذا تمسك الشيعة بالأحاديث الموضوعة، واعتبروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن أبي بكر الصديق في الحديث الصحيح «أخي وصاحبي» ونص الحديث «لو اتخذت خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلًا»[١].

فلفظ الأخوة على فرض صحة زعمهم لا يعتبر خاصًا بعلي رضي الله عنه بل شاركه في ذلك «أبو بكر» الصديق رضي الله عنه.

الدليل السادس

حديث الكساء رواه مسلم في صحيحه[٢]، من حديث عائشة ورواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة[٣].

والحديث يبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدار الكساء على علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين: ودعا لهم بأن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرًا، ففي رواية مسلم قالت عائشة: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود «أي كساء عليه صور رحال الإبل»

---

(١) مسلم: من فضائل أبي بكر رضي الله عنه (٤/ ١٨٥٥) حديث: ٣، ٤.

(٢) مسلم: كتاب فضائل الصحابة باب: «فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم» (٤/ ١٨٨٣).

(٣) أحمد المسند (طبعة دار المعارف) (٥/ ٢٥-٢٧)

الترمذي: سنن الترمذي (٥/ ٣٠)، كتاب التفسير سورة الأحزاب (٥/ ٣٢٨)، كتاب المناقب.

فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[الأحزاب: ٣٣].

وليس في هذا الحديث أي خصوصية لعلي، وكما دعا لأهل الكساء دعا أيضًا لغيرهم، بل إن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه بأن يأخذ الزكاة ففيها تطهير وتزكية للمزكي ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[التوبة: ١٠٣].

وأكثر الصحابة تزكية وأخلصهم طهرًا وتقى هو الصديق رضي الله عنه بنص القرآن الكريم الذي أخبرنا عنه تعالى في محكم آياته حينا أعتق سبعة كلهم يعذب في الله فنزل فيه قول الله تعالى: ﴿ وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ﴾[الليل: ١٧-٢١].

فكما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم دعا لغيرهم بل أمره الله تعالى بأن يصلي عليهم ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[التوبة: ١٠٣]، ومعنى صل عليهم «أي ادع لهم» ومن ذلك كله يتبين لنا أنه على فرض صحة حديث الكساء فإنه لا يوجب لعلي بن أبي طلاب رضي الله عنه أفضليته أو أحقيته في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد عكف العلَّامة الشيخ إبراهيم سليمان الجبهان على دراسة هذا الحديث

وخرج بنتيجة هامة وهي عدم صحته للأسباب الآتية[١]:

أولًا: لأن روايته عندنا لم يتصل إلى حدِّ التواتر، وليس كلما صح سنده صح متنه، وإنما يعول على السند عند عدم وجود تعارض بين المتن وبين الأدلة القطعية، والقرآن مقدم على الحديث عند التعارض وعدم إمكان الجمع بينهما.

ثانيًا: لأن الروايات لم تتفق على تعيين الموضع الذي نزلت فيه الآية، إذ إن رواية مسلم، تقول: إنها نزلت في بيت عائشة، وفي السنن أنها نزلت في بيت أم سلمة، ووجود الاضطراب في الروايتين يمنع من الأخذ بهما، ونحن لا نتأول كتاب الله لحديث هذه صفته بل علينا التمسك بظاهر القرآن.

ثالثًا: لأن القرآن الكريم، لا يمكن أن يتعارض مع ما ثبت صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو تقرير أو عمل، فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما يفسر بأعماله وأقواله وتقريراته ما ورد في القرآن الكريم.

فإذا كان قد ثبت أنه قد نسخ ببعض الأحاديث بعض الأحكام الشرعية الواردة في القرآن كحديث: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) فإن النسخ إنما يختص بالأحكام الشرعية ولا يتناول الخصائص والمنح الإلهية.

رابعًا: إن القرآن قد نزل بلغة العرب، وأهل بيت الرجل في لغة العرب هم زوجاته، وأصوله وفروعه.

أما في الشريعة الإسلامية فإن أهل بيت الرجل هم الذين تجب عليه نفقتهم،

---

(١) إبراهيم سليمان الجبهان: تبديد الظلام وتنبيه النيام ص١٤٧-١٤٨، ط٢، نشر وتوزيع مكتبة الحرمين بالرياض، ١٤٠٠هـ- ١٩٧٩م.

ومعلوم أن علي بن أبي طالب وولديه (رضي الله عنهم) لم يكونوا عند نزول هذه الآية الكريمة ممن ينطق عليهم الحكم الشرعي في النفقة، بل كان لعلي بيت خاص به وأهل بيت يتعلقون به وينسبون إليه وحده وعلى فرض صحة هذا الحديث، فإن معنى الآية الكريمة ليس كما يظنون فإن الإرادة المقصودة في هذه الآية الكريمة هي من جنس قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾.

فإرادته جل شأنه في جميع هذه الآيات إنما تشير إلى النتائج التي تترتب على امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وبعبارة أوضح: إنما يريد الله بإرشادكم أن يذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرًا أي يُذهب عنكم بواعث الريبة وأسباب الشبهات.

وقد بيَّن الشيخ إبراهيم الجبهان أن حديث الكساء الذي تمسك به كل الشيعة وحاولوا من خلاله إثبات العصمة لعلي وأبنائه غير صحيح يقول في نص طويل دقيق[1].

أورد ابن جرير الطبري، جميع الأحاديث والآثار التي قيل: إنها وردت بتحديث من تعنيهم آية التطهير الواردة في سورة الأحزاب، وهذه الأحاديث كلها مردودة رواية ودراية بالأدلة الآتية:

أولًا: الحديث ورد بنحو أربع عشرة صيغة ورواية وكلها ساقطة من جهة الإسناد كما يأتي بيانه:

---

(١) المرجع السابق ص٥٠٧- ٥١٤.

الحديث الأول: في رواته (مندل، عن الأعمش، عن عطية بن سعد بن جُنادة العوفي).

ومندل، لينه أبو زرُعة، وضعَّفه أحمد، وقال العجلي: ضعيف الحديث متشيع، والأعمش مدلس، وقد عنعن:

وعطية العوفي قال عنه أحمد إنه ضعيف الحديث، وكان الثوري وهشيم يضعفان حديثه، وقال الثوري: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي، فيأخذ عنه التفسير[1]، وكان يكنيه أبا سعيد فيوهم السامع والناقل بأنه يروي عن أبي سعيد الخدري، وقال ابن حبَّان عنه مثل ذلك، وقال: لا يحل كتابة أحاديثهن وقال البخاري في حديث رواه عطية المذكور، أحاديث الكوفيين هذه مناكير، قال كان هشيم يتكلم فيه، وقد ضعَّفه النسائي وقال أبو حاتم لا يحتج به.

الحديث الثاني: عن طريق عائشة (رضي الله عنها) ومن رواته (مصعب بن شيبة المكي ضعفه، أبو داود وقال أحمد: أحاديثه مناكير).

الحديث الثالث: عن طريق أنس بن مالك (رضي الله عنه)، وفي رواته (علي بن زيد بن جدعان) وهو شيعي غال، وقد ضعَّفه كثير من أئمة الحديث لاختلاطه وسوء حفظه.

الحديث الرابع: عن طريق أم سلمة (رضي الله عنها) وفي رواته (شهر بن حوشب) وهو كما قال ابن حجر في التقريب كثير الإرسال والأوهام.

---

(١) جميع ما في كتب التفسير من الإسرائيليات والخرافات لم يتسرب إليها إلا عن طريق الكلبي والواقدي اللذين كانا من تلامذة وهب بن منبه وكعب الأحبار.

الحديث الخامس: عن طريق أم سلمة في رواته (شهر، وفضيل بن مرزوق الكوفي وعطية العوفي وفضل مشهور بالتشيع، وقد ضعَّفه غير واحد، وقال: ابن حبَّان كان يروئ عن عطية العوفي الموضوعات.

الحديث السادس: عن طريق أم سلمة (رضي الله عنها)، وفي رواته (معصب بن المقدام عن سعيد بن زربي البصري ومصعب ضعَّفه ابن المديني، وسعيد بن زربي، قال البخاري عنده عجائب). وقد ضعفه الدار قطني.

الحديث السابع: عن طريق أم سلمة (رضي الله عنها)، وفيه (فضيل بن مروزق عن عطية) وقد تقدَّم الكلام عليهما.

الحديث الثامن: عن طريق أم سلمة (رضي الله عنها)، وفي رواته (موسئ بن يعقوب الرفعي)، ضعفه النسائي وقال ابن المديني، ضعيف منكر الحديث، وقال أحمد لا يعجبني.

الحديث التاسع: عن طريق أم سلمة (رضي الله عنها)، وفي رواته (محمد بن سليمان الأصبهاني) وهو مضطرب الحديث، قال أبو حاتم لا يحتج به، وقد ضعَّفه النسائي.

الحديث العاشر: عن طريق أم سلمة (رضي الله عنها) وفي رواته (عبد الله بن عبد القدوس التميمي) قال ابن معين هو رافضي خبيث، وقال ابن معين ليس بشيء، وقال البخاري: إنه يروي عن قوم ضعاف، وقال محمد بن مهران الحمَّال لم يكن بشيء، كان يسخر منه يشبه المجنون يصيح الصبيان في أثره.

وقال أبو داود ضعيف الحديث يرمئ بالرفض وقال الحاكم في أحاديثه مناكير،

وقد ضعفه النسائي والدار قطني.

الحديث الحادي عشر: عن طريق أم سلمة (رضي الله عنها)، وفي رواته (أبو داود الأعمى) واسمه نفيع بن الحارث وهو متروك الحديث، وقد كذَّبه ابن معين.

الحديث الثاني عشر: عن طريق أم سلمة (رضي الله عنها)، وفي رواته (عبد الرحمن بن صالح) وهو من شيعة الكوفة، كان يتكلم بمثالب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال أبو داود: كان رجل سوء.

الحديث الثالث عشر: عن طريق أم سلمة (رضي الله عنها)، وفي رواته (خالد بن مخلد) قال فيه عبد الله بن أحمد: له أحاديث مناكير، وقال ابن سعد: كان متشيعًا منكر الحديث، مفرطًا في التشيع، وقال صالح بن محمد كان متهمًا بالغلو... وقال الجوزجاني: كان شتَّامًا معلنًا لسوء مذهبه، وقال الأعين: قلت له: عندك أحاديث في مناقب الصحابة، قال: قل في المثالب، أو المثاقب، وذكره الساجي والعقيلي في عداد الضعفاء والوضَّاعين.

الحديث الرابع عشر: عن طريق واثلة بن الأسقع وفيه (الوليد بن مسلم) عن الأوزاعي، والوليد يدلي تدليس التسوية، وأحاديثه عن الأوزاعي كلها منكرة.

من هذا يتضح أن أسانيد هذه الأحاديث كلها متهافتة وساقطة، ولا تصلح لإثبات حق، ولا لنفي باطل.

ثانيًا: هذا الأحاديث كلها لفظًا مضطربة معنى ودلالة:

ففي أحدها، ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وفي فاطمة وولديها».

وفي بعضها أن النبي صلى الله عليه وسلم أدخل الحسن وحده في مرط مرجل، وقرأ آية التطهير.

وفي بعضها، أن عليًا وولديه وفاطمة (رضي الله عنها) ناموا عند النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة فغطاهم النبي صلى الله عليه وسلم بعباءة وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا».

وفي بعضها: أن النبي صلى الله عليه وسلم أجلسهم على كساء ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله فضمه فوق رءوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه قائلًا: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا».

وفي بعضها، أن واثلة بن الأسقع، قال إني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ داءه علي وفاطمة، وحسن وحسين، فألقى عليهم كساء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا».

فقلت: يا رسول الله، وأنا، فقال: «وأنت»، قال: فوالله لأوثق عمل عندي.

وفي بعضها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم هؤلاء أهلي، اللهم أهلي أحق» فقال: واثلة: فقلت من ناحية البيت، وأنا يا رسول الله من أهلك، قال: «وأنت من أهلي»، قال واثلة: إنها لمن أرجى ما أرتجي.

وفي بعضها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية دعا عليًا وولديه وفاطمة فجلل عليهم كساء خيريًا، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»، فلما قالت أم سلمة ألست منهم، قال: «أنت إلى خير».

وفي بعضها أن هذه الآية نزلت في بيت أم سلمة، وهي جالسة على باب البيت، فقالت: يا رسول الله، ألست من أهل البيت،؟ قال: «إنك إلى خير أنت من أزواج النبي» وكان علي وفاطمة وولديهما في البيت، وفي هذا الحديث لم يرد ذكر لكساء ولا لمرط ولا عباءة.

وفي بعضها أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع عليًّا والحسن والحسين ثم أدخلهما تحت ثوبه ثم جأر إلى الله قائلًا: «هؤلاء أهل بيتي» فقالت أم سلمة: أدخلني معهم، قال: «إنك من أهلي»، وفي هذا الحديث لم يرد ذكر لفاطمة رضي الله عنها.

وفي بعضها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية دعا حسنًا وحسينًا وفاطمة وأجلسه بين يديه، وأجلس عليًّا خلفه، ثم تخلل هو وهم بالكساء، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»، فقالت أم سلمة: (أنا معهم)، قال: مكانك وأنت إلى خير.

وفي بعضها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأم سلمة لا تأذني لأحد فجاءت فاطمة فلم تستطع أن تحجبها، ثم جاء الحسن فلم تستطع أن تمنعه، ثم جاء الحسين فلم تستطع أن تمنعه فاجتمعوا حول النبي صلى الله عليه وسلم على بساط، فجللهم النبي صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا» فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط فقالت أم سلمة وأنا ثم أقسمت أنه النبي صلى الله عليه وسلم ما أنعم وإنما قال إنك إلى خير وهنا لم يرد ذكر لعلي.

من هذا يضح أن المتتبع لصيغ هذه الأحاديث سندهش ويتعجب لما يرى فيها تعارض وتناقض واختلاف.

فعدد من تشملهم آية التطهير يزيد وينقص حسب أمزجه الرواة، فهو في أحد هذه الروايات واحدًا وهو في الثانية خمسة وهو في الثالثة ينسى فاطمة (رضي الله عنها) وهو في الرابعة يدخل أم سلمة، وهو في الخامسة يجعلها على الهامش وهو في السادسة يدخل واثلة بن الأسقع وهو في السابعة ينسى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

أما الغطاء الذي جللوا به فهو مرة كساء ومرة مرط، ومرة عباءة، ومرة ثوب.

وأما نزول هذه الآية فهو مرة في بيت أم سلمة، ومرة في بيت عائشة، ومرة قبل اجتماعهم، ومرة بعد اجتماعهم، ومرة نزلت بمفردها، ومرة نزلت من ضمن خمس آيات.

أما طريقة اجتماعهم، فمرة يدعوهم، ومرة يأتون إلى البيت دون دعوة ومرة يجللهم بالكساء وهم نائمون، ومرة يجللهم بالكساء وهم جالسون إلى غير ذلك من التناقض والتعارض الذي يهدم بعضه بعضًا، ولا يصمد أمام البحث الجريء والنقد البريء.

ومن القواعد العلمية المقررة أن كل ما تعارض تساقط.

ثالثًا: جاء في تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٣)، قول عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنه) (من شاء باهلته أن آية التطهير نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة).

رابعًا: لقد قال الله تبارك وتعالى قبل نزول آية التطهير مخاطبًا نبيه: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن

سراحًا جميلًا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴾[الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

وامتثالًا لأمر الله تعالى خيَّر النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته، فاخترن جميعًا الله ورسوله والدار الآخرة، فكانت مكافأتهن على هذا الاختيار مخاطبة الله لهنَّ في قوله تعالى: ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفًا خبيرا ﴾ [الأحزاب: ٣٠-٣٤].

ولما كان ورود آية التطهير في وسط آيات تخاطب نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولا تحتمل أي تأويل -فإن عملاء عبد الله بن سبأ اليهودي لم تعوزهم الحيلة، ولم تستعص عليهم الحلول، وفقد وجودا الحل الذي لم يكلفهم إلا تلفيق الأحاديث التي يمكن بواسطتها تحريف الكَلِم عن مواضعه، وصرف الآيات عن مقصودها وهذا ما حدث.

بل إن منهم من بلغت به الوقاحة إلى حد أن قال: إن آية التطهير لا علاقة لها بما قبلها، ولا بما بعدها من الآيات، وإنها إنما وضعت بينها وأقحمت إقحامًا في غير موضعها، إما بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم أو عند التأليف بعد الرحلة[1].

(١) الطباطبائي الميزان (١٦/ ٣٣٠)، الطبرسي مجمع البيان (٢٢/ ١٣٩).

خامسًا: إذا كانت آية التطهير خاصة بعلي، وفاطمة وولديها رضي الله عنهم (حسب مزاعم الشيعة) وكان التطهير قد تمَّ قبل نزول هذه الآية فأي معنىٰ للدعاء لهم بالتطهير أليس هذا الدعاء المزعوم هو من قبيل تحصيل الحاصل، بل أليس هذا الدعاء دليل علىٰ أن من يؤمن بصحة مثل هذه الأحاديث إنما يعطي الدليل القاطع علىٰ قصور فهمه وانتكاس في تفكيره وأن عليه أن يحترم الناس قبل أن يطالب الناس باحترامه.

وبهذا كله سقط هذا الدليل سقوطًا تامًّا وانهدم تأويلهم الفاسد لآية التطهير.

الدليل السابع

حديث الطير، فيذكر علماء الشيعة ومرجعهم الكبير ابن مطهر الحلي أن الجمهور كافة رووا خبر الطائر وذلك «أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أتىٰ بطائر، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإليَّ يأكل معي من هذا الطائر، فجاء علي، فدق الباب، فقال أنس بن مالك: إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ حاجة، فرجع، ثم قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم كما قال أولًا، فدق الباب، فقال أنس: ألم أقل لك إنه علىٰ حاجة؟ فانصرف، فعاد النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فعاد علي فدق الباب أشد من الأولين، فسمعه النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأذن له بالدخول، وقال: ما أبطأك عني؟ قال: جئت فردَّني أنس، ثم جئت فردَّني أنس، ثم جئت فردني الثالثة، فقال: يا أنس، ما حملك علىٰ هذا؟ فقال: رجوت أن يكون الدعاء لرجل من الأنصار، فقال: يا أنس، أو في الأنصار خير من علي؟ أو في الأنصار أفضل من علي؟»[1].

(١) ذكر الإمام الشوكاني هذا الحديث مختصرًا في كتاب الفوائد المجموعة في الأحاديث

الموضوعة ص ٣٨٢، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ونصه «اللهم ائتني بأحب الناس إليك يأكل معي هذا الطير، قال في المختصر له طرق كثيرة، كلها ضعيفة، وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وأما الحاكم، فأخرجه في المستدرك، وصححه واعترض عليه كثير من أهل العلم.

وفي سنن الترمذي (٥/ ٣٠٠)، حديث رقم ٣٨٠٥، نص الحديث: «كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي فأكل معه»، وقال الترمذي عن هذا الحديث: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث السدي إلا من هذا الوجه، وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أنس»

وقد علق الحاكم في مستدركه (٣/ ١٣٠، ١٣١) على حديث الطير الذي رواه عن أنس بقوله: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين.

نفسًا، ثم صحت الراوية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفينة، وفي حديث ثابت البناني عن أنس زيادة ألفاظ، كما حدثنا به الثقة المأمون أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن خالد السكوني.

وحين يشير الإمام الشوكاني إلى أهمية الرجوع إلى سير أعلام النبلاء لقراءة ترجمة الحاكم من خلالها نجد فيها قول الذهبي: «... ولقد كنت زمانًا طويلًا أظن أن حديث الطير لم يجسر الحاكم أن يودعه في «مستدركته فلما علقت هذا الكتاب رأيت الهول من الموضوعات التي فيه، فإذا حديث الطير بالنسبة إليها سماء».

ويقول الإمام ابن تيمية عن الحاكم في كتابه منهاج السنة النبوية: (٧/ ٣٧٣)، «إن الحاكم منسوب إلى التشيع، وقد طلب منه أن يروي حديثًا في فضل معاوية فقال: ما يجيء من قلبي ما يجيء من قلبي، وقد ضربوه على ذلك فلم يفعل، وهو يروي في «الأربعين» أحاديث ضعيفة بل موضوعة عند أئمة الحديث، كالنسائي وابن عبد البر وأمثالهما، لا يبلغ إلى تفضيله علي على أبي بكر وعمر، فلا يعرف من علماء الحديث من يفضله عليهما، بل غاية المتشيع منهم أن يفضله على عثمان، أو يحصل منه كلام أو إعراض عن ذكر محاسن من قاتله ونحو ذلك لأن علماء الحديث قد عصمهم وقيدهم ما يعرفون من الأحاديث الصحيحة الدالة على

يقول: ابن مطهر الحلي «فإذا كان علي أحب الخلق إلى الله، وجب أن يكون هو الإمام».

وهذا الحديث لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يصح عند أحد من شيوخ الحديث وأئمته، وهو ظاهر الوضع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أكل الطير ليس أمرًا عظيمًا يتناسب مع مجيء أحب الخلق إلى الله، وحتى على فرض احتمال صحته -وهذا غير صحيح- فإن المراد اثنتي بعبد هو من أحب الخلق إليك فيشاركه فيه غيره، مثل ما نقول فلان أذكى الناس وأكرمهم أي أنه من أذكى الناس ومن أكرمهم.

(يقول الإمام ابن تيمية: «إطعام الطعام مشروع للبر والفاجر وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الأكل، ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا، فأي أمر عظيم هنا يناسب جعل أحب الخلق إلى الله يفعله؟! وإن هذا الحديث يناقضه مذهب الرافضة، فإنهم يقولون: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أن عليًا أحب الخلق إلى الله، وأنه جعله خليفة من بعده، وهذا الحديث يدل على أنه ما كان يعرف أحب الخلق إلى الله.

أفضلية الشيخين، ومن ترفض ممن له نوع اشتغال بالحديث كابن عقدة وأمثاله، فهذا غايته أن يجمع ما يُروى في فضائله من المكذوبات والموضوعات، لا يقدر على أن يدفع ما تواتر من فضائل الشيخين، فإنها باتفاق أهل العلم بالحديث أكثر مما صح في فضائل علي وأصح وأصرح في الدلالة، وأحمد بن حنبل لم يقل: إنه صح لعلي من الفضائل ما لم يصح لغيره، بل أحمد أجل من أن يقول مثل هذا الكذب، بل نقل عنه أنه قال: «روى له ما لم يرو لغيره» مع أن في نقل هذا عن أحمد كلامًا ليس هذا موضعه».

والسيوطي في كتابه «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١/ ٣٢٨)، وما بعدها بين أنه موضوع، وناصر الدين الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢/ ١٣)، ذكر أنه موضوع.

ورد آخر: أن يقال: إما أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف أن عليًا أحب الخلق إلى الله، أو ما كان يعرف، فإن كان يعرف ذلك كان يمكنه أن يرسل بطلبه، كما كان يطلب الواحد من الصحابة، أو يقول: اللهم ائتني بعلي فإنه أحب الخلق إليك، فأي حاجة إلى الدعاء، والإبهام في ذلك؟! ولو سمَّى عليًا لاستراح أنس من الرجاء والباطل، ولم يغلق الباب في وجه علي».

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف ذلك، بطل ما يدعونه من كونه كان يعرف ذلك، ثم إن في لفظه: «أحب الخلق إليك وإليَّ»، فكيف لا يعرف أحب الخلق إليه»[1].

إن خبر الطير لا يصح عند من له أدنى علم بعلوم الحديث ومصطلحه وتهافت مدلوله واضح لكل ذي بصر وبصيره.

هذا -وذلك الخبر أيضًا معارض بالأحاديث الثابتة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش: «ذات السلاسل» فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك، قال: «عائشة»، فقلت من الرجال، قال: «أبوها»، قلت: ثم مَنْ؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب»[2].

وقد قال الإمام النووي: «هذا تصريح بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم، وفيه دلالة مبينة في تفضيل أبي بكر ثم عمر للخلافة مع إجماع

(١) ابن تيمية منهاج السنة النبوية (٧/ ٣٧٥).

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح أحاديث البخاري (٧/ ١٨).

الصحابة»[١].

الدليل الثامن:

حديث علي باب العلم ونص الحديث: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»[٢].

---

(١) النووي: مسلم بشرح النووي: (١٥/ ١٥٣).

(٢) يقول الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص٣٤٨، ٣٤٩، «رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعًا»، رواه البطراني، وابن عدي، والعقيلي، وابن حبَّان عن ابن عباس أيضًا مرفوعًا.

وفي إسناد الخطيب: جعفر بن محمد البغدادي، وهو متهم.

وفي إسناد الطبراني: أبو الصلت الهروي، عبد السلام بن صالح، قيل: هو الذي وضعه.

وفي إسناد ابن عدي: أحمد بن سلمة الجرجانين يحدث عن الثقات بالأباطيل.

وفي إسناد العقيلي: عمر بن إسماعيل بن مجالد، كذاب.

وفي إسناد ابن حبان: إسماعيل بن محمد بن يوسف، ولا يحتج به.

وقد رواه ابن مردويه عن علي مرفوعًا وفي إسناده: من لا يجوز الاحتجاج به.

ورواه أيضًا ابن عدي عن جابر مرفوعًا بلفظ هذا -يعني: عليًّا- أمير البررة، وقاتل العجزة، منصور من نصره، ومخذول من خذله، أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب.

قيل: لا يصح، ولا أصل له، وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزي في الموضوعات من طرق عدة، وجزم ببطلان الكل، وتابعه الذهبي وغيره.

وأجيب عن ذلك [القول الشوكاني] بأن محمد بن جعفر البغدادي الفيدي، قد وثقه يحيى بن معين، وأن أبا الصلت الهروي قد وثقه ابن معين والحاكم، وقد سئل يحيى عن هذا الحديث.

فقال: صحيح، وأخرجه الترمذي عن علي رضي الله عنه مرفوعًا.

وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس مرفوعًا، وقال: صحيح الإسناد.

وهذا الحديث ظاهر الاختلاف والوضع فمتنه يؤكد هذه الحقيقة ذلك أنه ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة العلم فيجب أن يكون لهذه المدينة أبواب متعددة يبلغون هذا العلم؛ لأن العلم اليقيني الصحيح يؤخذ بالتواتر لا بخبر الواحد أو الباب الواحد.

وقد اعتبر ابن الجوزي[1] هذا الحديث من الموضوعات وأكد بطلانه.

وإذا كان بعض العلماء مثل الحاكم في مستدركه[2] قد صحح الحديث وقال بصحته فإن الذهبي تعقب الحديث وبيَّن أنه موضوع وغير صحيح.

وعلى هذا فإن معظم علماء الحديث الثقات بيَّنوا الوضع في هذا الحديث[3].

قال الحافظ ابن حجر: والصواب خلاف قولهما معًا، يعني: ابن الجوزي، والحاكم، وأن الحديث من قسم الحسن، لا يرتقي إلى الصحة، ولا ينحط إلى الكذب.

ويقول الشيخ إبراهيم الجبهان في كتابه تبديد الظلام ص٩٥ : «إن النفور واضح بين كلمة المدينة، وكلمة «العلم»، ولو قال: «أنا بحر العلوم، وعلي شاطئه» لكان أنسب لأن العرب الذين كان يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتهم لربسبق أن روى عن متقدميهم أو متأخريهم استعمال كلمة «المدينة» كناية عن العلم».

(١) ابن الجوزي: الموضوعات: (١/ ٣٥٣).

(٢) الحاكم: المستدرك (٣/ ١٢٦).

(٣) يقول الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني محقق الفوائد المجموعة للشوكاني يقول في هامش ص٣٤٩- ٣٥٣، «كنت من قبل أميل إلى اعتقاد قوة هذا الخبر حتى تدبرته، وله لفظان: الأول: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، والثاني: «أنا دار الحكمة وعلي بابها»، ولا داعي للنظر في الطرق التي لا نزاع سقوطها، وانظر فيما عدا ذلك على ثلاثة مقامات:

المقام الأول: سند الخبر الأول على أبي معاوية، والثاني: إلى شريك، روى الأول عن أبي معاوية، أبو الصلت عبد السلام بن صالح وحال أبي الصلت أنه كان من المجروحين

المتهمين، وتبعه محمد بن جفعر الفيدي فعدَّه ابن معين متابعًا وعده غيره سارقًا، ولم يتبين من حال الفيدي ما يشفي ومن زعم أن الشيخين أخرجا له أو أحدهما فقد وهم: وروى جعفر بن درستويه عن أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن ابن معين في هذا الخبر قال: «أخبرني ابن نمير، قال: حدث به أبو معاوية قديمًا ثم تركه» وهذه شهادة قوية، لكن قد يقال: يحتمل أن يكون ابن نمير ظن ظنًّا، وذلك أنه رأى ذينك الرجلين زعمًا أنهما سمعاه من أبي معاوية وهما ممن سمع منه قديمًا، وأكثر أصحاب أبي معاوية لا يعرفونه فوقع في ظنه ما وقع، هذا مع أن ابن محرز له ترجمة في تاريخ بغداد لم يذكر فيها من حالة إلا أنه روى عن ابن عين، وعنه جعفر بن دستوريه، نعم: ثم ما يشهد لحكايته وهو ما في ترجمة عمر بن إسماعيل بن مجالد من كتاب ابن أبي حاتم أنه حدث بهذا عن أبي معاوية، فذكر ذلك لابن معني، فقال: «قل له: يا عدو الله، إنما كتبت عن أبي معاوية ببغداد ولم يحدث أبو معاوية هذا الحديث ببغداد» وروي اللفظ الثاني: محمد بن عمر بن الرومي، عن شريك، وابن الرومي، ضعفه أبو زرعة، وأبو داود وقال أبو حاتم: «صدوق قديم روى عن شريك حديثًا منكرًا» يعني هذا، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجدر في التقريب: «لين الحديث» ووهم من زعم أن الشيخين أخرجا له أو أحدهم، وأخرجه الترمذي من طريقه، ثم قال: «غريب منكر»، ثم قال: وروى بعضهم هذا الحديث عن شريك، ولم يذكروا فيه «الصنابحي» فزعم العلائي أن هذا تنفرد ابن الرومي، ولا يخفى أن كلمة «بعضهم» تصدق بمن لا يعتد بمتابعته، ولم يذكر اللالئي أحدًا رواه عن شريك غير ابن الرومي إلا عبد الحميد بن بحر، وهو هالك يسرق الحديث.

فالحق أن الخبر غير ثابت عن شريك، المقام الثاني: على فرض أن أبا معاوية حدث بذاك وشريكًا حدث بهذا، فإنما جاء ذاك عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد، وجاء هذا عن «عن شريك عن سلمة بن كهيل» وأبو معاوية والأعمش، وشريك كلهم مدلسون متشيعون، ويزيد شريك بأنه يكثر منه الخطأ، فإن قيل: إنما ذكروا في الطبقة الثانية، من طبقات المدلسين، وهي طبقة من «من احتمل الأئمة تدليسه، وأخرجوا له في الصحيح»، قلت: ليس هذا أن المذكورين في الطبقة الثانية تقبل عنعنتهم مطلقًا، كمن ليس بمدلس ألبتة، إنما المعنى أن الشيخين انتقيا في المتابعات ونحوها من معنعناتهم، ما غلب على ظنهما أنه سماع، أو أن الساقط منه ثقة، أو كان ثابتًا من طريق أخرى، ونحو ذلك كشأنهما فيمن أخرجا

له، ممن فيه ضعيف، وقد قرر ابن حجر في نخبته ومقدمة اللسان، وغيرهما أن من توثقه، ونقبل خبره من المبتدعة، يختص ذلك بما لا يؤيد بدعته، فأما ما يؤيد بدعته، فلا يقبل منه ألبته، وفي هذا بحث، لكنه حق فيما إذا كان مع بدعته مدلسًا، ولم يصرح بالسماع، وقد أعل البخاري في تاريخه الصغير ص٦٨، خبرًا رواه الأعمش، عن سالم، يتعلق بالتشيع، بقوله: «والأعمش لا يدري سمع هذا من سالم أم لا ، قال أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، أنه قال: نستغفر الله من أشياء كنا نرويها على وجه التعجب اتخذوها دينًا» ويشتد اعتبار تدليس الأعمش في هذا الخبر خاصة؛ لأنه عن مجاهد، وفي ترجمة الاعمش، من تهذيب التهذيب: «قال يعقوب بن شيبة في مسنده: ليس يصح للأعمش عن مجاهد إلا أحاديث يسيرة قلت: لعلي بن المديني، كم سمع الأعمش عن مجاهد؟ قال: لا يثبت منها إلا ما قال سمعت هي نحو من عشرة، وإنما أحاديث مجاهد عنده عن أبي يحيى القتات، وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه، في أحاديث الأعمش عن مجاهد، قال أبو بكر بن عياش، عنه حدثنيه ليس [ابن أبي سليم] عن مجاهد أقول: القتات وليث ضعيفان، ولعل الواسطة في بعض تلك الأحاديث من هو شر منهما، فقد سمع الأعمش من الكلبي أشياء، يرويها عن ابي صالح باذام، ثم رواها الأعمش عن باذام تدليسًا، وسكت عن الكلبي، والكلبي كذاب، ولا سيما فيما يرويها عن أبي صالح، كما مر، ويتأكدوهن الخبر بأن من يثبته عن أبي معاوية، يقول: إنه حدث به قديمًا، ثم كف عنه، فلولا أنه علم وهنه لما كف عنه، والخبر عن شريك اضطربوا فيه، رواه الترمذي من طريق ابن الرومي «عن شريك، عن سلمة بن كهيل عن سويد بن غفلة عن الصنابحي عن علي» وذكر الترمذي أن بعضهم رواه عن شريك فأسقط الصنابحي، فلم يسنده، وهو مضطرب، وسلمة لم يسمع من الصنابحي » فالحاصل أن الخبر عن ثبت عن أبي معاوية لم يثبت عن الأعمش، ولو ثبت عن الاعمش، فلا يثبت عن مجاهد، وأن الخبر المروي عن شريك، لا يثبت عنه، ولو ثبت لم يتحصل منه على شيء، لتدليس شريك وخطئه، والاضطراب الذي لا يوثق منه على شيء.

وفي اللآلئ طرق أخرى، قد بين سوطها، وأخرى سكت عنها، وهي:

(أ) للحاكم بسند إلى جابر، فيه أحمد بن عبد الله بن يزيد الحراني، المؤدب المترجم في اللسان (١/ ٩٧١)، رقم ٦٢٠، قال ابن عدي: «كان بسامرا يضع الحديث».

ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله رحمةً واسعة، عن حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، «هذا الحديث إنما افتراه زنديق جاهل ظنه مدحًا، وهو مطرق الزنادقة إلى القدح في دين الإسلام، إذ لم يبلغه إلا واحد، ثم إن هذا خلاف المعلوم بالتواتر، فإن جميع مدائن الإسلام بلغهم العلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم من غير علي، أما أهل المدينة ومكة فالأمر فيهما ظاهر، وكذلك الشام والبصرة فإن هؤلاء لم يكونوا يروون عن علي، إلا شيئًا قليلًا، وإنما كان غالب علمه في الكوفة مع هذا فأهل الكوفة كانوا يعلمون القرآن والسُّنَّة قبل أن يتولى عثمان فضلًا عن علي، وفقهاء أهل المدينة تعلموا الدين في خلافة عمر، وتعليم معاذ لأهل اليمن ومقامه فيهم أكثر من علي، ولهذا روى أهل اليمن عن معاذ بن جبل أكثر مما رووا عن علي، وشريح وغيره من أكابر التابعين إنما تفقَّهوا على معاذ بن جبل، ولما قدم على الكوفة كان شريح فيها قاضيًا، وعبيدة السلماني تفقها على غيره، فانتشر علم الإسلام في

(ب) لعلي بن عمر الحربي السكري، بسند إلى علي، فيه «إسحاق [بن محمد] ابن مروان «عن أبيه» وهما تالفان، مترجمان في اللسان، وفيه بعد ذلك من لم أعرفه، وفي آخره «سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة» شيعيان متروكان.

(ج) للفضلي، بسند إلى جابر، فيه من لم أعرفه عن «الحسين بن عبد الله التميمي» أراه الحسين بن عبيد الله التميمي، المترجم في اللسان (٢/ ٢٩٦)، وهو مجهول واهٍ «ثنا خبيب» صوابه: «حبيب بن النعمان» شيعي مجهول، ذكر في اللسان أن الطوسي ذكره في رجال الشيعة.

(د) للديلمي بسند إلى سهل بن سعد، عن أبي ذر، فيه من لم أعرفه، عن «محمد بن علي بن خلف العطار» متهم ترجمته في اللسان: (٥/ ٢٨٩) رقم (٩٨٨)، ثنا موسى بن جعفر بن إبراهيم...، تالف، ترجمته في اللسان: (٦/ ١١٤)، «ثنا عبد المهيمن بن العباس» متروك.

المقام الثالث: النظر في متن الخبر، كل من تأمل منطوق الخبر، ثم عرضه على الواقع، عرف حقيقة الحال، والله المستعان، الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي محقق الفوائد اللشوكاني ص٣٤٩- ٣٥٣.

المدائن قبل أن يقدم علي على الكوفة»[١].

ورغم أن الحديث موضوع فإنه «ليس مفيدًا لمدعاهم إذ لا يلزم أن من كان باب مدينة العلم فهو صاحب رياسة عامة بلا فصل بعد النبي صلى الله عليه وسلم، غايته أن شرطًا من وشروط الإمامة قد تحقق فيه بوجه أتم، ولا يلزم من تحقيق شرط واحد وجود المشروط بالشروط الكثيرة»[٢].

وقد ترتب على زعم الشيعة بأن عليًّا مدينة العلم اعتباره أعلم الصحابة، وهذه فِرية واضحة على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ردَّ علي هذه الفرية الشيخ مجد الدين الفيروز آبادي ردًّا علميًّا مقنعًا ذكره أبو حامد المقدسي في رسالته في الردِّ على الرافضة[٣]، حيث بين الفيروز آبادي أن علم الصحابي صلى الله عليه وسلم إنما يعرف بأحد وجهين:

أحدهما: كثرة رواياته وفتاواه.

والثاني: كثرة استعمال النبي صلى الله عليه وسلم إياه، فنظر فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد ولى أبا بكر للصلاة بحضرته طول علته وجميع أكابر الصحابة

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة (٧/ ٥١٦، ٥١٧).

(٢) شاه الدهلوي: مختصر التحفة الاثنا عشرية ص١٨٦، الناشر إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامع، السلفية بنارس الهند ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٣) أبو حامد المقدسي: رسالة في الرد على الرافضة من ص٢٥١- ٢٥٥، باختصار، ونفس هذا الكلام بنصه ذكره ابن حزم الأندلسي في الفصل: (٤/ ٢١٢، ٢١٣)، ولعل العلامة الشيخ أبو حامد المقدسي نقله من الفصل وسها فكتب الفيروز آبادي بدلًا من ابن حزم الأندلسي، أو أن العلاّمة الفيروز آبادي نقلها عن ابن حزم.

رضي الله عنهم حضور كعلي وعمر وعثمان وابن مسعود، وأبي وغيرهم فآثره على جميعهم، فوجب ضرورة أن يعلم أن أبا بكر رضي الله عنه أعلم الناس بالصلاة وشرائعها، وأعلم من المذكورين بها، وهي عمود الدين، ووجدنا صلى الله عليه وسلم قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة أن يكون عنده من علم الصدقات كالذي عند غيره من علماء الصحابة لا أقل منه، وربما أكثر أما ترى الفقهاء قاطبة، إنما اعتمدوا على الحديث الذي رواه أبو بكر رضي الله عنه في الزكاة جعلوه أصلًا فيها[1]، ولم يعرجوا على ما رواه غيره.

---

(١) قال الإمام أبو عبد الله بمحمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري قال: حدثني أبي قال: حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس أن أنسًا حدثه أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله، فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها، ومن سئل فوقها فلا يعط: في أربع وعشرين من الإبل فما دونها من الغنم من كل خمس شاة، فإذا بلغت خمسًا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى، فإذا بلغت ستًّا وثلاثين على خمس وأربعين اثنى فيفها بنت لبون أنثى، فإذا بلغت ستًّا وأربعين إلى ستين ففيها حقة طروقة الجمل، فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت -يعني ستًّا وسبعين- إلى تسعين ففيها بنتا لبون، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها قتان طروقتا الجمل، فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة، ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فيلي فيها صدقة إلا أن يشاء ربها، فإذا بلغت خمسًا من الإبل ففيها شاة، فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة، فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها، وفي الرقة ربع العشر، فإن لم تكن إلا تسعين ومائة فليس فيها شيء إلا أن يشاء ربها» [فتح الباري: (٣/ ٣٧١) حديث ١٤٥٤ كتاب الزكاة، باب الزكاة الغنم] طبعة دار الريان القاهرة.

ذكر المجد في المنتقى أن هذا الحديث رواه أحمد والنسائي وأبو داود، وذكر رحمه الله أن

أما الحديث الذي رواه علي رضي الله عنه فأعرضوا عنه بالكلية لاضطراب طرقه وفيه ما لم يقل به أحد من الأئمة، فإن فيه كل خمس وعشرين من الإبل خمس شاة لا غير.

فكان أبو بكر رضي الله عنه أعلم بالزكاة التي هي أحد أركان الدين.

وأما الحج فإنه لم افرض سنة تسع على الصحيح بادر صلى الله عليه وسلم وجهز المسلمين حيث لم يتفرغ بنفسه ولبيان جواز التأخير، وأم عليهم أبا بكر رضي

البخاري قطعه في عشرة مواضع، وقال: ورواه الدارقطني كذلك، وله فيه رواية في صدقة الإبل: «فإذا بلغت إحدى وعشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة» قال الدارقطني: هذا إسناد صحيح ورواته كلهم ثقات، اهـ.

وقال الشوكاني: الحديث أخرجه أيضًا الشافعي والبيهقي والحاكم: قال ابن حزم: هذا كتاب في نهاية الصحة عمل به الصديق بحضرة العلماء ولم يخالفه أحد، وصححه ابن حبان أيضًا وغيره اهـ. [نيل الأوطار للشوكاني (٥/ ١٢٥) كتاب الزكاة، باب: «صدقة المواشي» طبعة الكليات الأزهرية القاهرة].

* غريب الحديث.

* بنت مخاض: بفتح الميم والمعجمة الخفيفة وآخره معجمة، هي التي أتى عليها حول ودخلت في الثاني وحملت أمها، والمخاض، أي دخل وقت حملها وإن لم تحمل.

* بنت لبون: قال الحافظ: وابن اللبون الذي دخل في ثالث سنة فصارت أمه لبونًا بوضع الحمل.

* حقة طروقة الجمل: أي بلغت أن يطرقها الفحل، وهي التي أتت عليها ثلاث سنين ودخلت في الرابعة.

* جذعة: بفتح الجيم والمعجمة، التي أتت عليها أربع ودخلت في الخامسة.

* الرقة: بكسر الراء وتخفيف القاف: الفضة الخالصة سواء كانت مضروبة أو غير مضروبة، فتح الباري (٣/ ٣٧٢- ٣٧٦).

الله عنه ليعلم الناس المناسك، ومن المستحيل تقديمه في هذا الأمر الخطير المشتمل على علوم من قواعد الدين وثم من هو أعلم منه.

فلما حج وكانت سورة براءة مشتملة على كثير من المناسك، وعلى مناقب أبي بكر رضي الله عنه، أرسل عليًّا رضي الله عنه ليقرأها على الناس، فلما قدم علي قال له أبو بكر: أمير أو مأمور؟ فقال: بل مأمور، فقرأه على الناس ليستمع الناس مناقب أبي بكر من لسان علي رضي الله عنه ليكون أوقع في النفوس وأدخل في القلوب والرءوس ويكون أعلى في إظهاره لفضل أبي بكر رضي الله عنه وأذل على علو قدره.

ثم وجدنا صلى الله عليه وسلم قد ألزم نفسه في جلوسه ومسافرته وسيره وإقامته أبا بكر رضي الله عنه فشاهد أحكامه وفتاواه أكثر من مشاهدة علي رضي الله عنه، فصح أن أبا بكر أعلم بها، فهل بقيت من العلم بقية إلا وهو المقدم فيها، فبطل دعواهم في أن عليًّا كان أعلم الصحابة.

وأما الرواية والفتوى، فإن أبا بكر رضي الله عنه، لم يعش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سنتين وستة أشهر، ولم يفارق المدينة إلا حاجًّا أو معتمرًا ولم يحتج الناس على ما عنده من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن كل من حواليه أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك كله فقد روى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنان وأربعون حديثًا مسندة، ولم يرد عن علي إلا خمسمائة وست وثمانون حديثًا مسندة، يصح منها نحو خمسين، وقد عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أزيد من ثلاثين سنة، فكثر لقاء الناس إياه، وحاجاتهم على ما عنده، لذهاب جمهور الصحابة رضي الله عنهم، وكثر سماع أهل الآفاق منه مرة بصفين وأعوامًا بالكوفة ومرة بالبصرة والمدينة، فإذا نسبنا مدة أبي بكر من حياته وأضفنا تَقَري علي البلاد بلدًا بلدًا، وكثرة سماع الناس منه إلى لزوم

أبي بكر موطنه وأنه لم تكثر حاجة من حواليه إلى الرواية عنه ثم نسبنا عدد حديث من عدد حديث، وفتاوى من فتاوى، علم كل ذي حظ من العلم أن الذي كان عند أبي بكر من العلم أضعاف ما كان عندَ علي منه، وبرهان ذلك أن من عمَّر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمُرًا قليلًا قلَّ النقل عنهم، ومن طال عُمره منهم كثر النقل عنهم، إلا اليسير من اكتفى بنيابة عنه في تعليم الناس، وقد عاش علي بعد عمر بن الخطاب سبعة عشر عامًا غير شهر، ومسند عمر خمسمائة حديث وسبعة وثلاثون حديثًا، يصح منها نحو خمسين كالذي عن علي سواء بسواء، فكل ما زاد حديث علي على حديث عمر تسعة وأربعين حديثًا في هذه المدة الطويلة، ولم يزد عليه في الصحيح إلا حديثًا أو حديثين.

وفتاوى عمر موازنة لفتاوى علي في أبواب الفقه، فإذا نسبنا مدة من مدة وضربنا في البلاد من ضرب فيها وأضفنا حديثًا على حديث وفتاوى إلى فتاوى، علم كل ذي حِسٍّ علمًا ضروريًّا، أن الذي كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند علي من العلم، ثم وجدنا الأمر كل ما طال كثرت الحاجة إلى الصحابة فيما عندهم من العلم فوجدنا حديث عائشة رضي الله عنها، ألفي مسند ومائتي مسند وعشرة مسانيد، وحديث أبي هريرة خمسة آلاف مسند وثلاثمائة مسند وأربع وسبعين مسندًا ووجدنا مسند جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، لكل واحد منهما أزيد من ألف وخمسمائة، ووجدنا لابن مسعود ثمانمائة مسند ونيف ولكل من ذكرنا حاشا أبا هريرة وأنس بن مالك من الفتاوى أكثر من فتاوى علي أو نحوها، فبطل هذه الوقاح الجهال[1].

ومن المعروف أن أبا بكر كان أكثر ملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من

(١) ابن حزم: الفِصَل (٤/ ٢١٢).

علي، وفي البخاري عن أبي سعيد الخدري في الصحيحين قال: كان أبو بكر أعلمنا بالنبي صلى الله عليه وسلم[١].

وكان أبو بكر وعمر أكثرا جلوسًا وملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من علي رضي الله عنه بشهادة علي نفسه حيث يقول: «إني كثيرًا ما كنت أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر»[٢].

وإذا كان علي رضي الله عنه عنه قال في خُطبة له في أهل الكوفة، «سلوني قبل أن تفقدوني». فإنه على فرض صحة هذا القول: «فإنما كان يخاطب بهذا أهل الكوفة ليعلمهم العلم والدين، فإن غالبهم كانوا جهالًا لم يدركوا النبي صلى الله عليه وسلم، وأما أبو بكر فكان الذين حول منبره هم: أكابر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم والدين، فكانت رعية أبي بكر أعلم الأمة وأدينها، وأما الذين كان علي يخاطبهم فهم من جملة عوام الناس التابعين، وكان كثير منهم من شِرار التابعين، ولهذا كان علي رضي الله عنه يذمهم ويدعو عليهم، وكان التابعون بمكة والمدينة والشام والبصرة خيرًا منهم، وأما أبو بكر فلم يسأل عليًا قطُّ عن شيء. وأما عمر فكان يشاور الصحابة: عثمان وعليًا وعبد الرحمن وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم، فكان علي من أهل الشورى، كعثمان وابن مسعود وغيرهما، ولم يكن أبو بكر ولا عمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يخصان عليًا بسؤال[٣].

(١) البخاري (١/ ١٠٠) كتاب الصلاة.

(٢) البخاري (٥/ ٩-١٠، ١١).

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٥/ ٥٠٨، ٥١٣).

ولقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر وعمر، وقال فيهما: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»[١].

وقال: «إن يطع الناس أبا بكر وعمر يرشدوا»[٢].

ومن المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقدم في الشورى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

وعلماء أهل السُّنَّة يجمعون على أن أبا بكر أعلم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

والإمام النووي يقول: «أجمع أهل السُّنَّة على أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقدمهم في الشجاعة والعلم رضي الله عنه»[٣].

وعلى نفسه يشهد بذلك، ففي البخاري عن محمد ابن الحنفية، وهو ابن علي بن أبي طالب، قال: قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[٤].

وقد ترتب على قول الشيعة بأن عليًّا كان أعلم الصحابة، قولهم أيضًا بأنه كان

---

(١) الترمذي مع تحفة الأحوذي (١٠/ ١٤٧)، حديث رقم ٣٧٤٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) مسلم: باب «قضاء الصلاة الفائتة» (١/ ٤٧٢) حديث رقم ٣١١.

(٣) النووي: مسلم بشرح النووي: (١/ ٢١٢).

(٤) ابن حجر: فتح الباري (٧/ ٢٠)، حديث ٢٦٧١.

أقرؤهم للقرآن وهذا كذاب واضح فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة»[1].

ثم اختار صلى الله عليه وسلم الصديق للإمامة أثناء مرضه فعلم أنه كان أقرؤهم وأفقه الصحابة وأقدمهم هجرة، وكما يقول ابن: «وقد يكون من لم يجمع حفظ القرآن كله على ظهر قلب أقرأ ممن جمعه كله عن ظهر قلب فيكون ألفظ به، وأحسنهم ترتيلًا

هذا على أن أبا بكر وعمر وعليًّا لم يستكمل أحد منهم حفظ سواد القرآن كله ظاهرًا إلا أنه قد وجب يقينا بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر على الصلاة وعلى حاضر أن أبا بكر أقرأ من علي، وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقدم إلى الإمامة الأقل علمًا بالقراءة على الأقرأ أو الأقل فقهًا على الأفقه»[2].

ويقول المقدسي: «وقد نشأ عن هذا لبعض الزائفين من الرافضة سؤال باستفهام إنكار، وهو هل كان أبو بكر يحفظ القرآن يريد بذلك تنقيصه عند من لا يعلم، والإجابة: إن قصد بذلك استنقاصه فهو كافر، وليس حفظ جميع القرآن شرطًا في كمال الإيمان ولا في صحته قال الله تعالى: ﴿ فاقرأوا ما تيسر من القرآن ﴾[المزمل: ٢٠]

وأيضًا فإن عليًّا رضي الله عنه لم يكن يحفظ القرآن كله ولا عمر ولا أكثر الصحابة وفي الحديث المشهور المخرج من الصحيحين وغيرهما إن الذين جمعوا

(١) مسلم بشرح النووي (٥/ ١٧٢، ١٧٣).

(٢) ابن حزم الفِصَل (٤/ ٢١٥).

القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أنفار فقط. أعني كما حفظوه بكماله وجمعوا بين طرفيه وهم معاذ بن جبل، أُبي بن كعب زيد بن ثابت وأبو زيد المعروف بقيس بن السكن بن زعوراء الأنصاري رضي الله عنهم وليس علي منهم»[١].

الدليل التاسع:

حديث «أقضاكم علي»[٢].

والحقيقة إنه قول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قاله بعد موت أبي بكر الصديق رضي الله عنه «أبي أقرؤنا، وعلي أقضانا»[٣].

وعلى فرض صحة حديث «أقضاكم علي» فإن ذلك لا يوجب أحقيته في خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته صلوات ربي وسلامه عليه، فالقاضي يحكم عادة بظاهر ما يراه ويسمعه، وقد يظلم في قضائه نتيجة ما يسمعه أو يراه ظاهرًا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وإنما أقضي بنحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار»[٤].

وقد ادَّعى قوم من صالحي المسلمين على بعض أهل الشر يقال لهم: «بنو أبيرق» أنهم سرقوا لهم طعامًا ودروعًا، فجاء من برأ «بني أبيرق» من السرقة، فظن النبي صلى الله عليه وسلم صدقهم، حتى أنزل الله تعالى قوله: ﴿ إنا أنزلنا إليك

---

(١) أبو حامد المقدسي: رسالة في الرد على الرافضة ص٢٦١.

(٢) ابن ماجه: المقدمة (١/ ٥٥).

(٣) البخاري: كتاب التفسير ص٢-٧، العجلوني: كشف الخفاء: (٢/ ١٦١-١٦٣).

(٤) البخاري (٣/ ١٨٠)، باب: «من أقام البينة بعد اليمين».

الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما* واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ﴾ [النساء: ١٠٥-١٠٧][1].

(١) عن أسباب نزول هذه الآيات ذكر جلال الدين السيوطي في كتابه لباب النقول في أسباب النزول (طبعة دار المعرفة بيروت) على هامش تفسير الجلالين ص١٠٥، وما بعدها روى الترمذي والحاكم وغيرهما عن قتادة بن النعمان: قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بني ابيرق بشر وبشير ومبشر، وكان بشير رجلًا منافقًا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ينحله بعض العرب يقول: قال فلان كذا وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملًا من الدرمك فجعله في مشربة له فيها سلاح ودرع وسيف، فعدى عليه من تحت فنقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، إنه قد عدى علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا، وذُهب بطعامنا وسلاحنا، فتجسسنا في الدار، وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليل ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، فقال بنو أبيرق: ونحن نسأل في الدار والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل، ورجل منا له صلاح وإسلام، وفلما سمع لبيد اخترط سيفه، وأنا أسرق؟ والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة، قالوا: إليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها فسألنا في الدار حتى لم نشك، أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فأتيته، فقلت: أهل بيت مما أهل جفاء عمدوا على عمي، فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فسأنظر في ذلك، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلًا منهم يقال له: «أسير بن عورة» فكلموه في ذلك، فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله ، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا على أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت قال قتادة: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: عمدت الى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة؟ فرجعت

وهناك علم أعلى بكثير من العلم بالقضاء، وهو العلم بالحلال والحرام الذي اختص به معاذ بن جبل حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»[١]. ومن المعلوم أن هذا الحديث أقوى من حديث «أقضاكم علي»، بل إن الإمام ابن تيمية يرى ضعفه وبطلانه، ويقول: «إذا كان قوله صلى الله عليه وسلم أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل» أصح إسنادًا وأظهر دلالة، علم أن المحتج بذلك على أن عليًّا أعلم من معاذ جاهل فكيف من أبي بكر وعمر اللذين هما أعلم من معاذ؟! مع أن الحديث الذي فيه ذكر معاذ وزيد بعضهم ضعفه، وبعضهم يحسنه، والذي فيه ذكر علي ضعيف أو باطل»[٢].

فإن قال الشيعة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل عليًّا على الأخماس وعلى القضاء باليمن؟

فأخبرت عمي فقال: الله المستعان، فلم نلبث أن نزل القرآن الكريم: {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما} بني أبيرق «واستغفر الله»، أي: مما قلت لقتادة إلى قوله: {وكان فضل الله عليك عظيما}، فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فرده إلى رفاعة، ولحق بشير بالمشركين، فنزل على «سلافة بنت سعد» فأنزل الله: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى} إلى قوله تعالى: {ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا}[النساء: ١١٥، ١١٦].

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

(١) الترمذي: سنن الترمذي (٥/ ٣٣٠)، ونصه: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أُبي بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح» الحديث موجود في سنن ابن ماجه: (١/ ٥٥)، ومسند الإمام أحمد: (٣/ ١٨٤).

(٢) ابن تيمية: المنهاج (٧/ ٥١٥).

فإن ابن حزم الأندلسي يرد على ذلك فيقول: «نعم ولكن مشاهدة أبي بكر لأقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوى في العلم وأثبت مما عند علي وهو باليمن، وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على بعوث فيها الأخماس، فقد ساوى علمه علم علي في حكمها بلا شك إذا لا يستعمل صلى الله عليه وسلم إلا عالمًا بما يستعمله عليه، وقد صحَّ أن أبا بكر وعمر كان يفتيان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عليه السلام يعلم ذلك، ومحال أن يبيح لهما ذلك إلا وهما أعلم من دونهما، وقد استعمل عليه السلام أيضًا على القضاء باليمن مع علي معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري، فلعلي في هذا شركاء كثير، منهم: أبو بكر، وعمر، ثم قد انفرد أبو بكر بالجمهور الأغلب من العلم»[1].

الدليل العاشر:

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي في غزوة خيبر «لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»[2].

والحديث ذكره البخاري وهو صحيح.

والشاهد في هذا الحديث عند الشيعة هو أن عليًّا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

---

(١) ابن حزم الفصل: (٤/ ٢١٤).

(٢) ابن حجر: فتح الباري صحيح البخاري (٧/ ٤٧٦)، رقم ٤٢١٠.

وقال ابن حجر في شرح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «إن عليًّا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» أراد بذلك حقيقة المحبة وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة، قال: وفي الحديث تلميح بقوله تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}

والحقيقة أنه ليس في هذا الحديث أي خصوصية لعلي فقد شاركه في هذه المنقبة والفضيلة: أبو بكر وعمر وعثمان وعبيدة بن الجراح والحسن والحسين وغيرهم من الصحابة.

ففي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهمَّ صلِّ على أبي بكر فإنه يحبك، ويحب رسولك، اللهم صلِّ على عمر فإنه يحبك ويحب رسولك، اللهم صلِّ على عثمان، فإنه يحبك ويحب رسولك، اللهم صلِّ على عبيدة بن الجراح، فإنه يحبك ويحب رسولك، اللهمَّ صلِّ على عمرو بن العاص فإنه يحبك ويحب ورسولك» كذا رواه يزيد عن مالك بن يخامر مرسلًا، وغيره عن معاذ[1].

وعن عدي بن ثابت قال سمعت البراء يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي على عاتقه وهو يقول: «اللهمَّ إني أحبه فأحبه»[2].

وقال الله تعالى في حقِّ أبي بكر وأصحابه: ﴿ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ ﴾.

وقال في حق أهل مسجد قباء: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾.

وقال في أصحاب بدر: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾.

والفقهاء وأئمة علماء الإسلام متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر على سائر

---

(١) الحافظ أبي نعيم الأصبهاني: كتاب الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق، د/ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة.

(٢) ابن حجر: فتح الباري شرح أحاديث البخاري (٧/ ٩٤)، حديث رقم ٣٧٤٩.

الصحابة يقول الإمام الشافعي: «ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر، وتقديمها على جميع الصحابة، وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان: منهم من قدم عليًّا على عثمان، ومنهم من قدم عثمان على علي ونحن لا نخطي أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعلوا»[1].

واحتجَّ الشيعة بأن عليًّا الذي حمل راية خيبر لأنه أشجع الصحابة لهذا اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمل راية فتح خيبر.

وقد بيَّن ابن حزم الأندلسي خطأ هذا الرأي فقال في الفصَل: «ووجدناهم يحتجون بأن عليًّا كان أكثر الصحابة جهادًا وطعنًا في الكفار وضربًا، والجهاد أفضل الأعمال، وهذا خطأ؛ لأن الجهاد ينقسم أقسامًا ثلاثة:»[2].

أحدها: الدعاء على الله عز وجل باللسان.

والثاني: الجهاد عن الحرب بالرأي والتدبير.

والثالث: الجهاد باليد في الطعن والضرب.

فوجدنا الجهاد باللسان لا يلحق فيه أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر أما أبو بكر فإن أكابر الصحابة رضي الله عنهم أسلموا على يديه، فهذا أفضل عمل وليس علي من هذا كبير حظ، وأما عمر فإنه من يوم أسلم عز الإسلام

---

(١) البيهقي: مناقب الشافعي، تحقيق السيد أحمد صقر رحمه الله: (١/ ٤٣٤) طبعة دار التراث، القاهرة ١٣٩١هـ.

(٢) ابن حزم: الفصل (٤/ ٢١١- ٢١٢) تحقيق: د/ محمد إبراهيم نصر، د/ عبد الرحمن عميرة، طبعة شركات مكتبات عكاظ ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م السعودية.

وعبد الله تعالى بمكة جهرًا وجاهد المشركين بمكة بيديه، فضرب وضرب حتى ملوه فتركوه فعبد الله تعالى علانية، وهذا أعظم الجهاد، فقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين اللذين لا نظير لهما ولا حظ لعلي في هذا أصلًا، وبقي القسم الثاني: وهو الرأي والمشورة فوجدناه خالصًا لأبي بكر ثم لعمر، وبقي القسم الثالث: وهو الطعن والضرب والمبارزة فوجدناه أقل مراتب الجهاد ببرهان ضروري وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك عند كل مسلم أنه المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده عليه السلام إنما كان في أكثر أعماله وأحواله القسمين الأولين من الدعاء إلى الله عز وجل والتدبير والإدارة.

وكان أقل عمله صلى الله عليه وسلم الطعن والضرب والمبارزة لا عن جبن بل كان عليه السلام أشجع أهل الأرض قاطبة نفسًا ويدًا وأتمهم نجدة، ولكنه كان يؤثر الأفضل فالأفضل من الأفعال، قدمه عليه السلام ويشتغل به ووجدناه عليه السلام يوم بدر وغيره كان أبو بكر رضي الله عنه معه لا يفارقه إيثارًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم له بذلك واستظهارًا برأيه في الحرب، وأنسًا بمكانه، ثم كان عمر ربما شُرك في ذلك أيضًا، وقد انفرد بهذا المحل دون علي ودون سائر الصحابة إلا في الندرة، ثم نظرنا مع ذلك في هذا القسم من الجهاد الذي هو الطعن، والضرب، والمبارزة، فوجدنا عليًا رضي الله عنه لم ينفرد بالسبق فيه بل قد شاركه في ذلك غيره شركة العنان، كطلحة والزبير، وسعد، وممن قتل في صدر الإسلام كحمزة، وعبيدة بن الحارث بن المطلب ومصعب بن عمير، ومن الأنصار سعد بن معاذ، وسماك بن خرشة وغيرهما ووجدنا أبا بكر وعمر قد شاركاه، في ذلك بحظ كسن وإن لم يلحقا بحظوظ هؤلاء، وإنما ذلك لشغلها بالأفضل من ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومؤازرته في حين الحرب وقد بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعوث، أكثر مما بعث عليًا، وقد بعث أبا بكر إلى بني فزارة

وغيرهم، وبعث عمر إلى بني فلان، وما نعلم لعلي بعثًا إلا إلى بعض حصون خيبر ففتحه، وقد بعث إليه قبله أبا بكر وعمر فلم يفتحاه، فحصل أرفع أنواع الجهاد خالصًا لأبي بكر وعمر، وقد شاركا عليًا، في أقل أنواع الجهاد مع جماعة غيرهم.

ونحن لا ننكر أن عليًا كان شجاعًا، ولكنه كان واحدًا من شجعان العرب مثل أبي طلحة بن عبيد الله، وأبي دُجانة وخالد بن الوليد والبراء بن مالك والزبير بن العوم، وسعد بن أبي وقاص وسهل بن حنيف، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن الوليد: «نعم عبد الله، وأخو العشيرة خالد بن الوليد، وسيف من سيوف الله سلَّه الله عز وجل على الكفار والمنافقين»(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي طلحة «صوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل»(٢).

وفي سيرة ابن هشام في النفر الذين قاموا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد قال ابن هشام: «ترس دون النبي صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه: يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه، حتى كثر فيه النبل، ورمى سعد بن أبي وقاص دون النبي صلى الله عليه وسلم، قال سعد: فلقد رأيته يناولني النبل وهو يقول: «ارم فداك أبي وأمي»، حتى إنه ليناولني السهم ما له نصل، فيقول: «ارم به»(٣).

ويوم «أُحد» أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه وأصحابه حوله فقال:

---

(١) أحمد بن حنبل المسند (١/ ١٧٣)، تحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

(٢) السيوطي: «صحيح الجامع الصغير» (٥/ ٢٤٩)، وهو صحيح الإسناد.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (٣/ ٨٦)، تحقيق مصطفى السقا، وآخرين، نشر مصطفى الحلبي القاهرة ١٣٥٥هـ-١٩٣٦.

من يأخذ هذا السيف فليسطر أيديهم يقول: هذا أنا وهذا أنا، فقال: من يأخذه بحقه قال: فأحجم القوم، فقال سماك أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، فدفعه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففلق به هام المشركين[1].

وكان البراء بن مالك مقاتلًا جلدًا، ومبارزًا كبيرًا عن أخيه أنس بن مالك، قال استلقى البراء بن مالك على ظهره ثم ترنم، فقال له أنس: «اذكر الله» أي أخي، فاستوى جالسًا، فقال: أي أنس تراني أموت على فراشي وقد قتلت مائة من المشركين مبارزة سوى من شاركت في قتله[2].

وعليٌّ نفسه يشهد لأبي بكر بأن أبا بكر كان أشجع الناس فعن محمد بن عقيل عن علي رضي الله عنه أنه خطبهم فقال: «يا أيها الناس، من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشًا، فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوي عليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس، قال: ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش فهذا يجاءه، وهذا يتلتله ويقولون أنت جعلت الآلهة إلهًا، واحدًا فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويقاتل هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟

فبكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من

---

(١) مسلم من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة: (٤/ ١٩١٧).

(٢) الطبراني: المعجم الكبير (١/ ٢١٧)، حديث رقم ٦٩٢.

مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه»[١].

وهذه كلمة حق في الصديق أبي بكر من رجل حق صادق هو علي بن أبي طالب.

وليس غريبًا بعد ذلك أن يقول صاحب السريرة النقية علي بن أبي طالب رضي الله عنه «قدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر يصلي بالناس وأنا حاضر غير غائب وصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدمني لقدمني، فرضينا لدنيانا من رضيه الله ورسوله عليه السلام لديننا»[٢].

أما مسألة خيبر، فالصحيح: «أن عليًّا لم يكن حاضرًا فيها، تخلف عن الغزاة؛ لأنه كان أرمد، ثم إنه شق عليه التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلحقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه: «لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه». ولم تكن الراية قبل ذلك لأبي بكر ولا لعمر، ولا قربها واحد منهما، بل هذا من الأكاذيب، ولهذا قال عمر: فما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ، وبات الناس كلهم يرجون أن يعطاها، فلما أصبح دعا عليًّا، فقيل له: إنه أرمد، فجاءه فتفل في عينيه حتى برأ، فأعطاه الراية وكان هذا التخصيص جزاء مجيء علي مع الرمد، وكان إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وعلي ليس بحاضر لما يرجونه من كراماته صلى الله عليه وسلم فليس في الحديث تنقيص بأبي بكر وعمر أصلًا»[٣].

---

(١) البزار: مسند البزار.

(٢) الإمام النووي: تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٩١) المطبعة المنيرية بالقاهرة.

(٣) ابن تيمية: المنهاج: (٧/ ٣٦٦)، ويقول: ابن تيمية في المنهاج (٨/ ١٢٣): «إن خيبر لم تفتح

وإننا لا ننقص أبدًا من شجاعة علي بل إن أحدًا لا ينكر بطولته يوم الهجرة حين نام على سرير سول الله صلى الله عليه وسلم لكنه إن احتج الشيعة ببأسه وشجاعته فقلد كان في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا من هو في مثل شجاعته، وإن كانت الشجاعة فضيلة، لكنها ليست سببًا لاستحقاق الخلافة وإلا استحقها من هو أكثر شجاعة من علي رضي الله عنه مثل سيف الله المسلول خالد بن الوليد.

وقول الشيعة: إن عليًّا كان أشجع الناس قول عار من الصحة تمامًا؛ لأن عليًّا نفسه يعلنها صريحة قوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس، قال علي: «كان إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كان أقرب إلى العدو منا»[1]، ولقد بالغ الشيعة في إضفاء العديد من الأساطير والأباطيل عن شجاعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذكر بعضها العلامة إحسان إلهي ظهير[2]

كلها في يوم واحد، بل كانت حصونًا متفرقة، بعضها فتح عُنوة، وبعضها فتح صلحًا، ثم كتموا ما صالحوا عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فصاروا محاربين، وقد روي أن عليًّا اقتلع باب حصن خيبر».

(١) أحمد بن حنبل المسند (٢/ ٢٢٨).

(٢) مما ذكره إحسان إلهي ظهير في كتابه الشيعة وآل البيت ص ١٦٠، وما بعدها طبعة إدارة ترجمان السنة بلاهور، باكستان طبعة ثالثة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

«يحكون أن أبا وابلة قال: كنت أماشي فلانًا أي عمر بن الخطاب، كما صرح باسمه المجلسي في كتابه «حياة القلوب» والمجلسي من أهم وأبرز علماء الشيعة، إذ سمعت منه همهمة، فقلت له، مه، ماذا يا فلا، قال: ويحك أما ترى الهريز القضم ابن القضم، والضارب باليهم الصنديد على من طغى وبغى، بالسيفين والراية، فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب، فقالت له: يا هذا، هو علي بن أبي طالب، فقال: ادن مني أحدثك عن شجاعته وبطولته، بايعنا النبي يوم أحد على أن لا نفر، ومن فر منها فهو ضال، ومن قتل منها فهو شهيد والنبي زعيمه، إذ حمل علينا

مائة صنديد تحت كل صنديد مائة رجل أو يزيدون، فأزعجونا عن طحونتنا، فرأيت عليًا كالليث يتقي الذر وإذ قد حمل كفًا من حصى فرمى به في وجوهنا، ثم قال: شاهت الوجوه، وقطت وبطت ولطت، إلى أين تفرون؟ إلى النار، فلم نرجع، ثم كر علينا الثانية وبيده شفيحة يقطر منها الموت، فقال: بايعتم ثم نكثتم، فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن قتل، فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان نارًا، أو كالقدحين المملوءين دمًا، فما ظننت إلا ويأتي علينا كلنا، فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت: يا أبا الحسن: الله الله، فإن العبر تكر وتفر، وإن الكرة تنفي الفر، فكأنه عليه السلام استحيا فولى بوجهه عني، فما زلت أسكن روعة فؤادي فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتى الساعة (تفسير القمي: ١/ ١١٤، ١١٥).

ورووا في شجاعة علي قصصًا كثيرة، ومهما رواه القطب الرواندي:

«إن عليًا بلغه عن عمر ذكره شيعته فاستقبله في بعض طرق البساتين وفي يد علي عله السلام قوس فقال: يا عمر! بلغني عنك ذكرك شيعتي فقال: أربع في ظلعك فقال عليه السلام: إنك لههنا، ثم رمى بالقوس على الأرض، فإذا هو ثعبان كالبعير فاغرا فاه وقد أقبل نحو عمر ليبتلعه فصاح عمر الله الله يا أبا الحسن! لأعدت بعدها في شيء، وجعل يتضرع غليه فضرب بيده إلى الثعبان فعادت القوس كما كان فمضى عمر إلى بيته مرعوبًا (كتاب الخرائج والجرائح ص٢٠، ٢١).

وأيضًا ما ذكره سلمي بن قيس العامري الشيعي اللعان السباب الخبيث أن عليًا شتم عمر وهدَّده بقوله: والله لو رمت ذلك يا ابن صهاك لرجعت إليك يمينك، لئن سللت سيفي لأغمدته دون إزهاق نفسك فرم ذلك، فانكسر عمر وسكت وعلم أن عليًا إذ حلف صدق، ثم قال علي عليه السلام: يا عمر! ألست الذي هم بك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي فجئت متقلدًا بسيفي، ثم أقبلت نحوك لأقتلك فأنزل الله عز وجل: {فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا}.

قال ابن عباس: ثم إنهم توامروا وتذاكروا، فقالوا: لا يستقيم لنا أمر ما دام هذا الرجل حيًا فقال أبو بكر: من لنا بقتله؟ فقال عمر: خالد بن الوليد فأرسلا إليه، فقال: يا خالد! ما رأيك في أمر نحملك عليه؟ قال: احملاني على ما شئتما، فوالله! إن حملتماني على قتل أبن أبي طالب لفعلت: فقالا: والله ما نريد غيره، قال: فإني لها، فقال أبو بكر: إذ قمنا في الصلاة، صلاة

الفجر، فقم إلى جانبه، ومعك السيف، فإذا سلمت فاضرب عنقها، قال: نعم! فافترقوا على ذلك، ثم إن أبا بكر تفكر فيما أمر به من قتل علي عليه السلام وعرف إن فعل ذلك وقعت حرب شديدة وبلاء طويل، فنزل على أمره فلم ينم ليلته تلك حتى أتى المسجد وقد أقيمت الصلاة فتقد فصلى بالناس مفكرًا لا يدري ما يقول، وأقبل خالد بن الوليد متقلدًا بالسيف حتى قام إلى جانب علي وقد فطن علي ببعض ذلك، فلما فرغ أبو بكر من تشهده صاح أن يسلم يا خالد، لا تفعل ما آمرتك، فإن فعلتك قتلتك، ثم سلم عن يمينه وشماله، فوثب علي عليه السلام فأخذ بتلابيب خالد وانتزع السيف من يده ثم صرعه وجلس على صدره وأخذ صيفه ليقتله واجتمع عليه أهل المسجد ليخلصوا خالدًا فما قدروا عليه، فقال العباس: حلفوه بحق القبر لما كففت فحلفوه بالقبر فتركه وقام فانطلق إلى منزله (كتاب مسلم بن العامري ص ٢٥٦-٢٥٧).

وهذا ولقد بالغوا وأكثروا في شجاعته وقالوا: كان يملك من القوة حتى «إن عليًّا ركض برجله الأرض يومًا فتزلزلت الأرض (تفسير البرهان: مقدمة ص٧٤) وتزلزلت يومًا فركضها حتى سكنت كما يكذب الصافي:

«عن فاطمة عليها السلام قالت: أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر وفزع الناس إلى أبي بكر وعمر فوجدوهما قد خرجا فزعين إلى علي عليه السلام، فتبعهما الناس إلى أن انتهوا إلى باب علي عليه السلام فخرج عليهم غير مكترث لما هم فيه، فمضى واتبعه الناس حتى انتهوا إلى تلعة فقد عليها وقعدوا حوله وهم ينظرون إلى حيطان المدينة ترتج جائية وذاهبة، فقال لهم علي: كأنكم قد هالكم ما ترون؟ قالوا: وكيف لا يهولنا ولم نر مثلها قطُّ؟ فحرك شفتيه وضرب بيده الشريفة ثم قال: ما لك اسكني، فسكنت بإذن الله، فتعجبوا من ذلك أكثر من تعجبهم الأول حيث خرج إليهم قال لهم: فإنكم تعجبتم من صنعي؟ قالوا: نعم قال: أنا الرجل الذي قال الله: {إذا زلزلت الأرض زلزالها* وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها} فإنا الإنسان الذي يقول لها: مالك {يومئذ تحدث أخبارها} إياي تحدث (الصافي ص٥٧١).

وأكثر من ذلك صراع إبليس يومًا بقوته الجبارة كما رواه ابن بابويه القمي في عيون أخبار الرضا (٢/ ٧٢).

هذا و مثل هذا كثير.

وما دمنا بدأنا في هذا نريد أن نكمل البحث بإيراد حكاية باطلة غريبة تدل على أكاذيب القوم وأساطيرهم التي نسجوها، وبنوا عليها مذهبهم، وأسسوا عليها عقائدهم وهي منقولة من «كتاب الأنوار النعمانية» للسيد نعمة الله الجزائري الشيعي فإنه يقول:

روى البرسي في كتابه لما وصف واقعة خيبر «وإن الفتح فيها كان على يد علي عليه السلام، وإن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستبشرًا بعد قتل مرحب، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن استبشاره فقال: يا رسول الله، إن عليًّا لما رفع السيف ليضرب به مرحبًا أمر الله سبحانه إسرافيل وميكائيل أن يقبضا عده في الهواء حتى لا يضرب بكل قوته ومع هذا قسمه نصفين وكذا ما عليه من الحديث وكذا فرسه ووصل السيف على طبقات الأرض فقال لي الله سبحانه: يا جبرائيل بادر إلى تحت الأرض وامنع سيف علي عن الوصل إلى ثور الأرض حتى لا تنقلب الأرض السابعة، ورفعتها فوق ريشة واحدة من جناحي إلى قرب السماء، وبقيت منتظرًا الأمر إلى وقت السحر حتى أمرني الله بقلبها، فما وجدت لها ثقلًا كثقل سيف علي فسأله النبي صلى الله عليه وسلم: لم لا قلبتها من ساعة رفعتها؟ فقال: يا رسول الله! إنه قد كان فيهم شيخ كافر نائم على قفاه، وشيبته إلى السماء، فاستحى الله سبحانه أن يعذبهم، فلما أن كان وقت السحر انقلب ذلك الشائب عن قفاه فأمرني بعذابها، وفي ذلك اليوم أيضًا لما فتح الحصن وأسروا نساءهم، فكان فيهم صفية بنت ملك الحصن، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم وفي وجهها أثر شجة، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقالت: إن عليًّا لما أتى الحصن وتعسر عليه أخذه أتى إلى برج من بروجه فهزه فاهتز الحصن كله، وكل من كان فوق مرتفع سقط منه، وأنا كنت جالسة فوق سريري فهويت من عليه، فأصابني السرير، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: يا صفية! إن عليًّا لما غضب وهز الحصن غضب الله لغضب علي عليه السلام فزلزل السموات كلها حتى خافت الملائكة ووقعوا على وجوههم وكفى به شجاعة ربانية، وأما باب خيبر فقد كان أربعون رجلًا يتعاونون على سده وقت الليل، ولما دخل الحصن طار ترسه من يده من كثرة الضرب فقلع الباب وكان في يده بمنزلة الترس يقاتل فهو في يده حتى فتح الله عليه (الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري)».

رحمه الله ونقلها عن أهم مراجعهم في التفسير وكتبهم المعتمدة لديهم.

الدليل الحادي عشر

قولهم إن عليًا أتقى الصحابة وأزهدهم.

ونحن لا نشك أبدًا في أن عليًا كان تقيًا زاهدًا إلا أن أبا بكر كان أتقى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

يقول ابن حزم: «والبرهان على ذلك أنه لم يسع قطُّ أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمة ولا خالف إرادته عليه السلام في شيء قط، ولا تأخر عن تصديقه ولا تردد عن الائتمار له يوم الحديبية إذ تردد من تردد، وقد تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر إذ أراد علي نكاح ابنة أبي جهل بما قد عرف، وما قد وجدنا قط لأبي بكر توقفًا عن شيء أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة واحدة عذرة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاز له فعله، وهي إذ أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قباء فوجده يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر تأخر، فأشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن أقم مكانك، فحمد الله تعالى أبو بكر على ذلك ثم تأخر فصار في الصف، وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس فلما سلم قال له: رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما منعك أن تثبت حين أمرتك، فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا غاية التعظيم والطاعة والخضوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أنكر عليه السلام ذلك عليه، وإذ قد صح بالبرهان الضروري أن أبا بكر أعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وجب أنه أخشاهم لله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾[فاطر: ٢٨]، والتقى هو الخشية

لله عز وجل[١].

وبالنسبة للزهد فإننا لا ننكر أن عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه كان زاهدًا صادقًا في زهده، لكن أبا بكر الصديق كان أزهد الصحابة جميعًا وبرهان ذلك ما ذكره ابن حزم الأندلسي قال[٢]: إن الزهد إنما هو غروب النفس عن حب الصوت، وعن المال، وعن اللذات، وعن الميل إلى الولد والحاشية ليس الزهد معنى يقع عليه اسم الزهد إلا هذا المعنى، فأما غروب النفس عن المال فقد علم كل من له أدنى بصر بشيء من الأخبار الخالية أن أبا بكر أسلم وله مال عظيم قيل أربعين ألف درهم، فأنفقها كلها في ذات الله تعالى، وعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين في ذات الله عز وجل، ولم يعتق عبيدًا جلدًا يمنعونه، لكن كل معذب ومعذبة في الله عز وجل.

حتى هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبقَ لأبي بكر من جميع ماله إلا ستة آلاف درهم حملها كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبقَ لبنيه منها درهمًا، ثم أنفقها كلها في سبيل الله عز وجل حتى لم يبقَ له شيء إلا عباءة له قد خللها بعود إذا نزل افترشها وإذا ركب لبسها إذ تمول غيره من الصحابة رضي الله عن جميعهم واقتنوا الرباع الراسعة والضياع الغظيمة من حلها وحقها، إلا أن من أثر بذلك سبيل الله عز وجل أزهد ممن أنفق وأمسق، ثم ولي الخلافة فما اتخذ جارية ولا توسع في مال، وعد عند موته ما أنفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذي لم يستوف منه إلا بعض حقه وأمر بصرفه إلى بيت المال من صلب ماله الذي حصل له من سهامه في المغازي والمقاسم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا

(١) ابن حزم الفصل: (٤/ ٢١٥).

(٢) ابن حزم الفصل: (٤/ ٢١٦-٢١٨).

هو الزهد في اللذات والمال الذي لا يدانيه فيه أحد من الصحابة لا علي ولا غيره، إلا أن يكون أبا ذر وأبا عبيدة من المهاجرين الأولين، فإنهما جريا على هذه الطريقة التي فارقا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسع من سواهم من الصحابة رضي الله عنهم في المباح الذي أحله الله عز وجل لهم، إلا أن من أثر على نفسه أفضل، ولولا أن أبا ذر لم يكن سابقة غيره لما تقدمه إلا من كان مثله، فهذا هو الزهد في المال واللذات، ولقد تلا أبا بكر عمر رضي الله عنهما في هذا الزهد فكان فوق علي في ذلك يعني في إعراضه عن المال واللذات، وأما علي رضي الله عنه فتوسع في هذا الباب من حله ومات عن أربع زوجات وتسع عشرة أم ولد، سوى الخدم والعبيد، وتُوفي عن أربعة وعشرين ولدًا من ذكر وأنثى، وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به من أغنياء قومهم ومياسيرهم هذا أمر مشهور لا يقدر على إنكاره من له أقل علم بالأخبار والآثار، ومن جمله عقاره التي تصدق بها ما كانت تغل ألف وسق تمرًا سوى زرعها فأين هذا من هذا؟

وأما حب الولد والميل إليهم وإلى الحاشية فالأمر في هذا أبين أن يخفى على أحد له أقل علم بالأخبار، فقد كان لأبي بكر رضي الله عنه من القرابة والولد مثل: طلحة بن عبيد الله من المهاجرين الأولين والسابقين من ذوي الفضائل العظيمة في كل باب من أبواب الفضل في الإسلام، ومثل ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر[1] وله مع النبي صلى الله عليه وسلم صحبة قديمة وهجرة سابقة، وفضل ظاهر، فما استعمل أبو بكر رضي الله عنه منهم أحدًا على شيء من الجهات، وهي بلاد اليمن كلها على سعتها وكثرة أعمالها، وعمان وحضرموت والبحرين واليمامة والطائف ومكة

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شهد عبد الرحمن بدرًا وأحدًا مع قومه كافرًا، ثم أسلم وحسن إسلامه، توفي سنة ٥٣هـ بمكة.

وخيبر، وسائر أعمال الحجاز، ولو استعملهم لكانوا لذلك أهلًا، ولكن خشي المحاباة وتوقع أن يميله إليهم شيء من الهوى، ثم جرى عمر على مجراه في ذلك فلم يستعمل من بني عدي بن كعب أحدًا على سعة البلاد وكثرتها، وقد فتح الشام ومصر وجميع مملكة الفرس إلى خراسان إلا النعمان بن عدي[1]، وحده على ميسان ثم أسرع عزله وفيهم من الهجرة ما ليس في شيء من أفخاذ قريش؛ لأن بني عدي لم يبق منهم أحد بمكة إلا هاجر، وكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد المهاجرين الأولين ذوي السوابق وأبي الجهم بن حذيفة وخارجة بن حذافة ومعمر بن عبد الله وابنه عبد الله بن عمر، ثم لم يستخلف أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو صاحب من الصحابة، ولا استعمل عمر ابنه عبد الله على الخلافة وهو من فضلاء الصحابة وخيارهم وقد رضي به الناس وكان لذلك أهلًا، ولو استخلفه لما اختلف عليه أحد فما فعل، ووجدنا عليًّا رضي الله عنه إذ ولى قد استعمل أقاربه عبد الله بن عباس على البصرة، وعبيد الله بن العباس على اليمن، وخثعم ومعبدًا بني العباس على مكة والمدنية، وجعدة بن نميرة وهو ابن أخته أم هاني بنت أبي طالب على خراسان، ومحمد بن أبي بكر وهو ابن امرأته وأخو ولده على مصر ورضي ببيعة الناس للحسن ابنه بالخلافة، ولسنا ننكر استحقاق الحسن للخلافة ولا استحقاق عبد الله بن العباس للخلافة، فكيف إمارة البصرة لكنا نقول: عن من زهد في الخلافة لولد مثل عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر والناس متفقون عليه، وفي تأمير مثل طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد فلا شك في أنه أتم زهدًا أو أعزب عن جميع معاني الدنيا يقينًا ممن أخذه منها مما أبيح له أخذه، فصح بالبرهان معاني الدنيا يقينا ممن أخذ منها مما أبيح له أخذه، فصح بالبرهان الضروري أن أبا بكر رضي الله عنه أزهد من جميع الصحابة ثم عمر بن الخطاب بعده.

---

(١) النعمان بن عدي بن نضلة العدوي، شاعر صحابي مات سنة ٣٠هـ.

ولا تزال ترن في أذني كلمات الصديق أبي بكر حين شعر بدنو أجله، فقد جاءت أم المؤمنين عائشة إلى أبي بكر وهو على فراشه فتمثلت هذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

«فنظر إليها كالغضبان، ثم قال: ليست كذاك يا أم المؤمنين، ولكن ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾[ق: ١٩].

إني قد كنت نَحَلْتُكِ حائطًا، وإن في نفسي منه شيء، فرديه إلى الميراث، قالت: نعم، فرددته، فقال: أما أنا منذ ولينا أمر المسلمين، لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير، إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر، وارثي فيهن ففعلت.

فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض، ويقول رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، يا غلام: ارفعهن، فقال عبد الرحمن بن عوف: سبحان الله، تسلب عيال أبي بكر عبدًا حبشيًّا وبعيرًا ناضحًا وجرد قطيفة ثمنه خمسة دراهم؟ قال: فما تأمر؟ قال: تردهن على عياله، قال: لا والذي بعث محمدًا بالحق، أو كما حلف، لا يكون هذا في ولايتي أبدًا، ولا خرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله، الموت أقرب من ذلك[1].

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى (٣/ ١٩٦، ١٩٧).

المبحث الرابع

أدلة الشيعة من القرآن الكريم

الدليل الأول:

استدلت الشيعة على أحقية علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[الشعراء: ٢١٤] جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلًا، وقال لهم: «إن الله بعثني بالحق إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة، فقال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، فمن يجيبني إلى هذا الأمر، ويؤازرني على القيام به يكن أخي ووزيري ووصيي، ووارثي وخليفتي من بعدي: فلم يجبه أحد منهم إلا علي بن أبي طالب، فقال له: فأنت أخي ووزيري ووصيي، ووارثي، وخليفتي من بعدي»[1].

---

(١) ذكرت هذا الحديث باختصار... وقال الإمام ابن تيمية عن هذا الحديث الذي ذكره ابن مطهر الحلي في كتابه منهاج الكرامة: «إن هذا الحديث كذب عند أهل المعرفة بالحديث، فما من عالم يعرف الحديث إلا وهو يعلم أنه كذب موضوع، ولهذا لم يروه أحد منهم في الكتب التي يرجع إليها في المنقولات؛ لأن أدنى من له معرفة بالحديث يعلم أن هذا كذب.

وقد رواه ابن جرير والبغوي بإسناد فيه عبد الغفار بن القاسم بن فهد، أبو مريم الكوفي، وهو مجمع على تركه، كذبه سماك بن حرب، وأبو داود، وقال أحمد: ليس بشيء، قال ابن المديني: كان يعض الحديث، وقال النسائي وأبو حاتم: متروك الحديث، وقال ابن حبان البستي: كان عبد الغفار بن قاسم يشرب الخمر حتى سكر، وهو مع ذلك يقلب الأخبار، ولا يجوز الاحتجاج به، وتركه أحمد ويحيى.

ورواه ابن أبي حاتم، وفي إسناده عبد الله بن عبد القدوس، وهو ليس بثقة، وقال فيه يحيى بن معين: ليس بشيء رافضي خبيث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف،

وقال الرازي في تفسيره لهذه الآية: «أن الله أمره بدعوة الأقرب فالأقرب، وذلك لأنه إذا تشدد على نفسه أولًا، ثم بالأقرب فالأقرب ثانيًا، لم يكن لأحد فيه طعن ألبتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجح»[1].

وقال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ خص عشيرته الأقربين بالإنذار، لتنحسم أطماع سائر عشيرته وأطماع الأجانب في

وإسناد الثعلبي أضعف؛ لأ، فيه من لا يعرف، وفيه من الضعفاء والمتهمين من لا يجوز الاحتجاج بمثله في أقل مسألة.

ويقول الشيخ إبراهيم الجبهان في كتابه تبديد الظلام ص ٨٨، ٨٩ إن هذا الحديث مردود دراية ورواية، وينقل عن كتاب الخلافة للنبهاني أساب ذلك فيقول: إن القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد طلب مؤازرة بني عبد المطلب واشترط لهم الأمر من بعده باطل لمناقضته فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين رفض طلب قبيلة أن يكون لها الأمر من بعده إذا أسلمت فقال: «الأمر لله يضعه حيث يشاء».

ثانيًا: إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بني عبد المطلب ليسلموا فما شأن علي حتى يتصدى للإجابة لم يكن مسلمًا في ذلك الوقت.

ثالثًا: إن صيغة الأمر في الآية الكريمة تأمر بالإنذار لا بتعيين الوصاية والخلافة.

رابعًا: يذكر الحديث أن القوم رفضوا الإسلام، وخرجوا يتضاحكون من النبي صلى الله عليه وسلم، ومن دعوته، فكيف يقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا خليفتي فيكم ويأمركم بالسمع والطاعة، وهم كفار لم يقبلوا الإسلام حتى يقبلوا خلافة علي.

خامسًا: لو فرضنا صحة الحديث، لكان معناه أن عليًا خليفة في آل عبد المطلب.

سادسًا: إذا كانت الدعوة موجهة لآل عبد المطلب ولم يحضر غيرهم وما داموا قد رفضوا الإسلام فهل روى الحديث من رفضوا تهكموا على رسول الله أم رواه من لم يحضر هذا الاجتماع؟.

(١) الرازي: تفسير (٢٣/ ١٧٢).

مفارقته إياهم على الشرك، وعشيرته الأقربون قريش، وقيل بنو عبد مناف[١]، وهو معنى قريب من تفسير الرازي للآية.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير أحاديث كثيرة وردت في نزول هذه الآية الكريمة، وبين الصحيح منها من الضعيف كما بيَّن ضعف أحاديث الشيعة واعتمادهم على سند ضعيف مثل عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم وهو متروك كذاب شيعي اتَّهمه علي بن المديني وغيره بوضع الأحاديث وضعفه أئمة الحديث رحمهم الله[٢].

---

(١) القرطبي: تفسير المجلد السابع ص١٤٣.

(٢) قال ابن كثير في نزول الآية (ص٣٤٩- ٣٥٢) المجلد الثالث: «قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أنزل الله عز وجل: {وأنذر عشيرتك الأقربين} أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى «يا صباحاه» فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بسفح هذا الجبل تريد أن تُغير عليكم صدقتموني؟» قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله: {تبت يدا أبي لهب وتب} ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طريق عن الأعمش به (الحديث الثاني) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما نزلت {وأنذر عشيرتك الأقربين} قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا فاطمة، ابنة محمد، يا صفية ابنة عبد المطلب، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئًا سلوني من مالي ما شئتم» انفرد بإخراجه مسلم (الحديث الثالث) قال الإمام أحمد: حثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية {وأنذر عشيرتك الأقربين} دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشًا فعم وخص فقال: «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا

معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئًا إلا أن لكم رحمًا سأبلها ببلاها». ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير به، وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه، ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسلًا ولم يذكر فيه أبا هريرة، والموصول هو الصحيح وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهير عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد يعني ابن إسحاق عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله، يا صفية عمة رسول الله وفاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئا، سلاني من مالي ما شئتما» فترد به من هذا الوجه، وتفرد به أيضًا عن معاوية عن زائدة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه، ورواه أيضًا عن حسن ثنا ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال: أبو يعلى حدثنا سويد بن عسيد حدثنا همان بن إسماعيل عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يا بني هاشم يا بني عبد مناف أنا النذير والموت الغير، والساعة الموعد». (الحديث الرابع): قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد ثنا التميمي عن أبي عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا: لما نزلت {وأنذر عشيرتك الأقربين} صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضمة من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادي: «يا بني عبد مناف إنما أنا نذير، إنما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب بربأ بأهله رجاء الله يسبقوه فجعل ينادي ويهتف يا صباحاه» ورواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن طرخان التيمي عن أبي عثمان عبد الرحمن بن سها النهدي عن قبيصة وزهير بن عمرو والهلالي (الحديث الخامس) قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الأعمش عن المنهال عن عياد بن عبد الله الأسدي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: {وأنذر عشيرتك الأقربين} جمع النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا قال: وقال لهم: «من يضمن عني ديني ومواعيدي، ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟» فقال رجل لم يسمه شريك يا رسول الله أنت كنت بحراء من يقوم بهذا، قال: ثم قال الآخرة، ثلاثًا، قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال

علي أن (طريق أخرى بأبسط من هذا السياق) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ماجد عن علي رضي الله عنه قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وهم رهط وكلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدًا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب وقال: «يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة فقد رأيت من هذا الآية ما رأيتم فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي» قال لم يقم إليه أحد، قال: فقمت إليه وكنت أصغر القوم، قال: فقال: «اجلس» ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إلي فيقول لي اجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي»: (طريق أخرى أغرب وأبسط من هذا السياق بزيادات أخر) قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: حدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل واستكتمني اسمه عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله {وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عرفت أني إن بادرت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك» قال علي رضي الله عنه فدعاني فقال: يا علي: «إن الله تعالى قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فعرفت أني إن بادرتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال: يا محمد، إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك، فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام وأعد لنا قعب لبن ثم اجمع لي عبد المطلب» ففعلت فاجتمعوا إليه وهم يومئذ أربعون رجلًا أو يزيدون رجلًا أن ينقصون رجلًا فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب الكافر الخبيث فقدمت إليهم تلك الجفنة، فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشقها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال: «كلوا بسم الله» فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما يرى إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسقهم يا علي» فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعًا وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما

أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لهذا سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم» ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسقهم يا علي» فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعًا، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب بالكلام فقال: لهذا سحركم صاحبكم، فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم» ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثلها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابًا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، وإني قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة» قال: أحمد بن عبد الجبار بغلني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث:

وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن عبد الغفار ابن القاسم بن أبي مرين عن المنهال بن عمرو عبن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب فذكر مثله، وزاد بعد قوله: «إني جئتكم بخيري الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعًا وقتل وإني لأحدثهم سنًّا وأرمصهم عينًا وأعظمهم بطنًا وأحمشهم ساقًا، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال «إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا، ثم قام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع، تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم وهو متروك كذاب شيعي اتهمه علي بن

المنيني وغيره بوضع الحديث وضعفه الأئمة رحمهم الله (طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا الحسين عن عيسى بن ميسرة الحارثي حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال: قال علي رضي الله عنه: عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال: قال علي رضي الله عن لما نزلت هذه الآية {وأنذر عشيرتك الأقربين} قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اصنع لي شاة بصاع من طعام وإناء لبناً» قال ففعلت ثم قال لي: «ادع بني هاشم» قال: فدعوتهم وإنهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال وفيه عشرة كلهم يأكل الجذعة بإدامها، قال فلما أتوا بالقصعة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذروتها ثم قال: «كلوا» فأكلوا حتى شبعوا وهي على هيئتها لم يزد دوا منها إلا اليسير قال ثم أتيتهم بالإناء فشربوا حتى رووا قال: وفضل فضل، فلما فرغوا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فبدروه بالكلام فقالوا: ما رأينا كاليوم في السحر، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: لي: «اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام» فصنعت قال: فدعاهم فلما أكلوا وربوا قال فبدروه فقالوا مثل مقالتهم الأولى فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي: «اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام» فصنعت قال فجمعتهم فلما أكلوا وشربوا بردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام فقال: «أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟» قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بما له قال وسكت أنا لسن العباس، ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس، فلما رأيت ذلك قلت: أنا يا رسول الله قال: وإني يومئذ لأسوأهم هيئة وإني لأعمش العينين ضخم البطن خمش الساقين فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي رضي الله عنه، ومعنى سؤاله صلى الله عليه وسلم لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ويخلفوه في أهله يعني إن قتل في سبيل الله، كأنه خشي إذا قام بأعباء الإنذار أن يقتل فلما أنزل الله تعالى: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس} فعند ذلك أمن وكان أولاً يحرس حتى نزلت هذه الآية: {والله يعصمك من الناس} ولم يكن أحد في بني هاشم إذ ذاك أشد إيمانًا وإيقانًا وتصديقًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من علي رضي الله عنه ولهذا بدرهم إلى القيام ما طلب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد هذا —والله أعلم— دعاؤه الناس جهرة على الصفا وإنذاره لبطون قريش عمومًا

الدليل الثاني

قوله تعالى: ﴿ اليوم أكلمت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[المائدة: ٣]

يقول الشيعة وإمامهم الأكبر ابن المطهر الحلي روى أبو نعيم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى غدير خم[١]، وأمر بإزالة ما تحت الشجرة من الشوك، فقام فدعا عليًّا، فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: ﴿ اليوم أكلمت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[المائدة: ٣] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي بالولاية لعلي من بعدي، ثم قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نَصَرَهُ، واخذل منْ خَذَلَهُ»[٢].

ومكان نزول الآية غير صحيح، فهذه الآية لم تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير خُم وإنما نزلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وكان هذا اليوم قبل غدير خُم بتسعة أيام، فقد كان يوم التاسع من ذي

وخصوصًا حتى سمى من سمى من أعمامه وعماته وبناته لبنيه بالأدنى على الأعلى أي إنما أنت نذير والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(١) غدير ماء يدعى غدير خم بين مكة والمدينة.

(٢) هذا الجزء أشرنا إليه من قبل وهو: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله».

الحجة[١]، ويوم الغدير كان الثامن عشر من ذي الحجة، ثم إن هذه الآية ليس فيها دليل على الإطلاق على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن معناها واضح للغاية تعني إكمال الدين بنزول معظم أحكامه وفرائضه، فأتم نعمته على المسلمين بهذا الإكمال وإظهار دين الإسلام، وقيل: كذلك أيضًا بدخول مكة آمنين واختياره الإسلام دينًا لنا، فهو الدين الذي ارتضاه الله لنا ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾.

ويقول الفخر الرازي في تفسيره[٢] «في الآية سؤال يقتضي أن الدين كان ناقصًا قبل ذلك، وذلك يوجب أن الدين الذي كان صلى الله عليه وسلم مواظبًا عليه أكثر من عمره كان ناقصًا وإنه إنما وجد الدين الكامل في آخر عمره مدة قليلة.

واعلم أن المراد من قوله ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ هو إزالة الخوف عنهم وإظهار القدرة لهم على أعدائهم، وهذا كما يقول الملك عندما يستولي على عدوه ويقهره قهرًا كليًّا: اليوم كمل ملكنا، وهذا الجواب ضعيف لأن ملك ذلك الملك كان قبل قهر العدو ناقصًا».

الثاني: أن المراد: إني أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكاليفكم من تعلم الحلال والحرام، و هذا أيضًا ضعيف لأنه لو لم يكمل لهم قبل هذا اليوم ما كانوا محتاجين إليه من الشرائع كان ذلك تأخيرًا للبيان عن وقت الحاجة، وإنه لا يجوز.

---

(١) يقول الإمام القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٦٥م، ص٦١، ٦٢ (أنها نزلت في يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد صلاة العصر في حجة الوداع سنة عشر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة على ناقته العضباء «اسم الناقة» فكاد عضد الناقة ينقد من ثقلها فبركت).

(٢) الرازي: تفسير الكبير (١١/ ١٣٧-١٣٨) طبعة مكتبة دار إحياء التراث العربي بيروت.

الثالث: وهو الذي ذكره القفال وهو المختار: أن الدين ما كان ناقصًا ألبتة، بل كان أبدًا كاملًا، يعني كان الشرائع النازلة من عند الله في وقت كافية في ذلك الوقت، إلا أنه تعالى كان عالمًا في أول وقت المبعث بأن ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صلاح فيه، فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم، وأما في آخر زمان المبعث فأنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها إلى يوم القيامة، فالشرع أبدًا كان كاملًا، إلا أن الأول كمال إلى زمان مخصوص، والثاني كمال إلى يوم القيامة فلأجل هذا المعنى قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾.

وذلك معنى دقيق وملاحظة عميقة لفهم معنى الآية:

وقد رد ابن كثير على من يقولون: إن آية: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الآية نزلت يوم غدير خم فذكر هذه الرواية[1] «روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خُم قال لعلي: «من كنت مولاه فعلي مولاه». ثم رواه عن أبي هريرة وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع ولا يصح لا هذا ولا هذا، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية أنها نزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان وترجمان القرآن عبد الله بن عباس وسمرة بن جندب رضي الله عنه وأرسله الشعبي وقتادة بن دعامة وشهر بن حوشب وغير واحد من الأئمة والعلماء: واختاره ابن جرير الطبري رحمه الله[2].

(١) ابن كثير: تفسير (٢/ ١٤).

(٢) ابن كثير: تفسير (٢/ ١٤).

وقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره العديد من الأحاديث الصحيحة التي تؤكد أن هذه الآية المباركة نزلت يوم عرفة[1].

---

(١) يقول ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٢-١٤)، قال أسباط عن السدي نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلا ولا حرام ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات قالت أسماء بنت عيسى: حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحجة فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة فمل تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن فبركت فأتيته فسجيت عليه بردًا كان علي.

وقال بابن جرير وغير واحد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يومًا رواهما ابن جرير، ثم حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا فضيل بن هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلت {اليوم أكملت لكم دينكم} وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك» قال: أبكاني أنا كان في زيادة من ديننا فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص فقال: «صدقت» ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت «إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء» وقال الإمام أحمد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرءون آية في كتابكم لو علينا يا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: وأي آية؟ قال قوله: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي}، فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في يوم جمعة، ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون به ورواه أيضًا مسلم والترمذي والنسائي أيضًا من طرق عن قيس بن مسلم به ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية، من طريق سفيان الثوري عن قيس عن طارق قال: قالت اليهود: لعمر الله إنكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا، فقال عمر: إني لأعلم حين أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنزلت: يوم عرفة وأنا والله بعرفة قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا {اليوم أكملت لكم دينكم} الآية، وشك سفيان رحمه الله كان في الرواية فهو

ومن الملاحظ أنه قبل قوله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم... ﴾ الآية قال عز من قائل: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[المائدة: ٣].

يقول الفخر الرازي: «قال أصحابنا: هذا الآية دالة على بطلان قول الرافضة: (أي في مسألة النص على إمامة علي) وذلك لأنه تعالى بيَّن أن الذين كفروا يئسوا من تبديل الدين، وأكد ذلك بقوله: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾ فلو كانت إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه منصوصًا عليها من قبل الله تعالى وقبل رسوله صلى الله عليه وسلم نصًّا واجب الطاعة عليها لكان من أراد إخفاءه وتغييره آيسًا من ذلك بمقتضى هذه الآية، فكان يلزم أن لا يقدر أحد من الصحابة على إنكار ذلك النص

تورع حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا، وإن كان شاكًا في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم جمعة فهذا ما لا أخاله يصدر عن الثوري رحمه الله، فإن هذا أمر معلوم مقطوع به لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسير ولا الفقهاء، وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها والله أعلم.

فأما ما رواه ابن جرير وابن مردويه والطبراني من طريق ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش بن عبد الله الصغاني عن ابن عباس قال ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين، وفتح بدرًا يوم الاثنين وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين {اليوم أكملت لكم دينكم} ورفع الذكر يوم الاثنين وفإنه أثر غريب وإسناده ضعيف وقد رواه الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش الصغاني عن ابن عباس قال: ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ووضع الحجر الأسود يوم الاثنين، هذا لفظ أحمد ولم يذكر نزول المائدة يوم الاثنين فالله أعلم، ولعل ابن عباس، أراد أنها نزلت يوم عيدين اثنين كما تقدم فاشتبه على الراوي، والله أعلم.

وعلى تغييره وإخفائه، ولما لم يكن الأمر كذلك، بل لم يجر لهذا النص ذكره، ولا ظهر منه خبر ولا أثر، علما أن ادعاء هذا النص كذب، وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما كان منصوصا عليه بالإمامة»[1].

من ذلك كله يتضح لنا أن آية ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ما نزلت يوم غدير خم، وإنما نزلت يوم عرفة في التاسع من ذي الحجة في العام العاشر لهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك فإن الآية لا تفيد أي دلالة على التنصيص على علي بن أبي طالب في خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته.

الدليل الثالث:

آية الولاية، من البراهين الدالة عند الرافضة على إمامة علي قوله تعالى: ﴿ إنما وليكم الله رسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [المائدة: ٥٥].

يقول عالم الشيعة ابن المطهر الحلي «وقد أجمعوا أنها نزلت في علي، قال الثعلبي في إسناده إلى أبي ذر: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بهاتين وإلا صمتا ورأيته بهاتين وإلا عميتا، يقول: «علي قائد البررة وقاتل الكفرة، فمنصور من نصَرَه، ومخذول من خذله». أما إني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يُعْطِه أحد شيئًا، فرفع السائل يده إلى السماء، وقال: اللهم إنك تشهد أني سألت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعطني أحد شيئًا، وكان علي راكعًا، فأومأ بخنصره اليمنى، وكان متختمًا فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم، وذلك بعين النبي صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من

(١) الرازي: تفسير (١١/ ١٣٩)، طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت.

صلاته رفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهم إن موسى سألك وقال: ﴿ رب اشرح ليس صدري* ويسر لي أمري * واحلل عقدة من لساني* يفقهوا قولي* واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري ﴾[طه: ٢٥-٣٢]. فأنزلت عليه قرآنا ناطقا ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا ﴾[القصص: ٣٥] اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري، واجعل لي وزيرًا من أهلي، عليًّا، أشدد به ظهري». قال أبو ذر: فما استتم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه جبريل من عند الله فقال: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[المائدة: ٥٥] ونقل الفقيه ابن المغازلي الواسطي الشافعي[1] أن هذه الآية نزلت في علي، والولي هو المتصرف، وقد أثبت له الولاية في الآية، كما أثبتها الله تعالى لنفسه ولرسوله»[2].

والحقيقة أنه ليس ابن المغازلي فقط هو الذي قال: إن هذه الآية نزلت في علي، وإنما ذكر ذلك بعض العلماء والمفسرين للإشارة إلى أن في سند هذه الروايات رجال مجاهيل ومجروحين، فقد قال السيوطي مثلًا في لباب النقول في أسباب النزول: «أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مجاهيل عن عمار بن يسار قال: وقف على علي بن أبي طالب سائل وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فنزلت: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ الآية، وله شاهد قال عبد الرزاق: حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الطيب الجلابي الشافعي الواسطي مات ببغداد سنة ٤٨٣هـ ودفن بواسط حين ولد بها ومن مؤلفاته: «ذيل تاريخ واسط» وكتاب مناقب الإمام علي بن أبي طالب الذي حققه محمد باقر البهبودي نشر دار الأضواء ببيروت ١٤٠٣هـ.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة: (٧/ ٥-٧).

عن أبيه عن ابن عباس في قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾الآية: قال نزلت في علي بن أبي طالب».

وروى ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مثله، وأخرج أيضًا عن علي مثله، وأخرج ابن جرير عن مجاهد وابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل مثله فهذه شواهد يقوي بعضها بعضًا[1].

وقد اقتضتني الأمانة العلمية نقل ما ذكره السيوطي في لبابه وقوله: «فهذه شواهد يقوي بعضها بعضًا» لكن هذا الرأي لا يدعم وجهة النظر الشيعية في أسباب نزول الآية كما سأبين بإذن الله.

وإنه يكفي التناقض الواضح في الروايتين: رواية ابن المطهر الحلي وما ذكره السيوطي، فقد ذكر أن الثعلبي في إسناده إلى أبي ذر قال: «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا صلاة الظهر» بينما إسناد ابن عباس أنه وقف على علي بن أبي طالب سائل وهو راكع في «تطوع» أي أنه لم يكن في صلاة مفروضة وهي «الظهر» بالإضافة إلى أن إيتاء الزكاة والإنسان يصلي، فيه شغل عن الصلاة ذاتها، وفيه ضياع لخشوعها، ثم إن تفسير الثعلبي الذي أشار إليه ابن المطهر الحلي يحتوي على العديد من الموضوعات، والأحاديث الضعيفة، وتفسيره يضم الصحيح والضعيف والموضوع؛ لأن الثعلبي ليس له باع في علوم الحديث ومصطلحه ومع أنه كان عالمًا ورعًا شهد له بالورع والتدين عديد من العلماء لكن الرجل لم يكن صاحب دربة بالحديث دراية ورواية، ولذلك فإن الإمام البغوي عندما قام بإعداد مختصره أي مختصر تفسير الثعلبي حذف من تفسيره كل الأحاديث الضعيفة

---

(١) السيوطي «جلال الدين» لباب النقول في أسباب النزول بهامش تفسير الجلالين ص٣٣٧.

والموضوعة التي ذكرها الثعلبي.

وإن ابن عباس الذي روي عنه أنه قال: إن آية: ﴿ إنما وليكن الله رسوله ﴾ نزلت في علي، نقلت عنه رواية أخرىٰ أنها نزلت في أبي بكر.

يقول الإمام ابن تيمية: «والثعلبي قد نقل في تفسيره أن ابن عباس يقول: نزلت في أبي بكر، ونقل عن عبد الملك قال: سألت أبا جعفر، قال: هم المؤمنون، قلت: فإن ناسًا يقولون هو علي، قال: فعلي من الذين آمنوا، وعن الضحاك مثله، وروىٰ ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه قال، عن ابن عباس في هذه قال: «كل مَنْ آمن فقد تولىٰ الله ورسوله والذين آمنوا».

وعن عبد الملك بن أبي سليمان قال: سألتُ أبا جعفر محمد بن علي عن هذه الآية، فقال: هم الذين آمنوا، قلت: نزلت في علي قال: علي من الذين آمنوا، وعن السدي مثله، وإنا نعفيه من الإجماع ونطالبه أن ينقل ذلك بإسناد واحد صحيح وهذا الإسناد الذي ذكره الثعلبي إسناده ضعيف، فيه رجال متهمون، وأما نقل ابن المغازلي الواسطي، فأضعف وأضعف، فإن هذا قد جمع في كتابه من الأحاديث الموضوعات ما لا يخفىٰ أنه كذب علىٰ من له أدنىٰ معرفة بالحديث والمطالبة بإسناد يتناول هذا وهذا»[1].

وإن قول الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ في الآية فإن لفظ «الذين» يفيد صيغة الجمع، فالأمر لا يتعلق بعلي فقد وإنما سائر الذين آمنوا وكما قال أبو جعفر فإن عليًا من الذين آمنوا.

---

(١) ابن تيمية: المنهاج (٧/ ١٤، ١٥).

وقول الله تعالى: ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ فإنه على قول الشيعة فإن عليًّا قد أتى الزكاة وهو راكع، مع أن عليًّا نفسه طوال عهد النبوة الشريفة لم تجب عليه الزكاة؛ لأنه خلال عهد النبوة ما كان مالكًا لنصاب الزكاة[1].

وإن قول الله تعالى في صفات المؤمنين: ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ ففي ذلك أمر بالركوع مع الراكعين ودلالة على كثرة الركوع والصلاة كقول الله تعالى لمريم آمرًا لها بالركوع: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقوله تعالى آمرًا المؤمنين بالصلاة والزكاة والركوع مع الراكعين ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

وفي آيات الركوع كلها نلمح ظلالًا ندية ودعوة إيمانية نحو أهمية الخضوع والخشوع في الصلاة؛ لأن المؤمن لا يخضع ولا يركع لغير الله عز وجل، وإن إمامًا ورعًا تقيًّا كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يخشع لله في صلاته، ويعلم تمامًا أن إعطاء الخاتم في الصلاة قد يقلل من خشوعها ويؤثر فيها، فمعنى ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ أي الذين يفعلون هذين الأمرين وهما: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، يفعلونها وهم متواضعون لله تعالى خاشعون له سبحان وتعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ يقول الفخر الرازي في تفسيره «وجه النظم أنه تعالى لما نهى

(١) قد يرى بعض الشيعة أنها زكاة التطوع وأنه ليس في الآية ما يدل على أنها زكاة فرض، مع ذلك فإن مثل هذا الفعل يؤثر في الصلاة وخشوعها.

في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار أمر في هذا الآية بموالاة من يحب موالاته وقال: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي المؤمنون الموصوفون بالصفات المذكورة.

وفي قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ قولان:

الأول: أن المراد عامة المؤمنين، وذلك لأن عبادة بن الصامت لما تبرأ من اليهود، وقال: أنا برئ إلى الله من حلف قريظة والنضير، وأتولى الله ورسول نزلت هذه الآية على وفق قوله. وروى أيضًا أن عبد الله بن سلام قال: يا رسول الله، إن قومنا قد هجرونا وأقسموا أن لا يجالسونا، ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبُعْدِ المنازل، فنزلت هذه الآية، فقال: رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين أولياء، فعلى هذا: الآية عامة في حقِّ كل المؤمنين فكل من كان مؤمنًا فهو ولي كل المؤمنين، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ وعلى هذا فقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ صفة لكل المؤمنين، والمراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لأنهم كانوا يدعون الإيمان إلا أنهم ما كانوا مداومين على الصلوات والزكوات... وأما قوله: ﴿ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ففيه على هذا القول وجوه:

الأول: قال أبو مسلم: المراد من الركوع الخضوع، يعني أنهم يصلون ويزكون، وهم منقادون خاضعون لجميع أوامر الله ونواهيه، والثاني: أن يكون المراد: من شأنهم إقامة الصلاة، وخص الركوع بالذكر تشريفًا له كما في قوله: ﴿ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾.

والثالث: قال بعضهم: إن أصحابه كانوا عند نزول هذه الآية مختلفون في هذه الصفات، منهم من قد أتم الصلاة، ومنهم من دفع المال إلى الفقير، ومنهم من كان

بعد الصلاة وكان راكعًا، فلما كانوا مختلفين في هذه الصفات لا جرم ذكر الله تعالى كل هذه الصفات.

والقول الثاني: إن المراد من هذه الآية شخص معين، وعلى هذا ففيه أقوال:

الأول: روى عكرمة أن هذه الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه.

والثاني: روى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، روى أن عبد الله بن سلام قال: لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله، أنا رأيت عليًا تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع، فنحن نتولاه[1]، وروي عن أبي ذرك أيضًا وذكر الرازي الرواية التي ذكرها ابن المطهر الحلي في منهاجه وقد بيَّن الرازي بعد ذلك ضعف استدلال الشيعة بهذه الآية على أن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علي بن أبي طالب».

ويحاول أحد علماء الشيعة وهو محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠) في كتابه الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، أن يلوي النص لصالح عقيدة إمامة علي فيقول: (لفظ: «الذين» وإن كان لفظ جمع فقد صار بعرف الاستعمال يعبر به عن واحد معظم، ولذلك نظائر كقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر: ٩] وقوله: ﴿ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ ﴾ وغير ذلك من الألفاظ، وقال أهل التفسير: إن قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ المراد به واحد معروف)[2]، وهذا كلام حق يراد به غير حق.

---

(١) الرازي تفسير ص٢٥، ٢٦، طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت.

(٢) الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ص٣٣٣، مطبعة الآداب في النجف ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

فقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ المرد بـ«إنا نحن» تعظيم الله سبحانه وتعالى كقول الملك «نحن الملك».

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ تأكيد لاسم إن أو فصل ﴿ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ أي القرآن الكريم ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ أي من كل تبديل أو تحريف أو زيادة أو نقصان.

وقد ذكر قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ ﴾ في آيات متعددة[1].

كذلك ذكر قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ ﴾ في آيات كثيرة[2].

---

(١) الآيات هي:

{إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر}[القمر: ١٩]

{إنا أرسلنا عليهم صحية واحدة فكانوا كهشيم المحتظر}[القمر: ٣١].

{إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم} [نوح: ١].

{إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم}[المزمل: ١٥].

(٢) الآيات هي: {ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء}[الأنعام: ٤٢]

{ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين}[هود: ٢٥].

{ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين}[هود: ٩٦].

{ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية}[الرعد: ٣٨].

{ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور} [إبراهيم: ٥].

{ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين}[الحجر: ١٠].

{ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله}[المؤمنون: ٢٣].

{ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله}[النمل: ٤٥].

{ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين}[العنكبوت: ١٤].

{ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات}[الروم: ٤٧].

{ولقد أرسلنا فيهم منذرين}[الصافات: ٧٢].

وهذه الآيات كلها يستخدم فيها لفظ الجمع لتعظيم الواحد سبحانه وتعالى، وعلماء اللغة يجمعون على أنه يجوز التعبير عن الواحد بالجمع وذكر علماء العربية أنه يكون لفائدتين: «تعظيم الفاعل وأن من أتى بذلك الفعل عظيم الشأن بمنزلة جماعة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ ليرغب الناس في الإتيان بمثل فعلهن وتعظيم الفعل أيضًا حتى إن فعله سجية لكل مؤمن، وهذه نكتة سرية تعتبر في كل مكان بما يليق به»[1].

وصحيح أن الآية الأخرى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[آل عمران: ١٧٣]، بـ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ واحد معروف هو نعيم بن مسعود الأشجعي حين قال للمؤمنين أصحاب بدر: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ يقصد أبا سفيان وأصحابه: ﴿ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾، أي جهروا وأعدوا الجموع لقتالكم واستئصالكم ﴿ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ ولا تأتوهم ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ أي زادهم هذا القول إيمانًا ويقينًا بالله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾.

والشاهد عنده بأن ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ المراد به واحد، وهذا كما -أشرنا من قبل- صحيح لكن هذا استدلال في غير موضعه؛ لأن قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ غير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ

{ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين}[غافر: ٢٣].

{ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك}[غافر: ٧٨].

{ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه}[الزخرف: ٤٦].

{ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب}[الحديد: ٢٦].

(١) الألوسي «تفسير روح المعاني» ص١٦٧.

لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾.

فـ «الذين» الأولى تفيد الجمع كما أشرنا وجاء بعدها الفعل يدل على الجمع ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾.

أما «الذين» الثانية فلفظها يدل على اختصاص واحد بالقول بدلالة قول الله تعالى بعدها: «الذين قال». ولم يقل «الذين قالوا» وإن سياق الآيات التي جاء فيه قول الله تعالى: ﴿ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ يدل على ذلك[1].

فقد أتى السياق من بدايته بصيغة الجمع لا تختص بفرد واحد بذاته، فالآيات جاءت لنهي المؤمنين عن موالاة الكافرين والمنافقين ويقال: إن سبب نزولها أنه لما كان بعض المنافقين ومنهم عبد الله بن أبي بن سلول، يوالي اليهود، ويقولك إني أخاف الدوائر، بينما قال أحد المؤمنين الصادقين هو الصحابي الجليل عبادة بن الصامت: إني يا رسول الله أتولى الله ورسوله، وأبرأ إلى الله ورسوله من حلف

(١) استمع معي إلى بداية سياق الكلام من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ* فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ* وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ* إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ*وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}[المائدة: ٥١-٥٦].

هؤلاء الكفار وولايتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية داعيًا إلى موالاته وموالاة رسوله وموالاة المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الآية.

ولا شك عندنا أن من أبرز صفات المؤمنين الصادقين موالاة الله ورسوله وموالاة المؤمنين يقول تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة: ٧١] ويقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[البقرة: ٢٥٧]، ولئن عليًّا من المؤمنين الصادقين فيجب على كل مؤمن موالاته كغيره من الصحابة المؤمنين فكل مؤمن صالح هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله مولاه، وكذلك جبريل مولاه بنص القرآن الكريم: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[التحريم: ٤].

والروافض يحملون لفظ الولي في قوله تعالى: ﴿ إنما وليكم الله.. ﴾ الآية على معنى الناصر وعلى المتصرف معًا، وهذا غير جائز، فإنه لا يجوز حمل اللفظ المشترك على مفهوميه معًا وهذه من أولى مبادئ أصول الفقه، وقد رد الفخر الرازي في تفسيره على أدلة الشيعة بأدلة قوية وحجج دامغة فقال[1]: «لم لا يجوز أن يكون المراد من لفظ الولي في هذه الآية الناصر والمحب، ونحن نقيم الدلالة على أن حمل لفظ الولي على هذا المعنى أولى من حمله على معنى المتصرف، ثم نجيب عما قالوا: فنقول: الذي يدل على أن حمله على الناصر أولى من وجوه:

الأول: أن اللائق بما قبل هذه الآية وما بعدها ليس إلا هذا المعنى... فالولاية في قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ ﴾يجب أن تكون هي بمعنى النصرة وكل من أنصف وترك التعصب وتأمل في مقدمة الآية في مؤخرها قطع بأن الولي في قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ ﴾

(١) الرازي: تفسير ص٢٧-٣١ طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

ليس إلا بمعنى الناصر والمحب ولا يمكن أن يكون بمعنى الإمام؛ لأن ذلك يكون إلقاء كلام أجنبي فيما بين كلامين مسوقين لغرض واحد، وذلك يكون في غاية الركاكة والسقوط، ويجب تنزيه كلام الله تعالى عنه.

الحجة الثانية: أنا لو حملنا الولاية على التصرف والإمامة لما كان المؤمنون المذكورون في الآية موصوفين بالولاية حال نزول الآية؛ لأن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ما كان نافذ التصرف حال حياة الرسول، والآية تقتضي كون هؤلاء المؤمنون موصوفين بالولاية في الحال، أما لو حملنا الولاية على المحبة والنصرة كانت الولاية حاصلة في الحال، فثبت أن حمل الولاية على المحبة أولى من حملها على التصرف، والذي يؤكد ما قلناه إنه تعالى منع المؤمنين من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، ثم أمرهم بموالاة هؤلاء المؤمنين، فلا بد وأن تكون موالاة هؤلاء المؤمنين حاصلة في الحال حتى يكون النفي والإثبات متواردين على شيء واحد، ولما كانت الولاية بمعنى التصرف غير حاصلة في الحال امتنع حمل الآية عليها.

الحجة الثالثة: إنه تعالى ذكر المؤمنين الموصوفين في هذه الآية بصيغة الجمع في سبعة مواضع، وهي قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ وحمل ألفاظ الجمع وإن جاز على الواحد على سبيل التعظيم لكنه مجاز لا حقيقة، والأصل حمل الكلام على الحقيقة.

الحجة الرابعة: إن الآية المتقدمة وهي قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ ﴾ إلى آخر الآية من أقوى الدلائل على صحة إمامة أبي بكر، فلو دلت هذه الآية على صحة إمامة علي بعد الرسول لزم التناقض بين الآيتين، وذلك باطل، فوجب القطع بأن هذه الآية لا دلالة فيها على أن عليًّا هو الإمام بعد الرسول.

الحجة الخامسة: إن عليّ بن أبي طالب كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الروافض، فول كانت هذه الآية دالة على إمامته لاحتج بها في محفل من المحافل، وليس للقوم أن يقولوا: إنه تركه للتقية فإنهم ينقلون عنه أنه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير، وخبر المباهلة، وجميع فضائله ومناقبه، ولم يتمسك ألبتة بهذه الآية في إثبات إمامته، وذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الروافض لعنهم الله.

الحجة السادسة: هب أنه دالة على إمامة علي، لكنا توافقنا على أنها عند نزولها ما دلت على حصول الإمامة في الحال: لأن عليًا ما كان نافذ التصرف في الأمة حال حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، فلم يبقَ إلا أن تحمل الآية على أنها تدل على أن عليًا سيصير إمامًا بعد ذلك، ومتى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه ونحمله على إمامته بعد أبي بكر وعمر وعثمان، إذ ليس في الآية ما يدل على تعيين الوقت، فإن قالوا: الأمة في هذه الآية على قولين: منهم من قال: إنها لا تدل على إمامة علي، ومنهم من قال: إنها على إمامته، وكل من قال بذلك قال: إنها تدل على إمامته بعد الرسول من غير فصل، فالقول بدلالة الآية على إمامة علي لا على هذا الوجه، قول ثالث، وهو باطل لأنا نجيب عنه فنقول: ومن الذي أخبركم أنه ما كان أحد في الأمة قال هذا القول، فإن من المحتمل، بل من الظاهر أنه منذ استدل مستدل بهذه الآية على إمامة علي فإن السائل يورد على ذلك الاستدلال هذا السؤال، فكان ذكرها هذا الاحتمال وهذا السؤال مقرونًا بذكر هذا الاستدلال.

الحجة السابعة: إن قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ لا شك أنه خطاب مع الأمة، وهم كانوا قاطعين بأنه المتصرف فيهم هو الله ورسوله، وإنما ذكر الله تعالى هذا الكلام تطييبًا لقلوب المؤمنين وتعريفًا لهم بأنه لا حاجة بهم إلى اتخاذ الأحباب والأنصار من الكفار، وذلك لأن من كان الله ورسوله ناصرًا له ومعينًا له فأي

حاجة به إلى طلب النصرة والمحبة من اليهود والنصاري، وإذا كان كذلك كان المراد بقوله: ﴿ إنما وليكما الله ورسوله ﴾ هو الولاية بمعنى النصرة والمحبة، ولا شك أن لفظ الولي مذكور مرة واحدة، فلما أريد به ههنا معنى النصرة امتنع أن يراد به معنى التصرف لما ثبت أنه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معًا.

الحجة الثامنة: أنه تعالى مدح المؤمنين في الآية المتقدمة بقوله: ﴿ يَحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ ﴾ فإذا حملنا قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ على معنى المحبة والنصرة كان قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ يفيد فائدة قوله: ﴿ يَحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ ﴾، وقوله: ﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا ﴾ يفيد فائدة قوله: ﴿ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ فكانت هذه الآية مطابقة لما قبلها مؤكدة لمعناها فكان ذلك أولى، فثبت بهذه الوجه أن الولاية المذكورة في هذه الآية يجب أن تكون بمعنى النصرة لا بمعنى التصرف.

أما الوجه الذي عوَّلوا عليه وهو أن الولاية المذكورة في الآية غير عامة، والولاية بمعنى النصرة عامة، فجوابه من وجهين:

الأول: لا نسلم أن الولاية المذكورة في الآية غير عامة، ولا نسلم أن كلمة «إنما» للحصر، والدليل عليه قوله: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ولا شك أن الحياة الدنيا لها أمثال أخرى سوى هذا المثل، وقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ ولا شك أن اللعب واللهو قد يحصل في غيرها.

الثاني: لا نسلم أن الولاية بمعنى النصرة عامة في كل المؤمنين وبيانه أنه تعالى قسم المؤمنين قسمين:

أحدهما: الذين جعلهم موليًا عليهم وهم مخاطبون بقوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

الثاني: الأولياء، وهم المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، فإذا فسرنا الولاية ههنا بمعنى النصرة كان المعنى أنه تعالى جعل أحد القسمين أنصارًا للقسم الثاني، ونصرة القسم الثاني غير حالة لجميع المؤمنين ولو كان كذلك لزم في القسم الذي هم المنصورون أن يكونوا ناصرين لأنفسهم، وذلك محال، فثبت أن نصرة أحد قسمي الأمة غير ثابتة لكل الأمة، بل مخصوصة بالقسم الثاني من الأمة، فلم يلزم من كون الولاية المذكورة في هذه الآية خاصة أن لا تكون بمعنى النصرة، وهذا جواب حسن دقيق لا بد من التأمل فيه.

وأما استدلالهم بأن هذه الآية نزلت في حق علي فهو ممنوع، فقد بيَّنا أن أكثر المفسرين زعموا أنه في حق الأمة، والمراد أن الله تعالى أمر المسلم أن لا يتخذ الحبيب والناصر إلا من المسلمين، ومنهم من يقول: إنها نزلت في حقِّ أبي بكر.

وأما استدلالهم بأن الآية مختصة بمن أدى الزكاة في الركوع حال كونه في الركوع، وذلك هو علي بن أبي طالب فنقول: هذا أيضًا ضعيف من وجوه:

الأول: أن الزكاة اسم للواجب لا للمندوب بدليل قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ فلو أنه أدى الزكاة الواجبة في حال كونه في الركوع لكان قد أخر أداء الزكاة الواجب عن أول أوقات الوجوب، وذلك عند أكثر العلماء معصية وأنه لا يجوز إسناده إلى علي عليه السلام، وحمل الزكاة على الصدقة النافلة خلاف الأصل لما بينا أن قوله: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ظاهرة يدل على أن كل ما كان زكاة فهو واجب.

الثاني: وهو أن اللائق بعلي عليه السلام أن يكون مستغرق القلب بذكر الله حال ما يكون في الصلاة، والظاهر أن من كان كذلك فإنه لا يتفرغ لاستماع كلام الغير ولفهمه، ولهذا قال تعالى: ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم

ويتفكرون في خلق السموات والأرض ﴾ ومن كان قلبه مستغرقًا في الفكر كيف يتفرغ لاستماع كلام الغير.

الثالث: أن دفع الخاتم في الصلاة للفقير عمل كثير، واللائق بحال علي عليه السلام أن لا يفعل ذلك.

الرابع: أن المشهور أنه عليه السلام كان فقيرًا ولم يكن له مال تجب الزكاة فيه، ولذلك فإنهم يقولون: إنه لما أعطى ثلاثة أقراص نزل فيه «سورة هل أتى» وذلك لا يمكن إلا إذا كان فقيرًا، فأما من كان له مال تجب فيه الزكاة يمتنع أن يستحق المدح العظيم المذكور في تلك السورة على إعطاء ثلاثة أقراص وإذا لم يكن له مال تجب فيه الزكاة امتنع حمل قوله: ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ عليه.

الوجه الخامس: هب أن المراد بهذه الآية هو علي بن أبي طالب لكنه لا يتم الاستدلال بالآية إذا إذا تم أن المراد بالولي هو المتصرف لا الناصر والمحب وقد سبق الكلام فيه».

ومن ذلك كله يتضح لنا أن آية الولاية لا تدل بأي حال من الأحوال على خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك أمر واضح لكل من نأى بعقله عن كل هوى وعصبية.

وها هو العلَّامة ابن كثير يقول في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾، أي ليس اليهود بأوليائكم، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين. وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي: المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من أقام الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين

من الضعفاء والمساكين.

وأما قوله: ﴿ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ فقد توهَّم بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله: ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى، وحتى أن بعضهم ذكر في هذا أثرًا عن علي بن أبي طالب أن هذه الآية نزلت فيه، وذلك أنه مرَّ به سائل في حال ركوعه فأعطاه خاتمه[1].

وقد بيَّن ابن كثير في تفسيره ضعف الأحاديث التي ذكرت أن آية ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال عن غيره الحديث أنه لا يصح منها شيء بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها[2].

---

(١) ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» طبع عيسى البابي الحلبي (٥/ ٧١).

(٢) ذكر ابن كثير في تفسيره ص٧١ بعض هذه الأحاديث مثل قال عبد الرزاق حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله: {إنما وليكم الله ورسوله} الآية نزلت في علي بن أبي طالب.

وقال: أي ابن كثير: عبد الوهاب بن مجاهد لا يحتج به.

وروى ابن مردويه من طريق سفيان الثوري عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس قال كان علي بن أبي طالب قائمًا يصلي فمرَّ سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت: {إنما وليكم الله ورسوله} الآية.

وقال ابن كثير: الضحاك لم يلق ابن عباس.

وروى ابن مردويه أيضًا من طريق محمد بن السائل الكلبي وهو متروك عن أبي صالح عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد والناس يصلون بين راكع وساجد وقائم وقاعد وإذا مسكين يسأل فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

وإنني أتساءل كيف لسائل يذهب ليسأل مصل الزكاة ليشغله عن الصلاة ولو صحَّ ذلك الأمر أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، لوجَّه السائل إلى كراهية سؤال المصلي حتى لا يشغله عن مناجاة ربه في صلاته.

وأتساءل أيضًا إذا كان لفظ «إنما» في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ الآية، يفيد تخصيص الإمامة بعلي كما تدعي الشيعة، فإن هذا التخصيص الذي يدعونه يخرج الحسن والحسين رضي الله عنهما من الإمامة، بل يخرج أيضًا باقي الأئمة الاثنا عشرية من الإمامة لتخصيص علي رضي الله عنه بها كما تزعم الشيعة فهل يعي الرافضة ذلك.

وهناك أمر آخر على جانب كبير من الأهمية وهو أنى أشك شكًّا قويًّا في مسألة خاتم علي ذلك أن معظم الصحابة لم يكن يلبسون الخاتم في عصر النبوة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له خاتم حتى كتب رسالته الشهيرة إلى كسرى يدعوه فيها إلى الإسلام ولما قالوا له: إن الملوك لا يقبلون الرسائل إلا إذا كانت ممهورة بخاتم صاحبها، اتخذ صلوات ربي وسلامه عليه خاتمًا من ورق نقش في الخاتم: محمد رسول الله.

«أعطاك أحد شيئًا؟» قال: نعم، قال: «من؟» قال: "ذلك الرجل القائم، قال: «على أي حال أعطاكه؟» قال: وهو راكع، قال: «ذلك علي بن أبي طالب» قال: فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وهو يقول: {ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون} وهذا إسناد لا يقدح به، ثم رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه وعمار بن ياسر وأبي رافع وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها.

الدليل الرابع:

آية التبليغ وهي قول الله تعالى: ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾[المائدة: ٦٧]

يقول علَّامة الشيعة ابن المطهر الحلي[١] «اتفقوا على نزولها في علي وروى أبو نعيم الحافظ -من الجمهور- بإسناده عن عطية قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي بن أبي طالب، ومن تفسير الثعلبي قال: معناه: بلغ ما أنزل إليك من ربك في فضل علي، فلما نزلته هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد علي، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، والنبي صلى الله عليه وسلم مولى أبي بكر وعمر وباقي الصحابة بالإجماع، فيكون علي مولاهم، فيكون هو الإمام»[٢].

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٧/ ٣١، ٣٢).

(٢) ذكر مفسر الشيعة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في تفسير التبيان في تفسير القرآن (٣/ ٥٨٧، ٥٨٨) طبعة النجف ١٣٨٣هـ أنه قيل في أسباب نزول هذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: قال محمد بن كعب القرظي، وغيره، أن أعرابيًّا هم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم فسقط السيف من يده وجعل يضرب رأسه شجرة حتى انتثر دماغه.

الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهاب قريشًا، فأزال الله عز وجل بالآية تلك الهيبة، وقيل: كان للنبي صلى الله عليه وسلم حراس بين أصحابه، فلما نزلت الآية قال: الحقوا بملاحقكم، فإن الله عصمني من الناس.

الثالث: قالت عائشة: إن المراد إزالة التوهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا من الوحي للتقية.

الرابع: قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: إن الله تعالى لما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستخلف عليًّا كان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعًا له على القيام بما أمره بأدائه، ولم يرجح الطوسي أي الأقوال وإن كان

الرجل يستشم من عرضه لهذه الآراء أن يميل إلى القول الرابع لأن مصدره الإمامان «أبو جعفر» و «أبو عبد الله» رضي الله عنهما وهما قطبا الشيعة الإمامية ويقول الفخر الرازي في تفسيره: (١٢/ ٤٩، ٥٠) طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

ذكر المفسرون في سبب نزول الآية وجوهًا:

الأول: أنها نزلت في قصة الرجم والقصاص على ما تقدم في قصة اليهود.

الثاني: نزلت في عيب اليهود واستهزائهم بالدين والنبي سكت عنهم، فنزلت هذه الآية.

الثالث: لما نزلت آية التخيير، وهو قوله: {يا أيها النبي قل لأزواجك} فلم يعرضها عليهن خوفًا من اختيارهن الدنيا فنزلت.

الرابع: نزلت في أمر زيد وزينب بنت جحش قالت عائشة رضي الله عنها: من زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا عن الوحي فقد أعظم الفرية على الله، والله تعالى يقول: {يا أيها الرسول بلغ} ولو كتم رسولالله شيئًا من الوحي لكتم قوله: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه}.

الخامس: نزلت في الجهاد فإن المنافقين كانوا يكرهونه، فكان يمسك أحيانًا عن حثهم على الجهاد.

السادس: لما نزلت قوله تعالى: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم} سكت الرسول عن عيب آلهتهم فنزلت هذه الآية وقال: (بلغ) يعني معايب آلهتهم ولا تخفها عنهم والله يعصمك منهم.

السابع: نزلت في حقوق المسلمين، وذلك لأنه قال في حجة الوداع لما بين الشرائع والمناسك «هل بلغت» قالوا: نعم، قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم فاشهد».

الثامن: روى أنه صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة في بعض أسفاره وعلق سيفه عليها، فأتاه أعرابي وهو نام فأخذ سيفه واخترطه، وقال: يا محمد، من يمنعك مني؟ فقال: «الله» فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، فأنزل الله هذه الآية وبين أنه يعصمه من الناس.

التاسع: كان يهاب قريشًا واليهود والنصارى فأزال الله عن قلبه تلك الهيبة بهذه الآية.

العاشر: نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده

وإن قول علماء الشيعة بأن آية التبليغ نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه قولًا لا أساس له من الصحة وما اعتمدوا عليه من أحاديث في هذا الشأن يعد من الموضوعات والمكذوبات على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن معنى الآية واضح فقول الله تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصكم من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾[المائدة: ٦٧].

فهذا كما يقول الطبري في تفسيره «أمر من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله

وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فلقيه عمر رضي الله عنه، فقال: هنيئًا لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي.

واعلم أن هذه الروايات وإن كثرت إلا أن الأولى حمله على أنه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم، وذلك لأن ما قبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير لما كان كلامًا مع اليهود والنصارى امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة في البين على وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها.

وفي قوله: {والله يعصمك من الناس} سؤال، وهو أنه كيف يجمع بين ذلك وبين ما روي أنه عليه الصلاة والسلام شج وجهه يوم أُحد وكُسرت رباعيته؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن المراد يعصمه من القتل، وفيه التنبيه على أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء، فما أشد تكليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وثانيها: إنها نزلت بعد يوم أُحد، واعلم أن المراد من «الناس» ههنا الكفار، بدليل قوله تعالى: {إن الله لا يهدي القوم الكافرين}، ومعناه أنه تعال لا يمكنهم مما يريدون، وعن أنس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسه بعد سعد وحذيفة حتى نزلت هذه الآية، فأخرج رأسه من قبة آدم، وقال: انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس.

عليه وسلم بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قصَّ الله تعالى قصصهم في هذه السورة، وذكر فيها معايبهم، وخبث أديانهم، واجتراءهم على ربهم، وتوثبهم على أنبيائهم وتبديلهم كتابه: وتحريفهم إياه، ورداءة مطاعمهم ومآكلهم وسائر المشركين غيرهم، ما أنزل عليه فيهم من معايبهم، والإزراء عليهم والتقصير بهم، والتهجن لهم، وما أمرهم به، ونهاهم عنه، وأن لا يشعر نفسه حذرًا منهم أن يصيبه في نفسه مكروه، ما قام فيهم بأمر الله، ولا جزعًا من كثرة عددهم، وقلة عدد من معه، وأن لا يتلقى أحدًا في ذات الله، فإن الله تعالى كافيه كل أحد من خلقه، ودافع عنه مكروه كل من يتقي مكروهه، وأعلمه تعالى ذكره، أنه إن قصر في إبلاغ شيء مما أنزل إليه إليهم فهو في تركه تبليغ ذلك، وإن قل ما لم يبلغ منه، فهو في عظيم ما ركب بذلك الذنب بمنزلته، لو لم يبلغ من تنزيله شيئًا»[1].

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن (٦/ ٣٠٧)، ط ثالثة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

وقال الطبري بعد شرحه للآية: «وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل»

ذكر من قال ذلك: حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي بن أبي طلحه عن ابن عباس، قوله: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته}، يعني: إن كتمت آية مما أنزل عليك من ربك لم تبلغ رسالتي.

حدثنا بشر بن معاذ، قالك ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك..} الآية، أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسم أنه سيكفيه والناس ويعصمه منهم، وأمر بالبلاغ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، قيل له: لو احتجبت، فقال: «والله لأبدين عقب للناس ما صاحبتهم» حدثني الحارث بن محمد، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان الثوري، عن رجل، عن مجاهد، قال: لما نزلت: {بلغ ما أنزل إليك من ربك} قال: إنما أنا واحد كيف أصنع، تجتمع على الناس، فنزلت: {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته}.. الآية.

حدثنا هنا وابن وكيع، قالا: ثنا جرير، عن ثعلبة، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحرسوني إن ربي قد عصمني».

حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع، قالا: ثنا ابن علية، عن الجريري، عن عبد الله بن شقيق: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعقبه ناس من أصحابه، فلما نزلت {والله يعصمك من الناس} خرج فقال: «يا أيها الناس الحقوا بملاحقكم، فإن الله قد عصمني من الناس».

حدثنا هناد، قال ثنا وكيع، أن عاصم بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحارسه أصحابه، فأنزل الله: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} .. إلى آخرها».

حدثني المثنى قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال ثنا الحارث بن عبيدة أبو قدامة الإيادي، قال: ثنا سعيد الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة: قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس، حتى نزلت هذه الآية: {والله يعصمك من الناس} قالت: فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة، فقال: أيها الناس، انصرفوا، فإن الله قد عصمني».

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن القرظي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال يحرس حتى أنزل الله: {والله يعصمك من الناس}.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت بسبب أعرابي كان همَّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفاه الله إياه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، وغيره، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلًا اختار له أصحابه شجرة ظليلة، فيقيل تحتها، فأتاه أعرابي، فاخترط سيفه، ثم قال: ممن يمنعك مني؟ قال: الله، فرعدت يد الأعرابي، وسقط السيف منه: قال: وضرب برأسه الشجرة، حتى انتثر دماغه، فأنزل الله: {والله يعصمك من الناس}.

وقال آخرون: بل نزلت لأنه كان يخاف قريشًا فأومن من ذلك.

ويقول القرطبي في تفسيره[1]، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يهاب قريشًا فلما نزلت: {والله يعصمك من الناس} استلقى ثم قال: من شاء فليخذلني، مرتين وثلاثًا».

حدثنا هناد قال: ثنا وكيع، عن أبي خالد، عن عامر، عن مسروق، قال: قالت عائشة: من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا من الوحي فقد كذب، ثم قرأت {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك...} الآية.

حدثنا ابن حميد: قال: ثنا جرير، عن المغيرة، عن الشعبي، قال: قالت: عائشة، من قال: إن محمدًا صلى الله عليه وسلم كتم فقد كذب، وأعظم الفرية على الله، قال الله: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك..} الآية.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق قال: قالتك عائشة، من زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...} الآية.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا الليث، قال: ثني خالد عن سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن الحميم عن مسروق بن الأجدع، قال: دخلت على عائشة، يومًا، فسمعتها تقول: لقد أعظم الفرية من قال: إن محمدًا كتم شيئًا من الوحي، والله يقول: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك}.

ويعني بقوله: {والله يعصمك من الناس}: يمنعك من أن ينالوك بسوء، وأصله من عصام القربة، وهو ما توكأ به من سير وخيط، ومنه قول الشاعر:

وقلت عليكم مالكًا وإن مالكًا ... سيعصمكم إن كان في الناس عاصم

يعني: يمنعكم الطبري: (ص٣٠٧، ٣٠٩)».

(١) القرطبي: «أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري» الجامع لأحكام القرآن الكريم (٦/ ٢٤٢

رَّبِّكَ ۖ وَإِن ﴾ قيل: معناه أظهر التبليغ؛ لأنه كان في أول الإسلام يخفيه خوفًا من المشركين ثم أمره بإظهاره في هذه الآية، وأعلمه الله أنه يعصمه من الناس، وكان عمر رضي الله عنه أول من أظهر إسلامه، وقال: لا نعبد الله سرًّا؛ وفي ذلك نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ فدلت الآية على رد قول من قال: إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كتب شيئًا من أمر الدين تقية، وعلى بطلانه، وهم الرافضة، ودلت على أنه صلى الله عليه وسلم لم يسر إلى أحد شيئًا من أمر الدين؛ لأن المعنى بلغ جميع ما أنزل إليه ظاهرًا، ولولا هذا ما كان في قوله عز وجل: ﴿ لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ ﴾، قال ابن عباس: المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئًا منه فما بلغت رسالته، وهذا تأديب للنبي صلى الله عليه وسلم، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئًا من أمر شريعته وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئًا من وحيه؛ وفي صحيح مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت: من حدَّثك أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا من الوحي فقد كذب؛ والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ ﴾ وقبَّح الله الروافض، حيث قالوا: إنه صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا مما أوحى الله إليه كان بالناس حاجة إليه.

قوله تعالى: ﴿ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ﴾ دليل على نبوته؛ لأن الله عز وجل أخبر أنه معصوم، ومن ضمن سبحانه له العصمة فلا يجوز أن يكون قد ترك شيئًا مما أمره الله به.

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره آية التبليغ[1] يقول الله تعالى مخاطبًا عبده

---

٢٤٣)، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٦٥م.

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٧٧-٧٩).

ورسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة وآمرًا له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال له: إن ناسًا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئًا لم يبده رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقال ابن عباس: ألم تعلم أن الله تعالى يقول: ﴿ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن ﴾ والله ما ورثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء في بيضاء وهذا إسناد جيد هكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوداني، قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن فقال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يعطيه الله رجلًا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت: وما في هذه الصحيفة، قال: العقل، وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر.

وقال البخاري رضي الله عنه، قال الزهري: من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم، وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هنا من أصحابه نحو من أربعين ألفًا كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذٍ: «أيها الناس، إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول: «اللهم هل بلغت؟» قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا فضيل يعين ابن غزوان عن عكرمة عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «يا أيها الناس، أي يوم هذا قالوا: يوم

حرام، قال: أي بلد ها؟ قالوا: بلد حرام، قال: فأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: فإن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومك هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا» ثم أعادها مرارًا ثم رفع أصبعه إلى السماء، فقال: «اللهم هل بلغت» مرارًا، قال: يقول ابن عباس: والله لوصية إلى ربه عز وجل ثم قال: «ألا فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»، وقد روى البخاري عن علي بن المديني عن يحيى بن سعيد عن فضيل بن غزوان به نحوه، وقوله تعالى: ﴿ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ ﴾ يعني وإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلتك به فما بلغت رسالته أي وقد علم ما يترتب على ذلك لو وقع، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ ﴾ يعني إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته قال: ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد قال لما نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن ﴾ قال: يا رب، كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعن عليَّ فنزلت: ﴿ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ ﴾، ورواه ابن جرير من طريق سفيان وهو الثوري به، وقوله تعالى: ﴿ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ﴾ أي بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائكم ومظفرك بهم فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية يحرس كما قال الإمام أحمد، حدثنا يزيد حدثنا يحيى قال: سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يُحدِّث أن عائشة رضي الله عنها كانت تتحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه قالت: فقلت: ما شأنك يا رسول الله، قال: «ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة» قالت: فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح، فقال: «مَنْ هذا؟» فقال: أن سعد بن مالك، فقال: «ما جاء بك؟» قال: جئت لأحرسك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فسمعت غطيط

رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه آخرجاه في الصحيحين من طريق يحيىٰ بن سعيد بن الأنصاري به.

ومن عصمة الله لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحُسَّادِها ومعانديها ومترفيها من شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلًا ونهارًا بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب إذ كان رئيسًا مُطاعًا كبيرًا في قريش وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا شرعية ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذىٰ يشيرًا ثم قيَّض الله له الأنصار فبايعوه علىٰ الإسلام وعلىٰ أن يتحول إلىٰ دارهم وهي المدينة فلما صار إليها منعوه من الأحمر والأسود وكلما هَمَّ أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سَمَّه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه الله به وحماه منه ولهذا أشباه كثيرة جدًّا يطول ذكرها، فمن ذلك ما ذكره المفسرون عند هذه الآية الكريمة.

وذكر الألوسي في تفسيره زعم الشيعة في قولهم بأن المراد: ﴿ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ خلافة علي رضي الله عنه[1]، «فقد رووا بأسانيدهم عن أبي جعفر، وأبي عبد الله رضي الله عنهما أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستخلف عليًّا كرم الله تعالىٰ وجهه، فكان يخاف أن يشق ذلك علىٰ جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية تشجيعًا له عليه الصلاة والسلام بما أمره بأدائه».

(١) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٩٢).

وأصل رواية الغدير كما يقول الألوسي[1] «إن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في مكان بين مكة والمدينة عند مرجعه من حجة الوداع قريب من الجحفة يقال له: غدير خم، فبين فيها فضل علي كرم الله تعالى وجهه وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن بسبب ما كان صدر منه من المعدلة التي ظنها بعضهم جُورًا تضييقًا وبخلًا، والحق مع علي كرم الله تعالى وجهه في ذلك، وكانت يوم الأحد ثامن عشر ذي الحجة تحت شجرة هناك».

فروى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبد الله عن يزيد بن طلحة قال: لما أقبل علي كرَّم الله تعالى وجهه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة تعجَّل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على جنده الذين معه رجلًا من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل حِلة من البز الذي كان مع علي كرَّم الله تعالى وجهه، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجموا به إذا قدموا في الناس. قال: ويلك انتزع قبل أن ننتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى عليه وسلم، قال: فانتزع الحلل من الناس فردها في البز، وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم.

وأخرج عن زينب بنت كعب – وكانت عند أبي سعيد الخدري – عن أبي سعيد قال: اشتكى الناس عليًّا كرَّم الله تعالى وجهه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبًا فسمعته يقول: أيها الناس، لا تشكو عليًّا فوالله إنه لأخشن في ذلك لله تعالى –أو في سبيل الله تعالى– ورواه الإمام أحمد، وروى أيضًا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن بريد الأسلمي قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرتُ عليًّا كرَّم الله تعالى وجهه، فرأيت

(١) المرجع السابق ص١٩٤.

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تغيَّر، فقال بريدة: ألست أولى بالمؤمنينَ من أنفسهم. قلت: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وكذا رواه النسائي بإسناد جيد قوي رجاله كلهم ثقات روى بإسناد آخر تفرد به، وقال الذهبي: إنه صحيح عن زيد بن أرقم، قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خُم أمر بدوحات فغممن، ثم قال: «كأني قد دعيت فأجبت أني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض، الله تعالى مولاي وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي كرَّم الله تعالى وجهه ، فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه».

وروى ابن جرير عن علي بن زيد، وأبي هارون العبيدي، وموسى بن عثمان عن البراء، قال: كُنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فلما أتينا على غدير خم كسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى عليه وسلم تحت شجرتين ونُودي في الناس الصلاة جامعة، ودعا رسول لله صلى الله عليه وسلم عليًّا كرَّم الله تعالى وجهه، وأخذ بيده وأقامه عن يمينه، فقال: ألست أولى بكل امرئ من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا مولى من أنا مولاه «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فلقيه عمر بن الخطاب فقال رضي الله تعالى عنه: هنيئًا لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة –وهذا ضعيف– فقد نصوا أن علي بن زيد، وأبا هارون وموسى ضعفاء لا يعتمد على روايتهم، وفي السند أيضًا –أبو إسحاق– وهو شيعي مردود الرواية.

وروى ضمرة بإسناده عن أبي هريرة قال: لما أخذ رسول الله صلى الله عليه

وسلم يد علي كرَّم الله تعالى وجهه قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، فأنزل الله تعالى: ﴿ اليوم أكلمت لكم دينكم ﴾» ثم قال أبو هريرة: وهو يوم غدير خم، ومن صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب الله تعالى له صيام ستين شهرًا، وهو حديث منكر جدًّا، ونص في البداية والنهاية على أنه موضوع، وقد اعتنى بحديث الغدير أبو جعفر بن جرير الطبري فجمع فيه مجلدين أورد فيهما سائر طرقه وألفاظه، وساق الغث والسمين، والصحيح والسقيم ما جرت به عادة كثير من المحدثين، فإنهم يوردون ما وقع لهم في الباب من غير تمييز بين صحيح وضعيف، وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة، والمعول عليه فيها ما أشرنا إليه ونحوه، مما ليس فيه خبر الاستخلاف كما يزعمه الشيعة، وعن الذهبي أن من كنت مولاه متواتر بتيقن أن رسول الله تعالى عليه وسلم قاله، وأما اللهم وال من والاه، فزيادة قوية الإسناد، وأما صيام ثماني عشرة ذي الحجة فليس بصحيح -ولا والله نزلت تلك الآية إلا يوم عرفة قبل غدير خم بأيام.

والشيخان لم يرويا خبر الغدير في صحيحيهما لعدم وجدانهما له على شرطهما، وزعمت الشيعة أن ذلك لقصور وعصبية فيهما وحاشاهما من ذلك.

ويؤكد الألوسي على تهافت دعوى الشيعة في أن الآية خاصة بعلي رضي الله عنه فيقول[1]: «وما يبعد دعوى الشيعة من أن الآية نزلت في خصوص خلافة علي كرَّم الله تعالى وجهه، وأن الموصول فيها خاص قوله تعالى: ﴿ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ﴾ فإن الناس فيه وإن كان عامًّا إلا أن المراد بهم الكفار، ويهديك إليه ﴿ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ فإنه في موضع التعليل لعصمته عليه الصلاة والسلام، وفيه

(١) المرجع السابق ص١٩٧.

إقامة الظاهر مقام المضمر أي لأن الله تعالى لا يهديهم إلى أمنيتهم فيك، ومتى كان المراد بهم الكفار بعد إرادة الخلافة، بل لو قيل: لم تصح لم يبعد؛ لأن التخوف الذي تزعمه الشيعة منه صلى الله عليه وسلم وحشاه في تبليغ أمر الخلافة – إنما هو من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، حيث إن فيهم –معاذ الله تعالى– من يطمع فيها لنفسه، ومتى رأى حرمانه منها لم يبعد منه قصد الإضرار برسول الله صلى الله عليه وسلم، والتزام القول –والعياذ بالله عز وجل– بكفر من عرضوا بنسبة الطمع في الخلافة إليه، مما يلزمه محاذير كلية أهونها تفسيق الأمير كرَّم الله تعالى وجهه وهو هو، أو نسبة الجبن إليه – وهو أسد الله تعالى الغالب – أو الحكم عليه بالتقية– وهو الذي لا تأخذه في الله تعالى لومة لائم.

ولا يخشى إلا الله سبحانه، أو نسبة فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، بل الأمر الإلهي إلى العبث والكل كما ترى، لا يقال: إن عندنا أمرين يدلان على أن المراد بالموصول الخلافة، أحدهما، أنه صلى الله عليه وسلم كان مأمورًا بأبلغ عبارة تبليغ الأحكام الشرعية التي يؤمر بها حيث قال سبحانه مخاطبًا له عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فلو لم يكن المراد هنا فرد هو أهم الأفراد وأعظمها شأنًا – وليس ذلك إلا الخلافة إذ بها ينتظم أمر الدين والدنيا– لخلا الكلام عن الفائدة، وثانيهما أن ابن إسحاق ذكر في سيرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع خطبته التي بين فيها ما بين، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألنكم عن أعمالكم، وقد بلغت، ثم أوصى صلى الله عليه وسلم، ثم قال عليه الصلاة والسلام: فاعقلوا قولي فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم– إلى أن قال: بأبي هو

وأمي صلى الله عليه وسلم – الله هل بلغت؟ قال ابن إسحاق: فذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أشده.

فإن هذه الرواية ظاهرة في أن الخطبة كانت يوم عرفة يوم الحجة الأكبر – كما في رواية يحيى بن عباد بن عبد الله الزبير – ويوم الغدير كان اليوم الثامن عشر من ذي الحجة بعد أن فرغ صلى الله عليه وسلم من شأن المناسك وتوجَّه إلى المدينة المنورة، وحينئذٍ يكون المأمور بتبليغه أمرًا آخر غير ما بلغه صلى الله عليه وسلم» انتهى.

ونستطيع أن نخلص بنتيجة هامة من خلال هذه التفاسير وهي أن دعوى الشيعة أن آية التبليغ نزلت في علي رضي الله عنه دعوى غير صحيحة على الإطلاق لسبب واحد أجمع عليه معظم المفسرين وهو أن آية التبليغ نزلت يوم عرفة، وليست يوم الغدير كما تدعي الشيعة.

الدليل الخامس:

من القرآن الكريم قول الله تعالى في سورة الرعد: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[الرعد: ٧].

قال ابن مُطهَّر الحلي الشيعي في منهاج الكرامة أن الديلمي[١] صاحب كتاب «الفردوس»[٢] ذكر حديثًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى

(١) الديلمي: هو أبو شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمي (٤٤٥–٥٠٩هـ) صحاب كتاب «فردوس الأخيار» في الحديث.

(٢) يقصد «فردوس الأخيار».

الله عليه وسلم: أنا المنذر، وعلي الهادي بك يا علي يهتدي المهتدون» وهذا الحديث عند الشيعة فيه دلالة واضحة على إمامة علي وخلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والحقيقة أن كتاب «فردوس الأخيار» للديلمي الهمزاني مليء بالموضوعات والأحاديث الضعيفة وهذا الحديث من أكبر الموضوعات على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر الإمام الطبري هذا الحديث في تفسيره[1] فقال: «حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي قال: حدثنا الحسن بن الحسين الأنصاري قال: حدثنا معاذ بن مسلم بياع الهروي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾، وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره، فقال: أنا المنذر ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ وأومأ بيده على منكب علي، فقال: «أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المتهدون بعدي».

وقد ترجم العلَّامة محمود شاكر رجال هذا الحديث الموضوع وبين أن من رجاله من هو ليس بثقة وليس بصدوق فأشار مثلًا إلى «الحسن بن الحسين الأنصاري العرني»، فقال عنه: كان من رؤساء الشيعة، ليس بصدوق، ولا تقوم به حجة.

وقال ابن حبان: «يأتي عن الأثبات بالملزقات، ويروى المقلوبات والمناكير».

---

(١) الطبري «أبي جعفر محمد بن جرير الطبري» (ت عام ٣١٠هـ) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (١٦/ ٣٥٧)، تحقيق العلَّامة محمود محمد شاكر، ومراجعة العلَّامة أحمد محمد شاكر طبعة دار المعارف القاهرة.

ومعاذ بن مسلم مجهول، هكذا قال ابن أبي حاتم، وهذا خبر هالك من نواحيه[١]».

والحقيقة أن تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[٢].

---

(١) الطبري: المرجع السابق هامش ص٣٥٧.

(٢) يقول الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية (٢/ ٥٠١، ٥٠٢)، قول الله تعالى: {إنما أنت منذر} أي إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التي أمرك بها {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} وقوله: {ولكل قوم هاد}، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لكل قوم داع، وقال العوفي عن ابن عباس في الآية يقول الله تعالى: أنت يا محمد منذر وأنا هادي كل قوم، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغير واحد، وعن مجاهد {ولكل قوم هاد} أي نبي كقوله: {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير}، وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد، وقال أبو صالح ويحيى بن رافع: {ولكل قوم هاد} قالا هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال مالك: {ولكل قوم هاد} يدعوهم إلى الله عز وجل وقال أبو جعفر بن جرير حدثني أحمد بن يحيى الصوفي حدثنا الحسن بن الحسين الأنصاري حدثنا معاذ بن سلم حدثنا الهروي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت: {إنما أنت منذر ولكل قوم هاد} قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال: «أنا المنذر ولكل قوم هاد» وأومأ بيده إلى منكب علي فقال: «أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي» وهذا الحديث فيه نكارة شديدة، وذكر الألوسي في تفسيره روح المعاني (١٣/ ١٠٨)، مدى ضعف حديث «يا علي، بك يهتدي المتهدون من بعدي» فقال: «أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط، والحاكم وصححه، وابن عساكر أيضًا عن علي بن أبي طالب أنه قال في الآية: رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر وأنا الهادي » وفي لفظ: الهادي رجل من بني هاشم، يعني نفسه.

واستدل بذلك الشيعة على خلافة علي كرَّم الله تعالى وجهه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا فصل، وأجيب –أي الألوسي– بأنا لا نسلم صحة الخبر، وتصحيح الحاكم محكوم عليه بعدم الاعتبار عند أهل الأثر، وليس في الآية دلالة على ما تضمنه بوجه من الوجوه،

بأنه على تفسير يحتاج إلى نظر كبير، وهو غير صحيح على الإطلاق.

فهذا يعني أن عليًّا رضي الله عنه هاديًا لكل قوم من السابقين واللاحقين وهذا غير مقبول عقلًا أو نصًّا.

فالآية معناه ببساطة شديدة ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾ أي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ أي معجزة حسية كمعجزات الأنبياء السابقين الناقة، وإحياء الموتى بإذن الله، وإبراء الأكمه، والأبرص، والعصا واليد، قال عز من قائل: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ أي: يا محمد، وليس لك الإتيان

على أن قصارى ما فيه كونه كرَّم الله تعالى وجهه به يهتدي المهتدون بعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لا يستدع إلا إثبات مرتبة الإرشاد وه وأمر والخلافة التي نقول بها أمر لا تلازم بينهما عندنا، وقال بعضهم: إن صحَّ الخبر يلزم القول بصحة خلافة الثلاثة رضي الله تعالى عنهم، حيث دل على أنه كرَّم الله تعالى وجهه على الحق فيما يأتي ويذر وأنه الذي يهتدي به، وهو قد بايع أولئك الخلفاء طوعًا ومدحهم وأثنى عليهم خيرًا ولم يطعن في خلافتهم فينبغي الاقتداء به والجري على سننه في ذلك ودون إثبات خلاف ما أظهر خرط القتاد.

وقال أبو حيان: إنه صلى الله عليه وسلم على فرض صحة الرواية إنما جعل عليًّا كرَّم الله تعالى وجهه مثالًا من علماء الأمة وهداتها إلى الدين فكأنه عليه الصلاة والسلام، قال: يا علي، هذا وصفك فيدخل الخلفاء الثلاث وسائر علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم بل وسائر علماء الأمة، وعليه فيكون معنى الآية إنما أنت منذر ولكل قوم في القديم والحديث ما شاء الله تعالى هداة ودعاة إلى الخير، اهـ.

قال الألوسي وظاهره أنه لم يحمل تقديم المعمول في خبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على الحصر الحقيقي وحينئذ لا مانع من القول بكثرة من يهتدي به، ويؤيد عدم الحصر ما جاء عندنا من قوله صلى الله عليه وسلم: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر» وأخبار أخر متضمنة لإثبات من يهتدي به غير علي كرَّم الله تعالى وجهه.

بالمعجزات والآيات فهذا شأن الله تعالى وحده ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أي رسول يدعوهم إلى الإيمان بدعوة الله تعالى بما يهبه من المعجزات النيرات لا بما يطلبون ويسألون.

وعلى فرض المستحيل وهو صحة الحديث الذي ذكره الديلمي، والثعلبي عند نزول آية الرعد فإنه على تقدير الصحة فلا دلالة لهذه الآية على إمامة علي رضي الله عنه ونفيها عن غيره أصلًا؛ لأن كون رجل «هاديًا» لا يستلزم أن يكون «إمامًا» ولا نفي الهداية عن الغير، وإن دل بمجرد الهداية على الإمامة المصطلحة لأهل السُّنَّة وهي بمعنى القدوة في الدين مراده، وهو غير محل النزاع، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾[السجدة: ٢٤]. وقال: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[آل عمران: ١٠٤]. إلى غير ذلك[1].

الدليل السادس

آية المباهلة، قول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾[آل عمران: ٦١].

يقول ابن مطهر الحلي الشيعي في منهاج الكرامة: «نقل الجمهور كافة «أن أبناءنا» إشارة إلى الحسن والحسين، ونساءنا إشارة إلى فاطمة، وأنفسنا إشارة إلى علي، وهذه الآية دليل على ثبوت الإمامة لعلي لأنه تعالى قد جعل نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاتحاد محال، فيبقى المراد بالمساواة له الولاية، وأيضًا لو كان غير هؤلاء مساويًا لهم وأفضل منهم في استجابة الدعاء، لأمره تعالى بأخذه معه لأنه

(١) شاه الدهلوي: مختصر التحفة الاثنا عشرية ص١٧٧.

في موضع الحاجة، وإذا كانوا هم الأفضل تعينت الإمامة فيهمن وهل تخفى دلالة هذه الآية على المطلوب إلا على من استحوذ الشيطان عليه، وأخذ بمجامع قلبه، وحببت إليه الدنيا التي لا يناله إلا بمنع أهل الحق من حقهم».

والحديث صحيح في سبب نزول آية المباهلة في سورة آل عمران ذكره مسلم في صحيحه في باب من فضائل علي[1].

لكن المباهلة لا تكون إلا بذوي قربى المباهل، فالإنسان يباهل بأبنائه ونسائه وأقرب الناس إليه لا بأصحابه ومعارفه.

يقول الإمام ابن تيمية: «وكونه [أي علي رضي الله عنه] تعين للمباهلة إذ ليس في الأقارب من يقوم مقامه، لا يوجب أن يكون مساويًا للنبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الأشياء، بل ولا أن يكون أفضل من سائر الصحابة مطلقًا، بل له بالمباهلة نوع فضيلة، وهي مشتركة بينه وبين فاطمة وحسن وحسين، ليست من خصائص الإمامة، فإن خصائص الإمامة، لا تثبت للنساء، ولا يقتضي أن يكون من باهل به أفضل من جميع الصحابة، كما لم يوجب أن تكون فاطمة وحسن وحسين أفض من جميع الصحابة ... وإن قوله: «نساءنا» لا يختص بفاطمة، بل من دعاه من بناته كانت بمنزلتها في ذلك، لكن لم يكن عنده إذ ذاك إلا فاطمة، فإن رقية وأم كلثوم وزينب كم قد توفين قبل ذلك.

فكذلك «أنفسنا» ليس مختصًا بعلي بل هذه صيغة جمع كما أن «نساءنا» صيغة جمع وكذلك «أبناءنا» صيغة جمع، وإنما دعا «حسنًا» و «حسينًا» لأنه لم يكن مما ينسب إليه بالبنوة سواهما، فإن إبراهيم إن كان موجودًا إذ ذاك فهو طفل لا يدعي

(١) مسلم (٤/ ١٨٧١).

فقد عاش بضعة عشر شهرًا ومات»[١].

ومن ذلك كله نلاحظ أن استدلالهم بآية المباهلة استدلال عقيم لا يصح، فوقت المباهلة لم يكن له صلى الله عليه وسلم باقيًا من البنات حيًّا سوى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وكان صلى الله عليه وسلم يقول عن الحسن «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين ولأنهم أقرب الناس إليه أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدهم فاطمة وعلي وحسن وحسين ليباهل بهم»[٢].

ولا نستطيع أبدًا أن نساوي بين نفس علي رضي الله عنه ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعض الشيعة يرى أن المراد بـ «أنفسنا» علي رضي الله عنه، الصحيح أنها نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول شاه الدهلوي[٣]: «ما قاله علماء الشيعة في إبطاله «أن الشخص لا يدعو نفسه».

فكلام مُسْتَهجن، إذ قد شاع وذاع في العُرف القديم والجديد أن يقال دعته نفسه إلى كذا، ودعوت نفسي إلى كذا ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ وأمرت نفسي، وشاورت نفسي إلى غير ذلك من الاستعمالات الصحيحة الواقعة في كلام البلغاء، فكان معنى «ندع أنفسنا» نحضر أنفسنا، وأيضًا لو قررنا عليًّا رضي الله عنه من قبل النبي لمصداق «أنفسنا» فمن نقرره من قبل الكفار لمصداق «أنفسكم» في

---

(١) ابن تيمية: المنهاج (٧/ ١٢٦، ١٢٩) باختصار.

(٢) البخاري: (٣/ ١٨٦)، باب: «قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما إن ابني هذا سيد».

(٣) شاه الدهلوي: مختصر التحفة الاثنا عشرية ص١٧٥، ١٧٦ باختصار.

أنفس الكفار مع أنهم مشتركون في صيغة «ندعو» ولا معنى لدعوة النبي إيّاهم وأبناءهم بعد قوله: «تعالوا».

الأمر الثاني: إنه لو كان المراد مساواته في جميع الصفات يلزم اشتراكه في خصائص النبوة وغيرها من الأحكام الخاصة به، وهو باطل بالإجماع؛ لأن التابع دون المتبوع.

وأيضًا لو كانت الآية دليلًا لإمامته لزم كون علي إمامًا في زمنه صلى الله عليه وسلم وهو باطل بالاتفاق، وإن قيَّدوا بوقت دون وقت فالتقييد لا دليل عليه في اللفظ فلا يكون مفيدًا للمدعي، إذ هو غير متنازع فيه لأن أهل السنة يثبتون إمامة علي رضي الله عنه في وقت دون وقت فلم يكن هذا الدليل قائمًا في محل النزاع أيضًا، وبهذا بطل استدلالهم بآية المباهلة.

من هذا يتضح لنا أن استدلاله بآية المباهلة استدلال غير صحيح فالآية الكريمة ما تبرزه وتوضحه بيان فضل أصحاب الكساء رضي الله عنهم.

يقول صاحب الكشاف في تفسيره لهذه الآية: «فإن قلت: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه، وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه، فما معنى ضم الأبناء والنساء، قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب

ويسمون الزادة عنهم بأرواحهم حماة الحقائق، وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام»[1].

الحقيقة إننا حين نجعل عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه مساويًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نكون قد أضفينا على علي بن أبي طالب مقام النبوة وفي ذلك تطاول على هذا المقام العظيم، وهذا غلو في الدين لا يرتضيه أهل الصدق والإيمان، وأهل الإسلام ذلك الدين السمح الحنيف.

وليس في الآية -بعد ذلك- دليل أو نص على إمامة علي أو خلافته كما يدعي الشيعة أو يزعمون.

الدليل السابع:

آية سورة الشورى ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[2] [الشورى: ٣٢]

يقول ابن المطهر الحلي: «روى أحمد بن حنبل في مسنده عن ابن عباس قال: لما

---

(١) الزمخشري: «أبو القاسم جار الله محمود بن عمر» الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: طبع مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٨٥هـ.

(٢) أخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: قالت الأنصار: لو جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالًا فأنزل الله : {قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى} فقال بعضهم: إنما قال هذا ليقاتل عن أهل بيته وينصرهم فأنزل الله: {أم يقولون افترى على الله كذبا} إلى قوله: {وهو الذي يقبل التوبة عن عباده} فعرض لهم التوبة إلى قوله: {ويزيدهم من فضله} لباب النقول في أسباب النزول بهامش تفسير الجلالين ص٦٨٧.

نزلت: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «علي وفاطمة، وابناهما» وكذا في تفسير الثعلبي، ونحوه في الصحيحين. وغير علي من أصحابه والثلاثة لا تجب مودته، فيكون علي أفضل، فيكون هو الإمام؛ ولأن مخالفته تنافي المودة، وبامتثال أوامره تكون مودته فيكون واجب الطاعة، وهو معنى الإمامة».

والحقيقة إننا حين نناقش هذا الكلام بحكمة وهدوء نجده في حاجة إلى نظر وتثبت، ذلك أن سورة الشورى من أولها لآخرها سورة مكية، ولم يكن علي تزوج بعد فاطمة الزهراء ولا أنجب حسنًا أو حسينًا رضي الله عنهما، فمن المعروف أن عليًا تزوجها في المدينة المنورة بعد غزوة بدر الكبرى.

الأمر الثاني: أننا لو تصفحنا مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ما وجدنا هذا الحديث[1]، ولا في الصحيحين أيضًا، فهو من الأحاديث الموضوعة

(١) يقول الإمام ابن تيمية في منهاج السُّنَّة (٧/ ٩٦-٩٩) باختصار: «إن هؤلاء (يقصد الشيعة) يروون من الأكاذيب ما لا يخفى إلا على من هو من أجهل الناس، ورأيت كثيرًا من ذلك المغزو الذي عزاه أولئك إلى المسند والصحيحين وغيرهما بالطلًا لا حقيقة له، يعزون إلى مسند أحمد ما ليس فيه أصلًا، لكن أحمد صنَّف كتابًا في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي (وغيرهم)، وقد يروى في هذا الكتاب ما ليس في المسند، وليس كل ما رواه أحمد في المسند وغيره يكون حجة عنده، بل يروى ما رواه أهل العلم، وشرطه في المسند أن لا يروى عن المعروفين بالكذب عنده، وإن كان في ذلك ما هو ضعيف، وشرطه في المسند مثل شرط أبي داود في سننه.

وأما كتب الفضائل فيروى ما سمعه من شيوخه، سواء كان صحيحًا أو ضعيفًا، فإنه لم يقصد أن لا يروي في ذلك إلا ما ثبت عنده، ثم زاد عبد الله بن أحمد زيادات وزاد أبو بكر القطيعي زيادات.

والمكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما تفسير ابن عباس لهذه الآية فهو خلاف ما يدعيه ابن مطهر الحلي وشيعته فحين فسر أحدهم ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ بمعنى إلا أن تودوا ذوي قربى محمد صلى الله عليه وسلم قال له ابن عباس: عجلت، إنه لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله منهم قرابة، فقال: قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تودوني في القرابة التي بيني وبينكم[1] فابن عباس رضي الله عنهما لم يقل: إلا المودة لذوي القربى وإنما حبر الأمة قال: إلا المودة في القربى.

فليس المقصود لذوي القربى، ثم إن قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير قاصرة على علي رضي الله عنه وفاطمة الزهراء رضي الله عنها وسبطا رسول الله الحسن والحسين رضي الله عنهما، وإنما بنص حديث البخاري الذي من رواية طاووس عن ابن عباس - أنه «لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة».

وفي زيادات القطيع أحاديث كثيرة كذب موضوعة، فظن ذلك الجاهل أن تلك من رواية أحمد وأنه رواه في المسند وهذا خطأ قبيح، فإن الشيوخ المذكورين شيوخ القطيعي، وكلهم متأخر عن أحمد، وهم ممن يروي عن أحمد لا ممن يروي أحمد عنه... فهذا القطيعي يروي عن شيوخه زيادات، وكثير منها كذب موضوع، وهؤلاء قد وقع لهم هذا الكتاب، ولم ينظروا ما فيه من فضائل سائر الصحابة، بل اقتصروا على ما فيه من فضائل علي، وكلما زاد حديثًا ظنوا أن القائل ذلك هو أحمد بن حنبل، فإنهم لا يعرفون الرجال وطبقاتهم، وأن شيوخ القطيعي يمتنع أن يروي أحمد عنهم شيئًا، ثم إنهم لفرط جهلهم ما سمعوا كتابًا إلا المسند، فلما ظنوا أن أحمد رواه، وأنه إنما يروي في المسند صاروا يقولون: لما رواه القطيعي: رواه أحمد في المسند، هذا إن لم يزيدوا على القطيعي ما لم يروه، فإن الكذب عندهم غير مأمون، وما رواه القطيعي فيه من الموضوعات القبيحة الوضع ما لا يخفى على عالم».

(١) نص الحديث في البخاري (٤/ ١٧٨ - ١٧٩).

ونحن لا ننكر أبدًا أن محبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة على كل مسلم ومسلمة، وأهل السنَّة والجماعة هم أكثر الناس حبًّا لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا حقيقيًّا صادقًا لا غلو فيه، دون تأليه أو عصمة لهم.

ويعلمون بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم «أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»[1] ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينتظر من أحد أجرًا على تبليغه رسالة رب العالمين، فالمجازي هو الله تعالى: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾[سبأ: ٤٧].

ويقول تعالى: ﴿ قل لا أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾[ص: ٨٦].

وقول الله تعالى: ﴿ قل لا أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ﴾[الفرقان: ٥٧].

فالاستثناء هنا منقطع والمعنى إلا من أراد أن يتخذ إلى ربه طريقًا بإنفاق ماله في سبيل الله وابتغاء رضوانه فلا أمنعه من ذلك.

وإن محبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من ألزم الواجبات علينا نحن المسلمين، لكن ليس في إيجاب محبته ومودته ما يلزم باختصاصه بالإمامة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على حب المؤمنين وتوادهم وتراحمهم فيما بينهم فقال صلى الله عليه وسلم: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر

(١) أحمد بن حنبل: المسند (٤/ ٣٦٦-٣٦٧) طبعة الحلبي.

جسده بالسهر والحمى»[1].

وحب الصديق وعمر وعثمان والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين واجب كحب علي فقد رضي الله عنهم ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الفتح: ١٨]. وإن القدح في الثلاثة الأجلاء والطعن فيهم من أكبر الحرمات عند الله تعالى فمحبتهم واجبة كحبة علي رضي الله عنه.

لقد بالغ الشيعة في حبِّ علي وغالوا فيه غلوًّا كبيرًا حتى وضعوا حديث «حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضة سيئة لا ينفع معها حسنة» كما غالوا في حبِّ آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعوا فيهم حديث «حب آل محمد صلى الله عليه وسلم يومًا خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة» وهذا من أعظم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الدليل الثامن:

هو قول الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

يقول الشيعة: إن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هم: علي وفاطمة، وحسن وحسين رضي الله عنهم وأن في الآية دلالة على العصمة فتكون الإمامة واجبة في المعصوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهذا الكلام يحتاج إلى نظر دقيق وفهم صحيح فإن لي النص لصالح فكرة مسبقة عند الشيعة جعلهم يفسرون النصوص على هواهم، بينما الأمر يحتاج إلى

---

(١) البخاري (٨/ ١٠)، كتاب الآداب باب: «رحمة الناس والبهائم».

نزاهة وموضوعية في البحث.

ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم قالت عائشة رضي الله عنها: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾»[1].

وفي رواية أم سلمة رضي الله عنها قالت: في بيتي أنزلت: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فقال: «هؤلاء أهلي» قالت: فقلت: يا رسول الله، أما أنا من أهل البيت قال: «بلى إن شاء الله»[2].

وهذا الحديث يبرهن ويؤكد دخول زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم في أهل بيته.

ويعمق هذا الرأي ويؤكده تأكيدًا حديث مسلم عن أبي حيان التميمي، عن يزيد بن حيان قال: سمعت زيد بن أرقم قال: قام فينا ذات يوم رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد... أيها الناس، إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيبه، وإني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فاستمسكوا بكتاب الله وخذوا به» فحث على كتاب الله ورغَّب فليه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاث مرات.

---

(١) مسلم (٤/ ١٨٨٣)، كتاب فضائل الصحابة باب: «فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم».

(٢) الترمذي سنن (٥/ ٣٠) كتاب التفسير سورة الأحزاب.

فقال له حصين: يا زيد، من أهل بيته، أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: بلى، إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته، من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: آل علي وآل جعفر، وآل العباس، وآل عقيل.

فقال: كل هؤلاء يحرِّم الصدقة؟ قال: نعم[١].

وهذا الحديث يؤكد -أيضًا- أن كل من يحرِّم الصدقة وهم آل علي وآل جعفر وآل العباس وآل عقيل داخل في اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج أحمد ومسلم عن عبد المطلب بن ربيعة يرفعه: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، وإنما هي أوساخ الناس»[٢].

فآل البيت ليس قصرًا على علي وفاطمة وحسن والحسين رضي الله عنهم، وإنما زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وكل من يحرم الصدقة فهو من آل محمد صلى الله عليه وسلم، وفي البخاري أنه قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[٣].

وإن سياق الآية جاء في مخاطبة نساء النبي ضمن الأمر والنهي الإلهي لهن يقول

---

(١) مسلم: فضائل الصحابة باب: «فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه».

(٢) الألباني «محمد ناصر الدين» (صحيح الجامع الصغير وزياداته ١٦٦٠)، المسمى «الفتح الكبير» ط، بيروت المكتب الإسلامي ١٣٨٨ هـ- ١٩٧٩م.

(٣) البخاري (٤/ ١٤٦) (كتاب الأنبياء).

الله تعالى في مطلع الآيات: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا* وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا* يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا* وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا* وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٠-٣٤].

يقول الإمام البيهقي[1] «ابتدأ الآية في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتخييرهن، فلما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، كان لهن ما أعد الله لهن الأجر العظيم، ثم ميزهنَّ عن نساء العالمين في العذاب والأجر، ثم أبانهن منهن فقال: ﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾[الأحزاب: ٣٢].

فساق الكلام إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وإنما ورد بلفظ الذكور، لإدخال غيرهن معهن في ذلك، ثم أضاف البيوت إليهن بقوله: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾[الأحزاب: ٣٤] وجعلهن أمهات المؤمنين فقال: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾[الأحزاب: ٦].

---

(١) البيهقي (أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي ٣٨٤-٤٥٨هـ): الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، على مذهب السلف وأصحاب الحديث ص٣٢٤، قدم له وخرّج أحاديثه أحمد عصام الكاتب، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

وأما معنى الرجس في آية الأحزاب فهو كل قذر وخبيث، وأيضًا معناه الشرك مثل قول الله تعالى في سورة الحج: ﴿ فاجتنوا الرجس من الأوثان ﴾[الحج: ٣٠].

لكن دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل بيته بأن يُذْهِب عنهم الرجس وأن يطهرهم منه تطهيرًا ليس معنى ذلك أن يعطيهم هذا حق العصمة وأن لا يقع منهم ذنب فالتطهير لا يعني العصمة على الإطلاق فلا معصوم إلا النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الشيعة تصر بلا دليل صحيح على عصمة أئمتهم أيضًا، وهذا وَهم غير صحيح».

الدليل التاسع:

قال الشيعة وشيخهم ابن المطهر الحلي إن السورة نزلت في شأن علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فذكر ابن المطهر أنه في تفسر الثعلبي من طرق مختلفة قال: مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامة العرب، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر صوم ثلاثة أيام، وكذا نذرت أمهما فاطمة وجاريتهم «فضة» فبرآ، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، واستقرض على ثلاثة آصع[1] من شعير فقامت فاطمة على صاعٍ فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرصًا، وصلى على مع النبي صلى الله عليه وسلم المغرب، ثم أتى فوضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم مسكين فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني، أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمه علي فأمر بإعطائه فأعطوه الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذقوا شيئًا إلا الماء القراح، فلما كان اليوم الثاني قامت

(١) آصع: جمع صواع، والصواع حوالي ٢.٤٠ كيلو جرامًا.

فاطمة فخبزت صاعًا، وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فآتهم يتيمن فوقف بالباب، وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم، يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه علي فأمر بإعطائه، فأعطوه الطعام، ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا إلا الماء القراح، فلما كان اليوم الثالث، قامت فاطمة إلى الصاع الثالث، فطحنته وخبزته، وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، إذ أتى أسير، فقال: أتأسروننا وتشردوننا ولا تطعموننا أطعموني فإن أسير محمد أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه علي فأمر بإعطائه فأعطوه الطعام فمكثوا ثلاثة أيام بلياليها لم يذوقوا شيئًا إلا الماء القراح.

فلما كان اليوم الرابع وقد وفوا نذورهم أخذ علي الحسن بيده اليمنى والحسين بيده اليسرى وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فلما أبصرهما النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا الحسن ما أشد ما يسؤوني ما أرى بكم، انطلق بنا إلى منزل ابنتي فاطمة فانطلقوا أليها وهي في حجرتها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وا غوثاه بالله أهل بيت محمد يموتون جوعًا» فهبط جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، خذ ما هنأك الله في أهل بيتك، فقال: «ما آخذ يا جبريل» فأقرأه: ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾[الإنسان: ١].

وهي تدل على فضائل جمة لم يسبقه إليها أحد ولا يلحقه أحد فيكون أفضل من غيره فيكون هو الإمام».

وبقدر طول النص الذي ذكره ابن مطهر الحلي فإن الرد قصير، ذلك أن عددًا

من العلماء والمفسرين قالوا إن سورة «هل أتى» مكية ومن المعروف أن عليًّا رضي الله عنه تزوج فاطمة بعد الهجرة فكان زواجها بالمدينة المنورة أي بعد نزول السورة المكية بسنوات، ولم يكن الحسن والحسين وُلدا بعد.

الأمر الآخر أن من قرأ قصة نزول الآية كما أشارت إليها المصادر الشيعية المتعددة لاحظ بعينه مدى تهافتها، فهل يُعقل أن يأخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه النصيحة بالنذر من عامة العرب كما تدعي المصادر الشيعية وهي دون أنت تشعر – تجعل بذلك الخليفة- الرابع في موقف ضعيف حيث يتلقى الرأي والنصيحة من عامة العرب-وجهالهم، وهم ذلك يقدحون في علم علي رضي الله عنه.

وكيف يتلقى علي رضي الله عنه من هؤلاء العامة والجهال النصيحة ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تقول المصادر الشيعية: «فعادهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامة العرب» مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر قال: «إنه لا يرد شيئًا، وإنما يستخرج به من البخيل»[1] والله سبحانه وتعالى مدح المؤمنين على الوفاء بالنذر، وليس على القول به والعقد على النذر.

وأيضًا من المعروف أن عليًّا رضي الله عنه لم يكن له جارية بالمدينة ولا غير المدينة اسمها فضة[2]..ومن المعروف أيضًا أنه لم يكن لعلي خادمًا على عهد رسول

(١) البخاري (٨/ ١٢٤-١٢٥) كتاب القدر، باب: «إلقاء العبد النذر إلى القدر».

(٢) يقال: إن فضة كان معلمًا، كان يعلم الحسن والحسين ووضع الشيعة الأساطير حوله فادعوا أنه أعطى تفاحة كان فيها علم الحوادث المستقبلة فكان يتنبأ بما سيقع في الغيب.

الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه أن فاطمة سألت النبي صلى الله عليه وسلم خدمًا فعلمها أن تسبح عند المنام ثلاثًا وثلاثين، وتكبر ثلاثًا وثلاثين، وتحمد أربعًا وثلاثين، وقال: «هذا خير لك من خادم»[1].

وقولهم عن اليتيم أنه قال: «استشهد والدي يوم العقبة» فذلك أوضح الكذب فليلة العقبة قبل الهجرة النبوية الشريفة ولم يكن فيها قتال؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم طوال بعثته الشريفة بمكة لم يُؤمر أصلًا بالقتال، فالافتراء واضح، والكذب مكشوف لكل ذي عينين.

ثم قول الأسير: «أتأسروننا وتشردوننا ولا تطعموننا، أطعموني فإني أسير محمد أطعمكم الله من موائد الجنة».. قول لا يقبله عقل، فإن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعرفون حق الأسير الذي يستأسرونه فيقومون به خير قيام ولا يتركون الأسرى يتجولون في المدينة يسألون الناس.

من هذا كله يتضح لنا مدى اختراعهم هذه القصة ليفرضوا على المسلمين مسألة أحقية علي رضي الله عنه في الإمامة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوى أنه صاحب فضائل جمة فيكون أفضل من غيره، فيكون هو الإمام.

والإمام علي من اختراعاتهم وكذبهم عليه بريء براءة تامة.

فالقصة التي اخترعوها سببًا لنزول «هل أتى» موضوعة من أولها ومجرد روايتها عن الثعلبي أو غيره لا يدل على أنها صحيحة فقد فندناها من أساسها وتبين

(١) البخاري: (٥/ ١٩) باب: «مناقب علي».

لنا كذبها تمامًا ووضعها وضعًا بينًا لكل ذي لب سليم.

وكما قلنا: إن معظم المفسرين والعلماء يرون أنها مكية قال القرطبي رحمه الله: «مكية في قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وقال الجمهور مدنية»[١].

وقال السيوطي: «قيل مدنية وقيل: مكية... »[٢].

وقال الشوكاني: «قال الجمهور مدنية: وقال مقاتل والكلبي هي مكية»[٣].

وقال الصاوي في حاشيته على الجلالين: «مكية في قول جماعة ومدنية في قول الجمهور»[٤]، وقال الشيخ قطب في بعض الروايات: مدنية، ولكنها مكية وحكمتها ظاهرة جدًّا في موضوعها، وسياقها، وفي سماتها،[٥]، ونحن نميل إلى القول بأنها مكية ففيها كل خصائص القرآن المكي، والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٧٧).

(٢) السيوطي جلال الدين، الإتقان (١/ ٢٥).

(٣) الشوكاني، فتح القدير (٥/ ٤٨٩).

(٤) الصاوي، حاشية الصاوي (٤/ ٢٧٣).

(٥) قطب: سيد، في ظلال القرآن (٦/ ٣٧٧٧).